قـــــــراءات

فى علمى الاجتماع والاجتماع الريفى

دكتور

عدلى على أبو طاحون

أستاذ علم الاجتماع الريفى المساعد

كلية الزراعة - جامعة المنوفية

اهداءات ٢٠٠٣

أسرة المرحوم د./عدلى على أبو طاحون

الإسكندرية

قــــــــراءات

فى علمى الاجتماع والاجتماع الريفى

دكتور

عدلى على أبو طاحون

أستاذ علم الاجتماع الريفى المساعد

كلية الزراعة - جامعة المنوفية

مقدمة

تمهيد :

منذ فجر التاريخ والفرد يعيش كجزء فى جماعة سواء هذه الجماعة أسرة او قبيلة غير مستقرة فى مكان ثابت تعيش على الصيد والقنص أو على الرعى ، الأمر الذى يتطلب انتقالا مستمرا من مكان الى آخر وراء الحيوانات التى تقتنصها أو الى حيث يوجد المرعى والكلأ . او كانت جماعة مستقرة وثابتة فى قرية تمارس الزراعة أو فى مدينة تمارس الصناعة والتجارة .

وعلاقة الفرد بافراد الجماعة الذين يعيشون معه ، وعلاقة الجماعات المختلفة بعضها ببعض صغيرة كانت كالاسرة أو كبيرة كمجتمع القرية او المدينة – تحتاج الى دراسة لمعرفة طبيعة هذه العلاقات الاجتماعية وما ينجم عنها من ظواهر ونظم اجتماعية مختلفة، وما تتضمنه هذه العلاقات من اتجاهات وميول ورغبات .

وفى إطار دراسة هذه العلاقات الاجتماعية تدرس الاوضاع والظواهر والمشاكل والأمراض الاجتماعية بهدف الوصول الى خصائص معينة للهيئات والمجتمعات ومعرفة درجة تخلفها أو تقدمها وما قد يوجد من ارتباط بين بعض الظواهر كالارتباط القائم مثلا بين شكل ملكية الأرض وزيادة المنتج منها أو بين ارتفاع نسبة التشرد والاجرام واكتظاظ الاحياء بالسكان وخلوها من المرافق والخدمات .

وتوضح هذه الحقائق الطريق أمام العاملين فى الميادين الاجتماعية سواء كانوا علماء مخططين او اخصائيين أو مشرعين ليتمكنوا من [illegible] المشكلات الاجتماعية والعمل [illegible] فاهية المجتمع والنهوض به على أساس متين ، فمثلا إذا ماأرادت الدولة زيادة

الانتاج فعليها ان توفر الملكية الصغيرة وتساعد المزارع على امتلاك الأرض التى يزرعها - وبذلك يعمل على تحقيق أعلى انتاج لعلمه بان انتاج الأرض كلها سيؤول اليه . كما ينبغى على المصلحين ان يدركوا أهمية العناية بانشاء احياء سكنية على مستوى شعبى مناسب وأثر ذلك فى العلاج والوقاية من الاجرام والتشرد فى المجتمع .

وإذا كان علم الاجتماع يدرس الجماعة من حيث العلاقات الاجتماعية بين أفرادها وكذلك المشاكل والظواهر الاجتماعية الناتجة عن هذه العلاقات فانه يبين كذلك بنيان وتكوين التنظيم للجماعة او المجتمع ووظيفة كل وحدة من وحداته وعلاقة وحدات التنظيم المختلفة ببعضها كما يدرس التغيرات الاجتماعية التى قد تحدث فى المجتمع بوجه عام وأسباب هذه التغيرات وأثرها على الفرد والاسرة والجماعة والمجتمع - كما يعمل على ايجاد نوع من الربط بين الظواهر المختلفة.

تعريف علم الاجتماع

علم الاجتماع هو أحد العلوم الاجتماعية التى تهتم بدراسة سلوك الكائنات البشرية . ولكن علم الاجتماع مختلفا عن سائر العلوم الاجتماعية - التى ستوضح فيما بعد- يضم كل ملامح الحياة البشرية داخل الوجود الاجتماعى . فعلماء الاجتماع يدرسون كيف تتركب المجتمعات والسبل التى يطرقها أفراد هذه المجتمعات فى سلوكهم داخل هذه البنايات الاجتماعية . فعلماء الاجتماع يحاولون دراسة وفهم أسباب وكيفية بقاء الجماعات معا أو تفككها . بالاضافة الى ذلك يهتم علماء الاجتماع بدراسة أسباب وكيفية تغير المجتمعات أو مقاومتها للتغير . وعلى ذلك يمكن تعريف علم الاجتماع على انه

الدراسة العلميــة لانمــاط الحيــاة الاجتماعيــة الانســانية (البشريــة) فــى جماعات . أو يمكن تعريفه تعريفــا أكــثر شمــولا وفقــا لعــالم الاجتمــاع " اليكس انكلز" على انه دراســة أنمــاط الفعــل الاجتمــاعى وتفسـيراتها ن تلك الانماط التـــى تتمثــل فــى: ١- الافعــال الاجتماعيــة ٢- العلاقــات الاجتماعية ٣-المنظمــات ٤- المؤسســات ٥- المجتمعــات المحليــة ٦- المجتمعات .

ويمكن ايضاح مجال دراسة علــم الاجتمــاع مــن خــلال مقارنتــه ببعض العلوم الاجتماعيـــة الاخــرى . فمثــلا بينمــا يــهتم علــم التــاريخ بأحداث معينة فريدة نجد علــم الاجتمــاع يــهتم بعديــد مــن الاحــداث ذات الطبيعة المتشابهة محاولا ايجاد العوامل المشاركـــة بينـــها . فعــالم التــاريخ قد يذهب لدراسة حرب معينة بذاتها كحـــرب الســادس مــن أكتوبــر عــام ١٩٧٣ محاولا اســتخلاص أسـبابها ومواقعــها الحربيــة وأبــرز قادتــها ونتائجها . بينما من الناحية الخرى يذهـــب عــالم الاجتمــاع الــى دراســة عدة حروب للتعرف علــى أوجــه الشبــه مــن حيــث الاســباب والمواقــع الحربية والقادة والنتائج . وعلى ذلــك بينمــا نجــد عــالم التــاريخ عــادة يهتم بأحداث خاصة غير عاديـــة نجــد عــالم الاجتمــاع يبحــث الاحــداث النمطية المتكــررة .

وبمقارنة علم الاجتمــاع بعلــم السياســة نجــد ان علــم السياســة يهتم بدراسة علاقات القــوى الرســمية بيــن الحكومــات وداخلــها . فــهو يركز أساسا على المؤسســة السياســية بــالمجتمع بينمــا علــى النقيــض يهتم علم الاجتماع بدراسة التفاعلات بيــن مختلــف المؤسســات بــالمجتمع كالتعليم والحكومة والاسرة محاولا معرفة كيفية تأثيرهــا علــى بعضــها .

وبمقارنة علم الاجتماع بعلـــم الاقتصــاد نجــد أن الأخــير يتنــاول

بالدراسة الانتاج وتوزيع السلع المادية والخدمات بين أفراد المجتمع . فعلم الاقتصاد كعلم السياسة يركز على دراسة احدى المؤسسات بالمجتمع الا وهى المؤسسة الاقتصادية فى هذه الحالة . بينما من الناحية الأخرى نجد ان علماء الاجتماع يدرسون النظام الاقتصادى بالمجتمع ولكن اهتمامهم ينصب بدرجة اكبر على تفاعل الافراد والجماعات داخل النظام الاقتصادى فمن بين ما يهتم به عالم الاجتماع عند دراسته للمؤسسة الاقتصادية بموضوعات الحافز ودور القيم ومعنى المكانة الاجتماعية اكثر من اهتمامه ببعض موضوعات عالم الاقتصاد كاجمالى الناتج القومى أو توزيع الدخل القومى الى غير ذلك.

وبمقارنة علم الاجتماع بعلم النفس نجد ان علماء النفس مثل علماء الاجتماع يهتمون بدراسة الافراد الا ان علماء النفس يركزون على دراسة الشخص بمفرده ، بينما يهتم علماء الاجتماع بدراسة اتجاهات السلوك بين جماعات الافراد . فمثلا بينما ينصب اهتمام عالم النفس على درجة احد الافراد فى احدى الاختبارات النفسية القياسية كاختبار الذكاء مثلا نجد عالم الاجتماع قد يكون اكثر اهتماما بمقارنة درجات مجموعة من الافراد فى هذا الاختبار القياسى لمقارنته مثلا بالخلفية الاقتصادية والاجتماعية المتباينة لهؤلاء الافراد .

واخيرا بمقارنة علم الاجتماع بعلم الانسان (الانثربولوجى) الذى يعتبر اكثر العلوم الاجتماعية قربا من علم الاجتماع نجد ان هناك اختلافين اساسيين بينهما ، اولا فبينما يهتم علم الانسان اساسا بدراسة المجتمعات المتميزة البدائية الصغيرة نجد علم الاجتماع يتناول اساسا المجتمعات الحديثة . ثانيا حيث ان علماء الانسان يميلون الى التركيز على المجتمعات المتغيرة فانه يمكنهم الالمام فى دراستهم بجماعة ما من كل الوجوه من حيث بنيانها ووظائفها فى حين ان

علماء الاجتماع من الناحية الاخرى يركــزون اكــثر علــى دراســة أجــزاء
من المجتمعات من الناحية الاخرى يركــزون اكــثر علــى دراســة أجــزاء
من المجتمعات حيث ان المجتمعات التى سـيتناولونها بالدراســة عــادة مــا تكون كبيرة ومعقدة جــدا .

التطور التــاريخى لعلـم الاجتمـاع

يعتبر علم الاجتماع أحدث العلـــوم الاجتماعيــة وقــد صــاغ عــالم الاجتماع الفرنسى أوجست كونت اســـم هــذا العلــم Sociology فــى عــام ١٨٣٨ كتابه الفلسفة الايجابية وعادة مايشار الى كونـــت علــى انــه ابــو علم الاجتماع . وقد اشار كونت الى ضرورة اعتمــاد علــم الاجتمــاع علــى التصنيــف والملاحظــة المنتظمــة . وفــى عــام ١٨٧٦ بلــور العــالم الانجليزى هربرت سبنسر نظرية عن التطــور الاجتمــاعى والتــى رُفضــت بعد قبولها لفترة ثم محاولة اعادة قبولــها مــرة ثانيــة حديثــا فــى شكــل معدل . وقد حاول فى نظريتــــه هــذه اســتخدام نظريــة داروين للتطــور وتطبيقها على المجتمعات البشرية حيث اعتقــد سبنســر ان هنــاك تطــور تدريجى للمجتمعات من الشكل البدائى الى الشكـــل الصنــاعى وأشــار الــى ان هذا التطور يعتبر عملية طبيعية يجب للانســان ان يتدخــل فيــها.

المنهج العلمـى فـى علـم الاجتمـاع

يستخدم علم الاجتماع الطريقة العلمية فــى محاولــة ايجــاد اجابــة للاسئلة الهامة المثــارة محــل دراســة علــم الاجتمــاع ، هــذه الطريقــة العلمية تتطلب توفر عدة شــروط منــها:

١ - *وجود دليل يمكن اختباره :* فالبحث العلمــى يتطلــب ملاحظــات حقيقيــة ملموسة يمكن إعادة إختيارها لضمــان الدقــة .

٢ -*رفض الاشياء المطلقة* : فلا يقبل العلم أى حقيقة مطلقة ،فالعلماء يجب أن يكونوا مستعدين دائما لدراسة أى دلائل جديدة ، فالحقيقة العلمية يجب ان تبقى مؤقتة دائما.

٣ -*الحياد الاخلاقى* : حيث يمكن للعلم ان يجيب عن الاسئلة كحقيقة ولكن لايمكن اثبات ان قيمة ما أفضل من غيرها فمع اننا نبحث عن المعرفة الا ان قيم المجتمع هى فقط التى تحدد كيفية استخدام هذه المعرفة ، فالعالم لا يجب أبدا ان يعطى أى فرصة للقيم الشخصية ان تؤثر على سلوكه كباحث .

٤ -*الموضوعية* : فعالم الاجتماع يجب ان يكون لديه وجهة النظر المنفصلة والغير شخصية تجاه الموضوع تحت الدراسة فيجب ان يشتمل أى ملاحظات فى عبارات غير متحيزة على الاطلاق .

٥ -*الخبرة العلمية* : فالملاحظات العلمية يجب ان يقوم بها باحثين ذوى مستوى تدريبى عالى حيث ان الباحثين عديمى الخبرة قد يسيئوا تفسير ما يشاهدونه .

٦ -*طرق الدراسة المعيارية الصارمة* : فعلى عالم الاجتماع ان يستخدم اوصافا صحيحة ودقيقة للبيانات تحت الدراسة ، فيجب توافر خطة منظمة لتجميع البيانات وتسجيلها بدقة عقب جمعها .

٧ -*الظروف المتحكم فيها* : فالتجربة العلمية يمكن القيام بها طالما أمكن التحكم فى جميع العوامل الهامة ما عدا العوامل تحت الدراسة.

خطوات الطريقة العلمية :

١ -*تحديد المشكلة البحثية* : ففى كل ميدان يوجد عدد كبير من

الموضوعات والمشكلات التى يمكن تناولها بالبحث العلمى . وتنصب الدراسة فى الميدان الاجتماعى على الموضوعات المتعلقة بالظواهر الاجتماعية والثقافية والعلاقات التى تحدث بين الافراد والجماعات وما قد يحدث فى المجتمع من مشكلات نتيجة لاضطراب العلاقات والاوضاع الاجتماعية . والبحوث الجيدة هى التى تلقى أضواء جديدة على الظاهرة المدروسة وتفتح فى نفس الوقت آفاقا عديدة لدراسات مستقبلية . ويؤثر على اختيار المشكلة البحثية عدة عوامل منها احساس الباحث بالمشكلة التى يرغب فى دراستها بالنسبة للعلم والمجتمع ، وتدريب الباحث وجدية الموضوع بحيث لايقوم الباحث بدراسته ثم يكتشف فى النهاية ان آخرين قاموا بدراسة مماثلة وانهم سبقوه الى النتائج التى توصل اليها ، وايضا من العوامل المؤثرة على اختيار المشكلة البحثية مدى توافر البيانات المطلوبة وكذا الامكانيات المادية والبشرية مع مرعاة الزمن المحدد للبحث .

٢-*صياغة المشكلة البحثية :* بعد ان يختار الباحث الموضوع الذى يرغب فى دراسته عليه ان يعمل على تحديد المشكلة تحديدا دقيقا واضحا وينبغى ان تتضمن الصياغة الصحيحة للمشكلة البحثية عدة نقاط اهمها تحديد الموضوع الرئيسى الذى وقع عليه اختيار الباحث، ثم تحديد النقاط الرئيسية والفرعية التى تشتمل عليها المشكلة وكذا تحديد العوامل الاساسية التى دفعت الباحث الى اختيار المشكلة وما يرجو تحقيقه من وراء البحث من فوائد نظرية وعلمية . ايضا تتضمن صياغة المشكلة البحثية التعريف باهم الدراسات التى اجريت فى موضوع البحث والموضوعات القريبة الصلة به ، ثم تحليل اهم النتائج التى توصل اليها الباحثون

السابقون والتعريــف بالاضافــات التــى يبغــى البــاحث تقديمــها فــى دراسته ، وايضــا بالصعــاب التــى يتوقــع البــاحث ان يواجهــها فــى بحثه، وأخيرا تحديد نوع الدراسة ومصــادر البيانــات والاســاليب التــى يمكن استخدامها فى البحــث .

٣- *صياغة الفروض العلمية* : بعد ان ينتهى الباحث مــن تحديــد المفــاهيم والمصطلحات العلمية فانه ينتقل الى خطــوة وضــع الفــروض . ويجــب على البــاحث عنــد صياغتــه للفــروض مراعــاة ان تكــون واضحــة وموجزة على هيئة قضايا يمكن التحقق مــن صدقــها وان تكــون قابلــة للاختبار بعيدة عن الاحكــام القيميــة والقضايــا الاخلاقيــة وان تكــون خالية من التناقض مرتبطة بالنظريــات التــى ســبق الوصــول اليــها ، ويفضل ان يلجأ البــاحث الــى مبــدأ الفــروض المتعــدد بــدلا مــن أن يضيع وقته فى اختبار فرض واحد قد لاتثبــت صحتــه .

٤- *تجميع البيانات* : وذلك من خــلال اســتخدام أحــد المنــاهج الرئيســية التى تستخدم فى البحث الاجتماعى وهــى المســح الاجتمــاعى ودراســة الحالة والمنهج التاريخى والمنهج التجريبــى . ويتــم تجميــع البيانــات فى اى من هذه المناهج باستخدام واحــد أو أكــثر مــن أســاليب وادوات جمع البيانات والتىبينها الملاحظــة والاســتبيان والمقابلــة الشخصيــة والمصادر الثانوية (المنشــورة)

٥- *تحليل البيانات* : بعــد تجميــع البيانــات فــى الخطــوة السـابقة يتــم مراجعتها وترميزها لتحويلها من صــورة كلاميــة الــى صــورة رقميــة حتى يسهل التعامل معها فيما بعد احصائيا ثــم بعــد ذلــك يتــم توزيــع وتثبيت هذه البيانــات علــى الكــروت المعــدة لذلــك بالحاســب الالــى لتكون جاهزة لاجراء التحاليل الاحصائيــة اللازمــة لوصــف المتغــيرات

المختلفة بالدراسة وكذلك لإختبار الفروض العلمية المصاغة سابقا.

٦-*تفسير النتائج وكتابة التقرير :* يقوم الباحث فى هذه الخطوة بشرح وتفسير النتائج والاختبارات الاحصائية التى تم استخدامها فى تحليل البيانات من قبل مع ربط هذه النتائج بالنظرية الاجتماعية وباهداف البحث المحددة له وبعد ذلك يقوم الباحث بكتابة التقرير المتضمن لجميع الخطوات السابقة من حيث بدات المشكلة موضوع الدراسة وحتى انتهاء التحليل والتفسير .

البناء العلمى لعلم الاجتماع

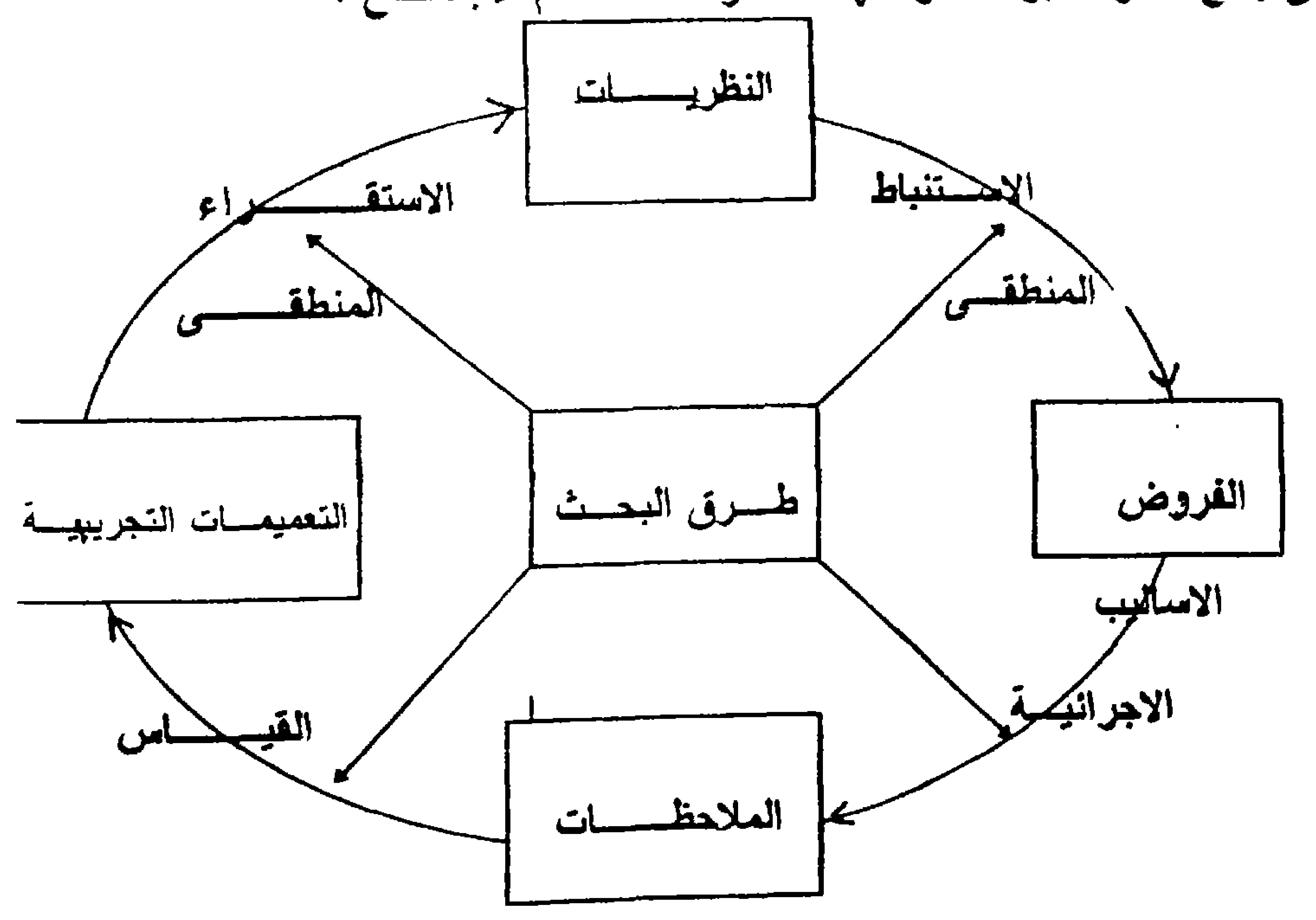
حيث ان علم الاجتماع يعتبر مجال علمى ، فيمكن القول انه يتكون من خمسة أجزاء هى : (١) طرق البحث (٢) الملاحظات (٣) التعميمات التجريبية (٤) الفروض (٥) النظريات . وقبل فحص العلاقات المتبادلة بين هذه المكونات الخمسة فانه يجب ايضاح بعض النقاط أولا :

أ- بالرغم من ان المكونات الخمسة الرئيسية لعلم الاجتماع يمكن ان تذكر منفصلة ومميزة الا انهم يلقون ظلالهم على بعضهم . وان كانت طرق البحث اكثرهم تميزا ، ففى الواقع يعتبر من الصعب ان لم يكن من المستحيل ان نحدد تماما متى تصبح الملاحظات تعميمات تجريبية ونفس الشىء يمكن قوله بالنسبة لتحول التعميمات التجريبية الى نظريات وكذا تحول النظريات الى فروض والفروض الى ملاحظات .

ب- بالرغم من هذا التداخل فى معانى تلك المكونات الخمسة الا انه يمكن القول ان كل مكون يمكن ان يختلف داخلها [illegible] كبيرة وان يتسم بالاستقلالية عن المكونات الاخرى خاصة فى الشكل وبهذا

يمكن ان يكون مميزا عن اى مكون آخر . ففـــى دراســـة مـــا يمكـــن ان نجد الفروض او النظريات قد أشـــير اليــها فقــط تلميد ا بينمـــا طـــرق البحـــث والملاحظـــات والتعميمـــات التجريبيـــة قـــد وضحـــت باســـهاب وحددت تفصيلا .

وهذا التباين فى الشكل بين المكونات الخمســـة هـــو الـــذى يفـــرق بين الدراسات التى تكشف مجال معين فـــى الحيـــاة الاجتماعيـــة بيـــن تلـــك الدراسات التى تختبر فروضا معينـــة . وعمومـــا يمكـــن القـــول انـــه مـــن المستبعد فى الدراسات المجتمعية ان نجد بعضـــها يتضمـــن نظريـــة بينمـــا البعض الآخر لاتتضمن اى نظرية على الاطـــلاق حيـــث ان كـــل الدراســـات لابد لها أن تتضمن نظرية ولكن بعض الدراســـات تعطـــى اهتمامـــا واضحـــا لها بينما بعض الدراسات الاخرى تعطى اهتمامـــا ضمنيـــا لـــها . فالنظريـــة فى واقع الامر تعتبر لا مفر منها عند دراســـة علـــم الاجتمـــاع .



مكونات علم الاجتماع

والان ننتقل الى فحص العلاقات الموجودة بين المكونات الخمسة لعلم الاجتماع . ففى الشكل المبين نجد ان علم الاجتماع قد تم تمثيله بتعاقب التناول المعرفى مع اتجاه عقربى الساعة وكل تعاقب أو تحول محكوم بنوع معين من الطرق، احدى هذه الطرق تتناول القياس وهى تستخدم عند معالجة الملاحظات لتحولها الى تعميمات تجريبية . النوع الثانى من الطرق وهو الاستقراء المنطقى وهو يخدم التحول من التعميمات التجريبية الى النظريات ، والنوع الثالث من الطرق وهو الاستنباط المنطقى يخدم التحول من نظريات الى فروض ، والنوع الرابع والاخير هو الاساليب الاجرائية وهى تخدم تحول الفروض الى ملاحظات .

ويمكن فهم النموذج السابق عن طريق اعطاء بعض الامثلة وهنا سنذكر الدراسة الكلاسيكية لدوركايم عن الانتحار كمثال لفهم عملية البناء العلمى لعلم الاجتماع ، افترض اننا مهتمين بدراسة الانتحار من وجهة نظر علم الاجتماع فأول خطوةمن المتوقع ان تكون هى إجراء بعض الملاحظات على بعض الافراد الذين اقترفوا جريمة الانتحار . تلك الملاحظات (من خلال عمليات العد والحساب لمعدلات الانتحار للمجاميع المختلفة من هؤلاء الافراد) يمكن ان تتحول الى تعميمات تجريبية مثال التعميم التجريبى التالى :

" البروستانت معدل انتحارهم أكبر من الكاثوليك "

وعملية التحـول المعرفـى التاليـة تعتمـد علـى اجابـة سـؤالين متوازيين هما :

(١) مـاهى الخصـائص المميزة للافـراد البروسـتانت أو الكـاثوليك " والتى يمكن ان تشرح هذا الاختلاف فـى معـدلات الانتحـار ؟

(٢) كيف يمكن لمعدل الانتحار ان يتباين فى حـد ذاتـه ؟

هذين السؤالين معا يسـألون مـا إذا كـان مـن الممكـن للظـاهرة التى تشرح والظاهرة المطلـوب شرحـها ان تعمـم اسـتقرائيا باسـتخدام تلك المعلومات وبالتالى زيادة هذه المعلومات أكـثر. والتحـول النـاتج مـن اجابة هذين السؤالين يمكن ان يوضع فى صورة عبـارة نظريـة مثـل :

" معدلات الانتحار تتباين عكسيا مـع درجـة الـترابط الاجتمـاعى " وهنـا تجد الانتماء الدينى (وهو الظاهرة التى تشـرح) قـد تـم تعميمـه ، كمـا يمكن صياغة عبارة نظرية أخـرى مثـل :

" افعال الاضطراب الشخصى تتبـاين عكسـيا مـع درجـة الـترابط الاجتماعى " وهنـا نجـد الانتحـار (الظـاهرة المطلـوب شرحـها) وكـذا الظاهرة التى تشرح معا قد تـم تعميمـها .

والخطوة التالية لمعالجـة المعـارف هـو الاشتقـاق أو الاسـتنباط المنطقـى للفـروض النظريـة. فمثـلا بفـرض ان النظريـة صحيحـة وبافتراض ان الافراد غير المتزوجين يظـهرون درجـة أقـل مـن الـترابط الاجتماعى بمقارنتهم بالافراد المـتزوجين .فانـه بنـاءا علـى ذلـك مـن المتوقع أن نجد معدل انتحار الافراد غير المـتزوجين أعلـى منـه بالنسـبة للافراد المـتزوجين .

ولاختبـار هـذا الفـرض يلـزم معالجتـه مـن خـلال الاسـاليب الاجرائية حتى يمكن تحوله الى ملاحظـات وتحـول هـذه الملاحظـات بعـد

ذلك الى تعميمات تجريبيـــة مـــن خـــلال القيـــاس بعـــد ذلـــك يتـــم ربطـــها بالنظرية من خلال الاستقراء المنطقى . وهكـــذا يتـــم الـــدوران حـــول هـــذه الدائرة والانتقال من مكون الـــى آخـــر .

وإذا كانت الطرق البحثية تخدم كمحـــددات ووســـائل أساســـية نحـــو بناء علـــم الاجتمـــاع الا انـــه يمكـــن القـــول ان النظريـــات تعتـــبر أكـــثر المكونات الخمسة قوة اخباريـــة . ونعنـــى بـــهذا ان الملاحظـــات الفرديـــة يمكن ان تحتوى كمية ضئيلة جدا من المعلومات عـــن ظـــاهرة معينـــة كمـــا ان التعميمات التجريبية والفروض لديهم كميـــة متوســـطة مـــن المعلومـــات عن هذه الظاهرة ولكن النظرية (حيث انـــــها مركبـــة مـــن عـــدة تعميمـــات تجريبية وحيث كل تعميم تجريبى مركـــب مـــن عـــدة ملاحظـــات مختلفـــة) فانها من المتوقع ان تحتوى أكبر كميـــة ممكنـــة مـــن المعلومـــات . و هـــذا لايعنى بالطبع ان جميع النظريـــات لديـــها نفـــس القـــوة الاخباريـــة ولكـــن يمكن القـــول ان النظريـــة التـــى جـــاءت مـــن اســـتقراء ثلاثـــة تعميمـــات تجريبية ستكون أكثر قوة اخبارية من التى جـــاءت مـــن تعميميـــن وهكـــذا. وعموما فانه يتضـــح مـــن الشكـــل الســـابق ان النظريـــة يمكـــن ان تقـــوم بدورين حيويين همـــا :

١ -تحدد النظرية العوامـــل التـــى يمكـــن للفـــرد أن يقيمـــهما قبـــل اجـــراء البحث . اى قبل صياغة الفروض وعمـــل الملاحظـــات .

٢ -بعد انتهاء البحث تخدم النظرية كلغـــة مشتركـــة فـــى تســـهيل ترجمـــة النتائج (وهـــى التعميمـــات التجريبيـــة) لأغـــراض المقارنـــة والـــترابط المنطقى مع نتائج البحوث الأخـــرى .

ماهية النظرية الاجتماعية

أيا كان موضوع الدراسات والبحث فان النظرية المجتمعية تهتم أساسا بتطوير أساليب زيادة فهم الأحداث الاجتماعية فالنظرية هى وسيلة الفهم فى أى علم حيث انها تجيب دائما على سؤال لماذا ؟ مثال لماذا يسلك الافراد سلوكا معينا . لماذا بناء معين يسود عن غيره ؟ و.. الخ وعلى ذلك يهدف اى علم الى تطوير نظريات مقبولة وقبل التعرض لبناء النظرية المجتمعية يجب التعرف على الملامح العامة لها. وعموما يمكن القول ان النظرية هى نشاط عقلى فهى تلك العملية التى يمكن بها تطور بعض الافكار التى يمكن ان تساعد العلماء على فهم وشرح لماذا تحدث أحداثا معينة . والنظرية تتركب من عناصر أساسية او مكونات بنائية هى :

١- المفاهيم

٢- المتغيرات

٣- العبارات (القضايا)

٤- الاشكال .

ومهما اختلف مفهوم النظرية فى علم الإجتماع فان هذه المكونات ثابتة ومشتركة بين جميع مفاهيم النظرية ولذلك فتحليل النظرية الاجتماعية يتطلب التعرف على كل هذه المكونات أولا .

المفاهيم :

وهى المكونات البنائية الرئيسية للنظرية فالنظرية تبنى عادة من مفاهيم . وعامة فان المفاهيم تشير الى ظواهر معينة فمفاهيم معينة مثل الجماعة ، المنظمة الرسمية ، القوى التطابق ، التفاعل ، الأدوار، التطبيق... الخ كل منها يعتبر مفهوم يعزل ملامح العالم الاجتماعى التى تعتبر هامة واساسية لغرض تحليى معين . والمفاهيم

تتكون من تعاريف . والتعريف هو بناء مصطلحي يدل الباحثين على الظاهرة المشار اليها بالمفهوم فمثلا مفهوم مثل النزاع يمكن ان يكون له معنى فقط عند تعريفه . فاذا قبلنا هذا التعريف له مثلا "النزاع هو التفاعلات بين الوحدات الاجتماعية حيث تعمل احدى هذه الوحدات على منع الوحدات الاخرى من ادراك أهدافها " فهذا التعريف لمفهوم النزاع يساعد العلماء على ادراك الظاهرة المشار اليها بالمفهوم فالتعريف يساعد العلماء على رؤية نفس الشيء وعلى فهم ما هو تحت الدراسة . وهكذا فالمفاهيم التي تعتبر مفيدة في بناء النظرية يجب ان يكون لها خاصية هامة وهو ان تحمل معنى واحد لكل من يستخدمها .

ولكن حيث ان المفاهيم عادة يعبر عنها بكلمات اللغة الدارجة فانه من الصعب تفادى وجود بعض الكلمات التي لها معانى مختلفة وبالتالى تشير الى ظواهر مختلفة لمختلف العلماء ولهذا نجد معظم مفاهيم العلوم الطبيعية تعتمد على مصطلحات فنية . مثال الرموز الرياضية بينما فى علم الاجتماع التعبير عن المفاهيم بهذه الطريقة لايعتبر احيانا مستحيلا بل غير مرغوب فيه ايضا . ولكن كل ما يمكن قوله فى حالة علم الاجتماع هو ان الرموز اللفظية المستخدمة فى تطوير مفهوم معين يجب ان تعرف بأكبر درجة ممكنة من الدقة حتى يمكن أن تعنى نفس الشيء لكل الباحثين والدارسين .

والمفاهيم المستخدمة يجب ان يكون لها خاصية هامة وهى التجريدية والمقصود بها ان المفاهيم لاترتبط باى نطاق زمنى او مكانى محدد فالمفهوم لايرتبط باشخاص معينيين او بمكان او بزمان معين . وبالرغم من ان استخدام مفاهيم مجردة فى بناء النظرية الاجتماعية يعتبر شرطا حيويا الا ان هناك مشكلة تواجهها وهو كيفية

ربط هذه المفاهيم المجردة بواقع الاحداث والمستوى التجريبي الذى يعيش فيه الباحث . ولحل هذه المشكلة يجب ان يصاحب المفهوم المجرد سلسلة من التعاريف الاجرائية وهى تساعد الباحث على ادراك الظواهر فى العالم الحقيقى والتى يشير اليها المفهوم المجرد .

المتغيرات :

عند بناء النظرية يكون لدينا نوعين من المفاهيم يمكن التميز بينهما ؛ الاول تلك المفاهيم التى تشير الى الظاهرة ، والثانى هو تلك المفاهيم التى تشير الى الظواهر التى تختلف فى الدرجة . الاولى مثل الجماعة ، طبقة اجتماعية ، مدرسة .. الخ عند استخدام المفاهيم بتلك الطريقة فان اى منها لايدل على اى اختلاف فى اى خاصية مثال الحجم، الوزن ، التماسك .. الخ حتى يمكن ان تخبر العلماء عن اى فروق بين الظواهر وعلى ذلك يتطلب بناء النظرية استخدام مفاهيم اخرى تشير الى الخصائص المتغيرة للظواهر حتى يمكن للعلماء التميز بين الاحداث المختلفة والمواقف المختلفة . فمثلا تجمع معين من الافراد فى "جماعة" لايبين نوع هذه الجماعة ، التباين او التماسك ولذلك فلفهم الاحداث يجب ايضاح كيف ان التباين فى ظاهرة معينة يرتبط بالتباين فى ظاهرة أخرى وهذا التحول للمفاهيم يتطلب ادماجها فى عبارات نظرية .

العبارات (القضايا) :

ترتبط المفاهيم ببعضها عن طريق العبارات النظرية ، فالمفهوم فى حد ذاته يشير الى وجود ظاهرة ما ، والمفهوم المتغير يساعد الباحث على ادراك مدى التباين فى هذه الظاهرة . ولكن العلم يجب ان يتعدى مرحلة الاشارة الى ما هو موجود او وصف التغير فى

أولا : علم الاجتماع

الفصل الأول

البناء العلمى لعلم الاجتماع

١- مقدمة
٢- تعريف علم الاجتمـــاع
٣- التطور التاريخى لعلم الاجتمـــاع
٤- المنهج العلمى فى علم الاجتمـــاع
٥- خطوات الطريقة العلميـــة
٦- البناء العلمى لعلم الاجتمـــاع

شيء موجود ، فالهدف النهائى هو فهم كيفية حدوث ظواهر او أحداث متصلة ببعضها . فمثلا مفاهيم مثل النزاع ، الوحدة الاجتماعية ، الرابطة يمكن ايضاح العلاقة بين هذه المفاهيم الثلاثة فى العبارة النظرية التالية :

" كلما زاد النزاع بين الوحدات الاجتماعية كلما زاد الترابط داخل كل وحدة "

وهذه العبارة تعتبر مجردة لانها لاتتحدث عن نزاع محدد بين وحدات محددة فى وقت معين أو مكان معين كما ان هذه العبارة نظرية لانها تتناول العلاقة بين ثلاث ظواهر اجتماعية. وعن طريق ايجاد مؤشر لكل مفهوم (تعريف اجرائى) يمكن اختبار هذه العلاقة فى العبارة النظرية . وعادة فان العبارات النظرية لاتقوم بمفردها ولكن عادة ما تنظم فى أنظمة معينة من العبارات فكما ترتبط المفاهيم ببعضها ، ترتبط العبارات ببعضها فى شكل معين .

اشكال النظرية : يمكن تنظيم العبارات النظرية فى عدد مختلف من الاشكال وفقا لقواعد منطقية معينة حتى يمكن اختبارها بكفاءة ، فبدون وجود سند للعلاقات التبادلية بين العبارات النظرية وبعضها فان كل منها يجب اختباره بمفرده .

وعموما فان هناك شكلين اساسيين لترتيب العبارت النظرية فى العلوم الاجتماعية

(١) الشكل البديهى (٢) الشكل السببى

اولا : الشكل البديهى : يتكون هذا الشكل اولا من مجموعة من المفاهيم بعضها أكثر تجردا وبعضها اقل تجردا ، وثانيا توجد مجموعة من العبارات التى تحدد الظروف التى تنطبق فيها المفاهيم والعبارات

العلاقية ، وثالثا عبارات علاقية مصاغة في ترتيب طبقي معين حيث في قمة الترتيب البديهات وهي العبارات ذات المستوى التجريدي العالي والتي منها يشتق كل العبارات النظرية الاخرى . وهذه العبارات النظرية الاخيرة تسمى فروض وهي التي تشتق من البديهات الاكثر تجردا ويراعى في اختيار البديهات الاتي :

١-يجب ان تتفق مع بعضها وليس بالضرورة مرتبطة ببعضها .

٢-يجب ان تكون ذات مستوى تجريدي عالي .

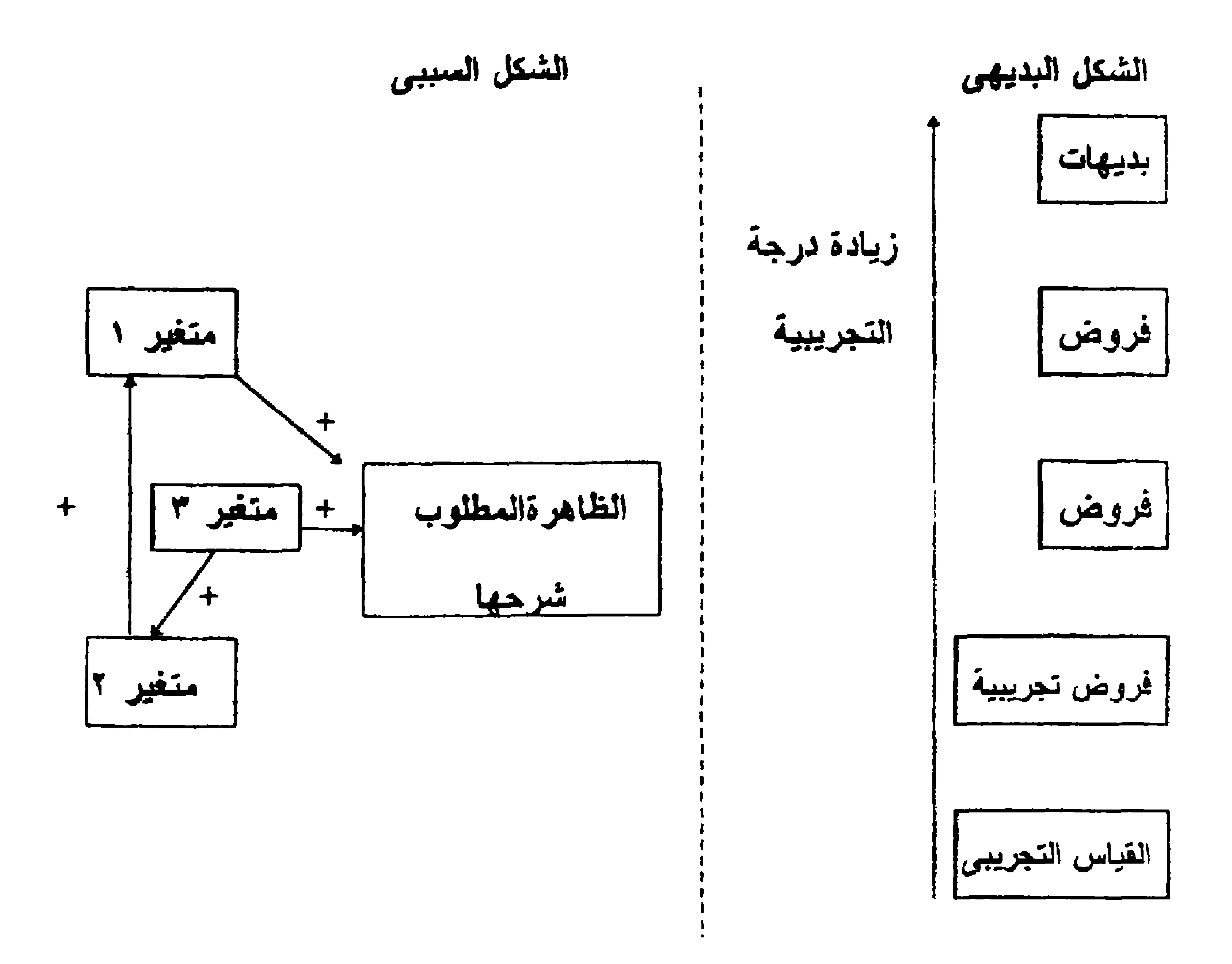
٣-ان تكون مؤيدة بالبحوث التجريبية .

٤-ان يكون صدقها يبدو جلي وواضح .

وعموما فهناك عدة مميزات لهذا الشكل من اشكال بناء النظرية :

١- يمكن لهذا الشكل ان يتضمن مجموعة من المفاهيم ذات المستوى التجريدي العالي والتي تربط مجال واسع من الظواهر المتصلة .

٢- طريقة اشتقاق فروض من البديهات النظرية يمكن ان يؤدي الى توليد مجموعة من الفروض المثيرة لعلاقات غير معروفة من قبل.



ثانيا : الشكل السببى : مثل الشكل البديهى يحتوى الشكل السببى على مفاهيم مجردة ومفاهيم ملموسة (غير مجددة) مع وجود مفاهيم اجرائية مناسبة . كم انه مثل الشكل البديهى يتضمن مجموعة من العبارات التى تحدد ظروف وجود عبارات سببية . ولكن بخلاف الشكل البديهى فان الشكل السببى يقدم مجموعة من العبارات السببية التى تصف تأثير متغير معين على متغير آخر بدون تكوين ترتيب طبقى لهذه العبارات ، فشرح الاحداث فى الشكل السببى يتضمن تتبع التعاقب السببى للاحداث التى تؤثر على حدوث ظاهرة معينة فالشرح هنا بخلاف الشكل البديهى لا يتضمن استنباط او استنتاج منطقى .

وعموما فـــان الشكــل الســببى يعتـــبر أكــثر تفضيــلا فـــى علــم الاجتماع ربما لانه يخضع نفســـه بســهولة لاســاليب التحليــل الانحــدارى المتعدد ن كما ان الشكــــل الســببى يمكــن البــاحث مـــن تتبــع العلاقـــات السببية الشيء الذى يتجاهله الشكل البديهى ، ومـــن ناحيـــة أخــرى يبــدو ان العلوم الاكثر تقدما تستخدم الشكــل البديـــهى . فـــالشكل البديـــهى يبــدو أكثر تجريدا من الشكل السببى وبالتالى يساعد اكـــثر علـــى شـــرح ظواهـــر عديدة ، كما ان الشكل البديهى من خلال الاشتقـــاق المنطقـــى يـــؤدى الـــى ابتكار فروضا جديدة والتى ربما كـــانت ســتظل مجهولـــة بــدون اســتخدام الشكل البديهى . والشكل الســببى اقــل مـــن الشكــل البديـــهى مـــن حيــث تقديم عبارات مجردة للعلاقـــات ولكــن اكـــثر مـــن الشكــل البديـــهى فـــى توضيح كيفية الحدوث الســببى للظواهـــر .

الفصل الثانى

التنظيم الاجتماعى

التنظيم الاجتماعى

المجتمع :

عندما نتحدث عــن المجتمــع فاننــا عــادة نعنــى مجموعــة مــن الناس ، بينما من الناحية الاخرى عندما نتحدث عــن الثقافــة فاننــا نعنــى مجموعة من القيم والافكار والمعتقــدات والاشيــاء الماديــة التــى يشــترك فيها هؤلاء الناس . ووفقا لعالم الاجتماع مــارفن اولســن فــان المجتمعــات تعتبر أكثر أشكال التنظيم والتفــاعل الاجتمــاعى شمــولا وتعقيــدا وهيمنــة لهذا يعرف المجتمع على انــه "ذلــك التنظيــم الاجتمــاعى متســع الشمــول ذو الاستقلال الثقافى والوظيفى والذى يســيطر (يــهيمن)علــى كــل أشكــال التنظيم الاجتماعى الأخرى" . فيمكن القول فــى عبــار أبســط ان المجتمــع يعتبر مجموعة من الناس مكونة ذاتيا ومســتقلة نســبيا ، وهــؤلاء النــاس يتفاعلون فيما بينهم داخل منطقـــة أو مكــان جغرافــى محــدد ويشــتركون فى ثقافة مميزة لــهم .

وفى الواقع ان الســمة الرئيســية للمجتمــع والتــى تمــيزه عــن سائر أشكال التنظيــم الاجتمــاعى هــى ســمة الاكتفــاء الذاتــى . ويمكــن ملاحظة أربعة خصائص للمجتمعات ذات الصلـــة الوثيقــة بســمة الاكتفــاء الذاتى :

أولا : نجد ان معظم العلاقـــات الاجتماعيــة بيــن أفــراد المجتمــع تحــدث داخل حدود هذا المجتمــع .

ثانيا : يعتبر المجتمع مستقل نســبيا ، ولايعنــى هــذا ان المجتمــع يشبــع جميع احتياجات أفراده أو يوفر لهم كــل المــوارد المطلوبــة لاشبــاع هــذه الاحتياجات ، ولكن ما نعنيه بالاســتقلال هــذا هــو مبــدأ انشــاء المجتمــع وتأسيسه لطرق ووسائل معينة لتوفير هــذه الاحتياجــات لافــراده .

ثالثا : يصنع او يتخذ المجتمع القرارات النهائية لافـــراده كمـــا انـــه يمتلـــك السلطة فوق كل القرارات، فان كـــانت الجماعـــات داخـــل المجتمـــع يمكنـــها اتخاذ بعض القرارات الا انـــه يتبقـــى فـــى النهايـــة للمجتمـــع امـــا قبـــول وتعضيد هذه القرارات او رفضـــها والغائـــها .

رابعا : يعتبر المجتمع اعلى تنظيم اجتمـــاعى يديـــن أفـــراده لـــه بـــالولاء ، حيث ينعكس هذا فى تصدى أفراد المجتمع لحمايتـــه مـــن اى ضـــرر داخلـــى أو خارجى .

البنيان الاجتماعى : SOCIAL STRUCTURE

يمكن النظر الى المجتمع على انـــه بنيـــان مكـــون مـــن مجموعـــة من النـــاس ذوى مراكـــز متنوعـــة عديـــدة ، تلـــك المراكـــز لـــها حقـــوق وواجبات متعارف عليها فيما بين هـــؤلاء النـــاس ، فمثـــلا الطبيـــب عليـــه عـــلاج المرضـــى والجـــزار يبيـــع لنـــا اللحـــم والمـــدرس يعلـــم الابنـــاء بالمدرسة .. وهكذا . وفيما يلى اســـتعراض للمراكـــز والادوار التـــى تكـــون وتشكل البنيان الاجتماعى للمجتمـــع.

المراكـــز : STATUSES

المركز هو وضـــع الفـــرد بـــالمجتمع ن والمراكـــز امـــا ان تكـــون تعاقبية أو أن تكون تلازمية ، فالمراكز التعاقبية هـــى تلـــك المراكـــز التـــى تتعاقب بعضها فمثلا يمر الانسان فـــى حياتـــه بعـــدة مراكـــز تعاقبيـــة مـــن كونه طفل رضيع الى طفل الى شـــاب الـــى رجـــل الـــى كـــهل ، كمـــا يمـــر أعضاء هيئة التدريس بالجامعات بعـــدة مراكـــز تعاقبيـــة مـــن معيـــد الـــى مدرس الى استاذ مساعد الى استاذ وهكذا ، امـــا المراكـــز التلازميـــة فـــهى تلك المراكز التى نحتلها بـــالمجتمع معـــا فـــى وقـــت واحـــد فمثـــلا طـــالب

الجامعة ممكن ان يحتل عدة مراكز تلازمية فـــى وقــت واحــد مثـــال كونـــه ابن وكونه أخ وكونه صديق وكونه طالب كل هـــذا فـــى فـــترة واحـــدة مـــن حياته .

ويمكـــن تصنيـــف المراكـــز التـــى يحتلـــها الافـــراد الـــى نوعيـــن متـميزين همـــا ؛ المراكـــز المنســـوبة والمراكـــز المحققـــة ، فـــــالمراكز المنسوبة هى تلك المراكز التى ترتبـــط بـــالفرد منـــذ مولـــده ، ونـــادرا مـــا يمكن تغييرها خلال حيـــاة الفـــرد ، واى فـــرد بـــاى مجتمـــع علـــى وجـــه الارض يمتلك على الاقـــل ثلاثـــة مراكـــز منســـوبة هـــى الجنـــس (ذكـــر او انثى) والعنصر البشرى والعمر . وفى بعض المجتمعيـــات يولـــد الفـــرد فـــى طبقة اجتماعية معينة ويبقى بها طوال حياتـــه . ففـــى هـــذه الحالـــة تكـــون الطبقة الاجتماعية ايضا مركـــز منســـوب . ومـــن الناحيـــة الاخـــرى تعتـــبر المراكز المحققة هـــى تلـــك المراكـــز التـــى يكتســـبها ويحققـــها ويختارهـــا الفرد بالمجتمع . فمثـــلا اى انســـان يمكـــن ان يختـــار ان يكـــون شخـــص متزوج او أب أو صديق .. الخ ، كما يمكن للفرد أن يكـــون لـــه الحـــق فـــى ان يصبـــح طبيبـــا او محاميـــا او مدرســـا او بائعـــا او عـــاملا وهكـــــذا . فالمراكز المحققة يكـــون للافـــراد بعـــض الســـيطرة والتحكـــم فيـــها علـــى عكس المراكز المنسوبة التى لا حيلة للافراد تجاهـــا. ومـــن ناحيـــة أخـــرى يرى بعض علماء الاجتماع ان المراكـــز المحققـــة للفـــرد بـــالمجتمع تتـــأثر فى النهايـــة بـــالمراكز المنســـوبة لـــه فـــالافراد ذوى المراكـــز المنســـوبة الاعلى من المتوقع تحقيقـــهم مراكـــز محققـــة أعلـــى بـــالمجتمع والعكـــس صحيح .

الأدوار : ROLES

يمكن تعريف الدور على انه نمط السلوك المتوقع المرتبط بمركز معين . فالدور له مجموعة من الواجبات والحقوق ، فمثلا مركز طالب الجامعة يتطلب حضور المحاضرات وحضور الدروس العملية وتادية الامتحانات المطلوبة منه خلال الفترة الدراسية وهكذا . وقد يبتعد بعض الطلبة قليلا عن هذا الدور بان يتغيبوا عن بعض المحاضرات مثلا ولكن الابتعاد كثيرا عن هذا الدور لايسمح به وربما تزول عنه صفة طالب بالجامعة وهكذا يفقد هذا المركز . وحقوق ووجبات الادوار تعتمد فى القبول المتبادل بين الافراد ن فمثلا لايمكن لفرد يشغل مركز مشترى أن يؤدى دوره دون ان يوجد شخص آخر يؤدى دور مركز البائع ، ولايمكن لفرد يشغل مركز تلميذ ان يؤدى دوره دون أن يوجد شخص آخر يؤدى دور مركز مدرس وهكذا . تلك العلاقات المتطابقة تعرف باسم تبادلية الدور . ومن ناحية أخرى نجد انه غالبا ما يؤدى الافراد مجموعة مختلفة من الادوار المتسقة مع بعضها البعض الا انه احيانا ما يكون هناك عدم توافق بين الادوا التى يؤديها البعض ، فمثلا قد يظهر لبعض النساء المشتغلات نوع من عدم الانسجام والصراع بين أداء دورهن كأمهات أو زوجات وبين أداء دورهن كعاملات فى وظائف معينة .

الجماعة الاجتماعية : SOCIAL GROUP

الجماعة الاجتماعية عبارة عن مجموعة من الافراد لهم هوية مشتركة وشعور بالوحدة معا وذوى بعض الاهداف والمعايير المشتركة وينطوى هذا التعريف على كون هؤلاء الافراد يدركون كونهم جزء من جماعة معينة . والجماعة الاجتماعية بهذا المفهوم لاتنطبق مثلا على

مجموعة من الافراد يقفون باحدى محطـات السـكة الحديديـة فـى انتظـار قطار معين فهؤلاء الافراد ربما يكـون لـهم هـدف مشـترك وهـو ركـوب قطار معين ولكنهم ليسـت لـهم الهويـة المشتركـة والاحسـاس بـالوحدة فهؤلاء الافـراد يمكـن ان ينطبـق عليـهم مصطلـح تجمـع . والجماعـة الاجتماعية تبقى وتظل لها حيثيتها بالرغم من تغيـير أفرادهـا ، فمثـلا قـد يبقى حزب سياسى معين مئات من السنين رغـم وفـاة مؤسسـيه فبـالرغم من ان الجماعات الاجتماعيـة تتكـون مـن أفـراد الا ان هـذه الجماعـات لاتندثر بالضرورة لمجرد حدوث تغيير فـى تركيـب عضويتـها علـى مـر الزمن.

وقـد أدرك عـالم الاجتمـاع الشـهير "دور كـايم" هـذا الوجـود المستقل للجماعة عندما لاحظ ان الجماعة ما هـى الا معنـى مجـرد أكـثر مـن كونـها مجمـوع للاجـزاء ، وبـالرغم ان الجماعـات لـها أركانـها المشتركة السابق ذكرها فى تعريفهت اى انـها تختلـف فيمـا بينـها وفقـا لعوامل عديدة من أمثلتـها اهـداف الجماعـة وأسـس عضويـة الجماعـة ومدة العضوية بالجماعة وفترة بقـاء الجماعـة ودرجـة التبـاين الداخلـى بالجماعة ودرجة الـترابط بالجماعـة وتماسـكها واخـيرا انمـاط التفـاعل داخل الجماعـة . كمـا ان الجماعـة تـتراوح فـى حجمـها مـن مجـرد شخصين الى المجموعات الكبيرة جدا التـى بـها مئـات مـن الاعضـاء . وكلما زاد حجم الجماعة بمعـدل حسـابى كلمـا زاد معـدل التفـاعل بيـن اعضائها بمعدل هندسى كما هو مبيـن بـالجدول :

حجم الجماعة	عدد العلاقات الممكنة
٢	١
٣	٦
٤	٢٥
٥	٩٠
٦	٢٠١
٧	٩٦٦

أنواع الجماعات :

يمكن تصنيف الجماعات اولا وفقا لدرجة الالفة او المودة التى يشعر بها الأعضاء تجاه بعضهم البعض الى جماعات اولية (شخصية) وجماعات ثانوية (غير شخصية).

الجماعات الأولية : PRIMARY GROUP

يوجد الشكل الاساسى من العلاقات الاجتماعية فى الاسرة وجماعات الاصدقاء حيث يمكن لأى فرد فى هذا الشكل من الجماعات من الاتصال الشخصى والمباشر والفورى مع سائر أفراد الجماعة . وهذا النوع من العلاقات الاجتماعية يسمى علاقات اولية ، والجماعات التى يوجد بها هذا النوع من العلاقات الاجتماعية تسمى جماعات اولية . وهذا الشكل من الجماعات الاجتماعية لاغنى عنه لاى انسان عن الانتماء لواحدة منها على الاقل ان لم يكن أكثر ، فالجماعات الاولية تشعر أفرادها باهميتهم الانسانية وتمنحهم الدفء العاطفى فى العلاقات الانسانية واحساسهم بذاتهم من خلال الاهتمام المتبادل ومراعاة مشاعر بعضهم البعض ، كما يعتبر اى فقد لاى عضو منها خسارة جسيمة من الصعب تعويضها .

الجماعات الثانوية : SECONDARY GROUP

ينتمى الافراد بالمجتمع عادة بجانب انتمائهم الى جماعات اولية الى شكل آخر من الجماعات الاجتماعية الا وهو الجماعات الثانوية ، ويتسم التفاعل الاجتماعى داخل الجماعات الثانوية بدرجة أقل من الشخصية والعاطفية عنه فى الجماعات الاولية . وفى هذا النوع من الجماعات الاجتماعية وان كان الاتصال المباشر اليومى مازال موجودا فى بعض الاحيان الا انه لايتطلب نفس درجة الالتزام الشخصى المميز للجماعات الاولية . فمثلا فى قاعة المحاضرات نجد ان الطلبة يظهرون فقط اهتماما مشتركا تجاه تعلم شىء جديد الا وهو موضوع المحاضرة فهم يتفاعلون هنافى جماعة ثانوية فى شكل اكثر رسمة ويمثل اهتمامهم فى هذه المحاضرة فقط جزءا ضئيلا من اهتماماتهم الشخصية فى كافة جوانب حياتهم وينتهى هذا التفاعل بمجرد انتهاء المحاضرة ، فى الجماعات الثانوية يكون اهتمام الفرد اساسا تجاه انجاز هدف محدد اكثر من اشباع اى احتياجات عاطفية كما هو فى الجماعات الاولية . وقد تنشا أحياناً جماعات اولية داخل الجماعات الثانوية ، فمثلا قد تنشأ علاقة صداقة حميمة بين اثنين او ثلاثة من طلبة صف دراسى معين وبالتالى يكونون جماعة اولية داخل جماعة اكبر ثانوية .

أنماط التفاعل الجماعي : GROUP INTERACTION PATTERNS

توجد عـــدة انمـــاط للتفـــاعل الاجتمـــاعي اساسية ونحـــدث بيـــن وداخل كل انواع الجماعات والتـــي بدونـــها لايمكـــن ان تقـــوم قائمـــة لاى مجتمع بشرى وهى كما يلـــى :

١ - *التعاون والتبادل : EXCHANGE AND COOPERATION*

التبادل هو أحـــد الاشكـــال الرئيســـية للتفـــاعل الاجتمـــاعي وهـــو يحدث عندما تقايض جماعـــة او فـــرد سـلعة مـــا او خدمـــة معينـــةمقابل نظير لها فى نفس القيمـــة بينمـــا يحـــدث التعـــاون عندمـــا يرتبـــط معـــا مجموعة مـــن الافـــراد او الجماعـــات ويشـــتركون بمواردهـــم وقدراتـــهم ومجهوداتهم لانجاز هدف مشترك معين . والتبادل غالبـــا مـــا يحـــدث مـــن خلال أفعال متداخلـــة مـــن التعـــاون ، فالتعـــاون يعتـــبر أســـاس قيـــام اى مجتمع بشرى فبدونه لايمكـــن لاى جماعـــة او فـــرد ان ينجـــز اهدافـــه او يشبع احتياجاته ، فمن خـــلال الاعتمـــاد المتبـــادل بيـــن الافـــراد والوحـــدة والتعاون بينهم تزداد قوتـــهم .

٢ - *التنافس والنزاع : COMPETITION AND CONFLICT*

ليس فقط كـــل التفـــاعل علـــى وجـــه الارض عبـــارة عـــن تبـــادل وتعاون اذا كان العالم منسجم التجـــانس والتناســـق تمامـــا فـــهناك اشكـــال أخرى من التفاعل تعتبر هـــى ايضـــا أساســـية لوجـــود وبقـــاء الجماعـــات ونجاح تفاعلها مع الجماعـــات الأخـــرى.

من هذه الاشكال التنـــافس الـــذى يمكـــن تعريفـــه علـــى انـــه أحـــد أشكال التفاعل الاجتماعي الذى ربما هدفيـــه فرديـــن او أكـــثر او جمـــاعتين او أكثر نحو هـــدف معيـــن لايمكـــن الحصـــول عليـــه الا لأحدهمـــا فقـــط .

والتنافس مثل التبادل والتعاون يحدث مرارا في المجتمع ويحقق عدة وظائف للجماعات فالتنافس ربما يكون هو أساس التفاعل الجماعي فبدون التنافس لايمكن ان تقوم للالعاب الرياضية قائمة . كما يعمل التنافس على زيادة مجهودات الافراد حتى يمكن لهم اشباع احتياجاتهم واهدافهم محل التنافس. ويحدث التنافس والتعاون غالبا في وقت واحد، فمثلا في مباراة كرة القدم يتعاون افراد كل فريق معا لاداء المباراة على خير وجه وفي نفس الوقت يتنافس الفريقان على تحقيق الفوز واحراز أكبر عدد من الاهداف في مرمى الفريق الآخر .

والتنافس مثل التبادل والتعاون محكوم بقواعد منظمة لسلوك افراد الجماعة الا انه احيانا ما تخالف هذه القواعد ويتحول التفاعل الى شكل نزاعي . حيث يصبح الهدف في النزاع هو تحطيم واقصاء الطرف الآخر او السيطرة عليه فعلى النقيض من التنافس الذي يحاول فيه المتنافسون الحصول على مكاسب على حساب بعضهم ولكن دون تحطيم او ايذاء بعضهم نجد ان النزاع قد يأخذ مدى واسعا ابتداء من التشاجر بين الاصدقاء الى الحرب بين الدول .

فغالبا ما ينظر الى النزاع على انه شيء تدميري يجب تلافيه ، ويكفي ان نتذكر آثار الحروب الدولية على شعوبها وحتى النزاع الاسري الذي غالبا ما يؤدي الى حدوث طلاق لندرك الجوانب السيئة للنزاع على انه من الجانب الاخر يرى بعض علماء الاجتماع ان هناك بعض الجوانب الايجابية للنزاع .

فالنزاع بين الجماعات المختلفة يعمل على تقويم العلاقات الاجتماعية داخل كل جماعة وتوحيد جهود افرادها ، فوجود خطر خارجي يهدد الجماعة يعمل على صهر وترابط أفراد الجماعة معا كما

يحدث فى حالة الحروب بين الدول وما نلاحظه من زيادة التماسك الاجتماعى بين افراد الدولة الواحدة . فضلا عن ذلك فقد يؤدى النزاع الى زيادة الابتكار والاختراعات وبالتالى زيادة التغير الاجتماعى فى المجتمعات . فمثلا معظم التقدم الذى حدث فى الطب نتج من جراء الحرب العالمية الثانية .

المهادنة والاستثمال

غالبا ما يتم القضاء على النزاع من خلال اتفاق الاطراف المتضاربة على المهادنة . فالمهادنة هى تلك العملية التى يتم فيها الاتفاق على وقف الانشطة العدائية والعمل نحو التواجد معا فى سلام. ويتم حدوث المهادنة من خلال وسائل عديدة مثل التدخل الخارجى والتوسط او التداخل .. الخ . ويجب ملاحظة ان المهادنة تعتبر اتفاق مؤقت بين الاطراف فهو غالبا ما يقوم استنادا على حاجة كل جماعة الى العمل مع الجماعة الاخرى . وبالتالى تحتفظ كل جماعة بآرائها السابقة وأهدافها ولكن تضعهم جانبا او تتخلى عنهم مؤقتا خلال عملية المهادنة .

والمهادنة قد تؤدى الى حدوث عملية اخرى هى الاستثمال الاجتماعى وهى تلك العملية التى تنخرط أو تندمج فيها الجماعة الاقلية الى كينونه الجماعة الغالبية فمثلا عند قدوم جماعات المهاجرين الى دولة معينة ياخذون فى التحكم التدريبى عند ثقافتهم الاصلية ويبدأون فى اقتباس عناصر ثقافية من الثقافة النازحين اليها حتى يصبحوا بمرور الايام جزءا من هذه الثقافة وافرادا كسائر افراد المجتمع المهاجر اليه. والاستثمال كعملية لايحدث فقط بين الجماعات وبعضها ولكن ايضا فى التفاعل بين الفرد وبين الجماعة وذلك عندما يصبح الفرد عضوا فى هذه الجماعة .

المنظمات

لقد ظهرت المنظمات فى حياة المجتمع الانسانى لكى تسد الثغرات التى نشات نتيجة تحلل الاسرة والقبيلة وغيرها من الجماعات الاولية من وظائفها التقليدية ثم أخذت تنمو وتنتشر بالتدرج حتى أصبحت تغطى أغلب النواحى الحيوية للنشاط فى المجتمع الانسانى حتى أن " أتزيونى" يوضح أهمية ذلك بقوله " نحن نولد فى منظمات ونتعلم فى منظمات ومعظمنا يقضى كثيرا من حياته فى منظمات ، كما واننا نقضى وقت فراغنا فى منظمات ومعظمنا سوف يموت فى منظمات وعندما يحين وقت الدفن فان منظمتنا الاكبر وهى الدولة لابد وان تمنح الترخيص الرسمى بذلك . وفى مجال آخر يقول نفس العالم ان المنظمات تشبع احتياجات الانسان العاطفية والروحية والعقلية والاقتصادية وهى تقوم على فكرة ان تحقيق هذه الاهداف بصورة جماعية احسن منها فردية .

ويكفى للتدليل على اهمية المنظمات ان المنظمات التعليمية تقوم بوظيفة التربية والصقل نيابة عن الاسرة ، كما ان المنظمات الاجتماعية لها دور كبير فى عمليات الضبط الاجتماعى والرقابة والتنشئة الاجتماعية كذلك ، كما وان المنظمات الاقتصادية صناعية وزراعية تقوم بجوانب هامة من الوظيفة الاقتصادية التى أصبحت الاسرة عاجزة عن القيام بها أو ترفض ذلك فى بعض الاحيان .

من هذا نستطيع ان ندرك عمق العلاقة بين المنظمات والمجتمع الانسانى حيث انها كالعلاقة العضوية قوامها مواجهة احتياجات المجتمع وتلبية رغباته وفى مقابل هذا فان المجتمع يتكفل بدعم ومساندة المنظمات التى تقوم على خدمته ويعمل على توفير ما

تحتاجه من موارد مادية وبشرية . ان وجـــود المنظمـــات أصبـــح ضـــرورة تحتمها حاجات المجتمع التـــى أصبـــح مـــن ســـماتها التغيـــر المســـتمر والميل الى التعقيد . ان المنظمـــات بوســـعها توفـــير التخصـــص والتفـــرغ والجهد الذى يلزم لمواجهة مشكلات الانســـان المعـــاصر وليـــس هنـــاك اى نوع آخر من التنظيمات البشرية يستطيع ذلك فـــى الوقـــت الحـــالى ســـوى المنظمات . وقبل ان نتناول نظرية التنظيم واشكـــال التنظيـــم بالدولـــة فـــان الامر يتطلب دراسة بعض المفـــاهيم المتعلقـــة بالحاجـــات الانســـانية وكـــذا الاسباب الداعية لدراسة المنظمـــــات .

طبيعة الحاجات الانسانية :

لانعنى بالحاجات الانســـانية الحاجـــات الفســـيولوجية فقـــط وانمـــا الحاجـــة للتقديـــر والاحـــترام ، والشعـــور بـــالذات ، والقبـــول أو التقديـــر الاجتماعى . فكلنا نشعر بالحاجات الفســـيولوجية ، كالحاجـــة الـــى الطعـــام والشراب عندما نشعـــر بذلـــك . امـــا الحاجـــة الـــى التقديـــر والاحســـاس بالذات والحب فقد يصعب التعبير عنها بدقة ومـــع ذلـــك فـــهى جـــزء مـــن الجانب النفسى للفرد والتى يتطلب بدورهـــا اشباعـــا لـــهذه الناحيـــة . لـــذا فانه من الضرورى اشبـــاع الحاجـــات الفســـيولوجية اذا مـــا رغبنـــا فـــى الحفاظ على الحياه . ولكنها وبصفة عامـــة قـــد تكـــون أقـــل أهميـــة مـــن الحاجات العليا فى فهم ســـلوك الافـــراد اثنـــاء العمـــل، فاشبـــاع الحاجـــات العليا تحددبشكل كبـــير الـــى أى مـــدى يخصـــص الفـــرد قدراتـــه العقليـــة والبدنية فى العمل ويتطلب هذا التركيز علـــى فـــهم طبيعـــة هـــذه الحاجـــات العليا ومدخل اشباعها من خـــلال انشطـــة مختلفـــة واشكـــال مختلفـــة مـــن العلاقات .

[illegible]

في الواقع توجد عدة نظريات مختلفة حول هذه الحاجات ن واحد هذه التصنيفات الشائعة والمقبولة تلك التي قدمها "ماسلو" وهو عالم نفس أعد نظريته حول الدافعية ، فلقد قسم الحاجات الانسانية الى خمسة مجموعات هي :

١- الحاجات الفسيولوجية .

٢- الحاجة للامن والامان .

٣- الحاجة الخاصة بالانتماء والحب (الحاجات الاجتماعية)

٤- الحاجة الى التقدير.

٥- الحاجة الى تحقيق الذات .

١- الحاجات الفسيولوجية :

تتضمن هذه المجموعة من الحاجات الحاجة الى الطعام والماء والهواء والنوم.. الخ وهى المتطلبات الاساسية للحفاظ على الجسم في حالة توازن .

٢- الحاجة للامن والامان :

تشتمل هذه المجموعة على حاجة الفرد للامن والامان ، سواء من الناحية البدنية او النفسية ، اى الحاجة للحماية من الاخطار الخارجية ، فمثلا معظم العاملين يرغبون في أداء الاعمال الخالية من المخاطر والتي تهدد البدن او النفس ويحقق الامان والاستقرار الوظيفى.

٣- الحاجة للانتماء والحب (الحاجات الاجتماعية) :

تعتبر الحاجة للنشاط الاجتماعي وجذب الانتباه اهم حاجات هذه الفئة ، حيث يرغب الفرد في اجراء مزيد من العلاقات مع الافراد بصفة عامة مع رغبته في احتلال مركز مرموق داخل الفئة التي ينتمي اليها .

٤- الحاجة الى التقدير والاحترام :

تتضمن هذه المجموعة الرغبة في احترام الذات ، من ناحية المقدرة والانجاز، الدقة والاخلاص والكفاءة ، والثقة في كل من حوله والاستقلالية وحرية التصرف ، وايضا الرغبة في السمعة واحتلال مركز مرموق والاحترام والتقدير من الاخرين .

٥- الحاجة لتحقيق الذات :

بمعنى ان يكون له اسم معروف وان يكون ذات معنى ، وان يؤدي عملا معينا يقدر عليه يحقق له ما كان يأمل فيه .

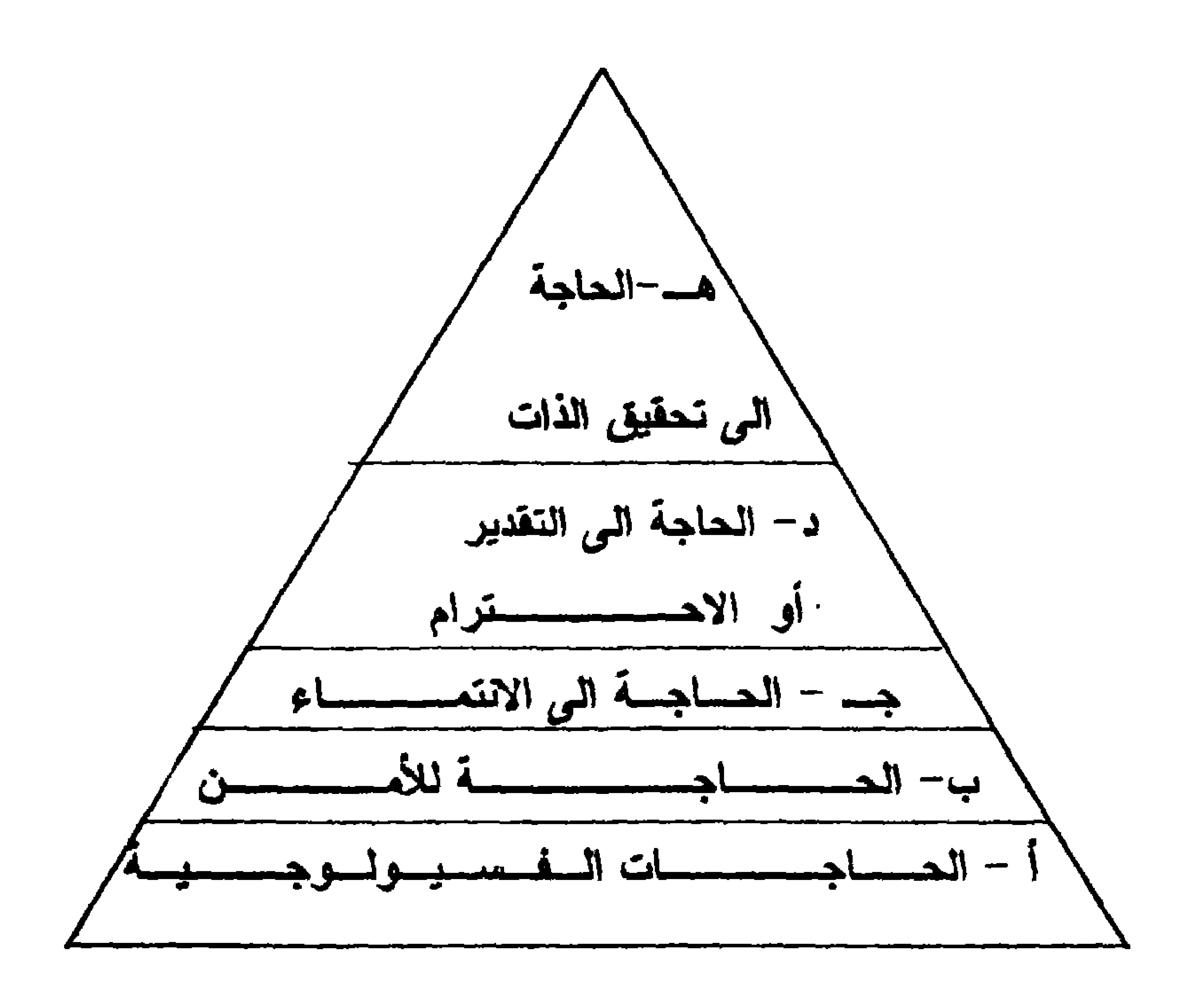
ولايعنى اننا اوضحنا الحاجات الانسانية وتم تصنيفها وفقا للاساس السابق اننا توصلنا الى تفسير للسلوك الانسانى . ففى تحليلنا ودراستنا للدوافع الفردية - فلا يجب ان نركز الاهتمام على اى من هذه الحاجات بمعزل عن الحاجات الاخرى . فالسلوك له دوافع متعددة.

اولوية الحاجات :

يجب ان تركز الدافعية على الاهمية النسبية بمختلف الحاجات وذلك كشرط لتحقيق الغاية منها ، وبناء على نظرية "ماسلو" ترتب الحاجات الانسانية حسب الاولويات كما هو موضح بالشكل

شكل رقم (٢)

أولوية الحاجات الانسانية



وبناء على هذه النظرية احتلت الحاجات الفسيولوجية المرتبة الاولى حيث تتطلب الاشباع والتحقق قبل الحاجات الأخرى ، وبعد اشباع وتحقق هذه الحاجة تبدأ الحاجة للامن والامان فى السيطرة ، وعند هذه النقطة يهتم الفرد بالجوانب المادية والنفسية ويعنى هذا ان العامل يأمل فى تحقيق الأمن والوقاية من الأخطار وكذلك الأمان من الظروف الاقتصادية غير المستقرة والتهديدات من قبل الآخرين .

وبعد اتباع هاتين الحاجتين (الفسيولوجية ، والأمان) بطريقة مرضية تبدأ الحاجة للانتماء والحب فى الظهور كمرحلة تالية من حيث السيادة والسيطرة على السلوك فى هيكل الحاجات . وبذلك

يتوجه السلوك للبحث عن تكوين صداقـات مـع الآخريـن واحتـلال مركـز ملائم داخل المجموعة التى ينتمـى اليـها .

ان الكثير من الافراد يرغبون فـى الاحسـاس والشعـور بالانتمـاء للغير ، ويتحقـق هـذا مـن خـلال زيـادة الروابـط الاسـرية والتعـارف والاصدقاء ، فالجانب الاعظم من اليـوم يقضيـه الفـرد فـى العمـل مـع رؤية زملائه وتابعيه ، فاذا كانت هـذه العلاقـات تتصـف بـالود والمحبـة والالفة فان هذه الحاجة ستتحقق أو تشبع الى حـد مـا ، واذا لـم يسـتطع الفرد اتباع هـذه الحاجـة داخـل مكـان العمـل نتيجـة اختـلاف الطبـاع والعادات والتقاليد مثلا فانه يتوقع من الفرد البحـث عـن مدخـل لاشبـاع هذه الحاجة فى مكان آخـر.

ويقع فى قمة سـلم الحـاجت لماسـلو حاجـات خاصـة بـالتقدير والاحترام وتحقيق الـذات ، حيـث تتضمـن هـذه الحاجـات ، الانجـاز ، السيادة ، الثقة ، الاستقلال ، الشهرة، وتحقيق كل مـا يكـون قـادرا علـى تحقيقه . وطالما تـم اشبـاع الحاجـات الدنيـا فتسـود أو تسـيطر هـذه الحاجات العليا وتؤثر فى السـلوك الفـردى .

فالقليل منا حقق بانكامل هذه الحاجـات العليـا ، وقـد اتضـح مـن احـدى الدراسـات الخاصـة بالحاجـات والتـى أجريـت علـى بعـض المستويات الاداريـة ثـم الادارة الوسـطى والاشرافيـة وجـد ان الحاجـة لتحقيق الذات تمثل الدائرة الحرجة فى سـلم الحاجـات مـن ناحيـة الادراك بالعجز فى تحقيقها وكذلك الاحساس بعـد التـوازن للفـرد ، وأكـثر ممـا سبق وجد ان أفراد الادارة الوسطى ليـس لديـهم احسـاس بانـهم حققـوا الحاجة لتحقيق الذات باى درجة أو مـدى . ويتسـاوى هـذا مـع توصلـت اليه الدراسة من أفراد الادارة الاشرافية الذيـن شملـهم البحـث .

التمايز فى حاجات الافراد :

لكل شخص نموذج الحاجة الخاص به ، لذا ينبغى على الملاحظ أن يتعرف على هذه الاختلافات ويستفيد من هذه المعرفة بطريقة تؤدى الى تحقيق أكبر اشباع للفرد ويتمشى مع اتجاهه للاهداف التنظيمية ، ونظرا لاهمية هذه الإختلافات والتمايزات فى نماذج الحاجة ، فسوف نركز على بيان جوانب الاختلاف بين الافراد والعوامل المسببة فى هذا التمايز .

مجال ومدخل الاختلاف بين الافراد :

طالما ان الحاجات عند أى مستوى يتم اشباعها جزنيا ، فتبدأ الحاجات فى المستوى التالى الاعلى فى السيطرة والظهور ، ويعنى هذا انه لايشترط إشباع الحاجة بالكامل قبل ظهور الحاجة الأعلى ، فمثلا إذا أتم اشباع الحاجات الفسيولوجية ، والحاجة للأمن بنسبة ٧٥% لفرد ، بينما تم اشباع الحاجة الخاصة بالانتماء بنسبة ٢٥% فان سلوكه سيوجه فى المقام الاول نحو إشباع الحاجات الخاصة بالانتماء وحب الغير .

ويرجع التباين فى نماذج الحاجات بين جماعة من الافراد نتيجة لاختلاف المصالح ، والاتجاهات والمهارات والقدرات بينهم ونتيجة للخبرات السابقة وما تحقق من اشباعات وجوانب الاحباط والفشل فى حياة الفرد ، فانه يترتب على ذلك وجود بعض الحاجات أكثر الحاحا ورغبة فى التحقق من غيرها .

العامل الآخر المؤثر فى الحاجات هو الاختلاف الطبقى ، فالافراد الذين ينتمون الى الطبقات العليا فى المجتمع (اجتماعيا

واقتصاديا) لهم حاجات وطموحات مختلفة ومتمايزة عن اولئك الذين ينتمون الى الطبقات الوسطى والدنيا . فمثلا ابن مدير البنك يدرك ان وظيفة الميكانيكى لاتتناسب مع مستواه وطبقته ، بينما يرى ابن المزارع ان هذه الطبقة افضل بديل له . ومعنى ما سبق ان الفرد الذى ينتمى للطبقات العليا فى المجتمع لايؤثر هذا الانتماء فى طموحاته المهنية فقط وانما ايضا فى اتجاهاته نحو العمل والسلطة والتعليم والثقافة والاعداد والتدريب والمسئولية والعوامل الاخرى ذات التاثير على الانجاز .

نظرية التنظيم

المقصود بالتنظيم هنا هو العمل الانسانى الجماعى المنظم حيث يشترك الافراد طواعية في أداء عمل مكون من أجزاء متفرقة قد تتجمع بالتدريج ،وهو عمل يكتمل على مراحل مترابطة ومتلاحقة ، وحيث يعمل الافراد فى مجموعات (او فرادى احيانا) واعين بأن عمل مجموعة هو جزء من عمل الجماعة الكبرى الكلى . وقد ارتبطت هذه النظرية منذ عشرينات القرن العشرين بعلم الادارة الذى تطور منذ أواخر القرن الماضى فى مراكز الابحاث حديثة النشأة آنذاك التى أقامتها كبرى الشركات والمصارف الامريكية ، وكانت أول دراسة اشتهرت اكاديميا هى تلك التى أجرتها شركة هاشون الغربية فى شيكاغو فيما بين عام ١٩٢٤ وعام ١٩٣٦ حول كفاءة وانتاجية العمال والموظفين فى مصانع التوربينات والمولدات بالشركة ، وكان أهم مبدا أكدته هذه الدراسة هو القول بان زيادة الانتاجية تقدم اساسا باقتناع العمل بان أى اجراء أو قرار أو تغير تقرره الادارة ، انما ينبع اساسا من اهتمام الادارة بمصالحهم ومن حسن نواياهم ازاءهم ، وقد

دخل هذا المبدأ بعد ذلك فى بناء علم النفس الصناعى والادارى كواحد من أهم مبادىء هذا العلم اضافة الى دخوله فى سياق النظرية العامة للتنظيم وقد شملت هذه النظرية :

١-مفهوم البيروقراطية الذى وضعه عالم الاجتماع الالمانى ماكس فيبر (١٩٤٧) والذى ادى الى الافكار الحديثة عن تأثير اتجاهات الافراد الشخصية على التنظيم .

٢-التفرقة التى وضعها عالم الاجتماع الامريكى مارك جريجور بين العمل القائم على طاعة الاوامر وبين العمل القائم على رضا العاملين وتحقيقهم لذواتهم .

٣-التفاعل بين نوع التكنولوجيا والادارة .

٤-التفاعل بين المجموعات ذات التخصصات المختلفة فى اطار الجماعة الكبرى التى يضعها البناء التنظيمى الشامل للمشروع كله.

ولقد تعددت الطرق لدراسة المنظمات ، ومن هذه الطرق :

- *دراسة المنظمات من الناحية البنائية الوظيفية :* وفى مقدمة العلماء الذين اهتموا بهذا الاتجاه سيشور وأودى وفيبر وبارسونز وسلزنيك وهم يشتركون فيما بينهم فى النظرة الى المنظمة على انها " تجمع بشرى ينشأ بنية الاستمرار والدوام من أجل تحقيق أهداف معينة" ، ومن هنا يكمن النظر الى المنظمة من ثلاث زوايا مختلفة ، فالبعض يرى ان المنظمة أداة لتحقيق اهداف معينة ومحددة ، والبعض الاخر ينظر اليها على انها بنيان هادف (ذو هدف) ، وفريق ثالث ينظر الى المنظمة على انها نظام أو نسق اجتماعى .

- *دراسة المنظمات من الناحية السلوكية* : ويعتبر هربرت سيمون وهوايت في مقدمة العلماء الذين اهتموا بدراسة المنظمات من الناحية السلوكية ، وفي رأيهم ان المنظمة عبارة عن بيئة خاصة يعيش فيها الافراد ويعطون من خلالها ، فهي تطبع سلوكهم وشخصيتهم بطابع خاص يختلف في محتواه وفي مداه تبعا لدرجة الحرية التي يمارسونها أو تبعا لدرجة الانتماء للمنظمة . ويرى أصحاب النظرية السلوكية ان سلوك الانسان في اطار المنظمات ينتج عن ثلاث مجموعات من المتغيرات ، المجموعة الاولى منها هي مجموعة العوامل الفردية التي تتعلق بالفرد ، والمجموعة الثانية ترتبط بالجماعات الصغيرة التي تتكون بصفة غير رسمية داخل المنظمات الرسمية وتكون سببا في نشوء ما يعرف بالتنظيم غير الرسمي ، اما المجموعة الثالثة من المتغيرات فانها تتضمن عوامل تتصل اتصالا مباشرا بالتنظيم الرسمي

- *أصحاب النظرة البيئية* : وفي مقدمة روادها سلزنيك ولبيرسون فهم قد تناولوا دراسة المنظمات من حيث تأثير البيئة فيها وتأثيرها في البيئة وينظرون الى المنظمة على انها كيان داخل كيان أكبر وأوسع . ولقد عبروا عن كل هذا في بحوثهم وكتاباتهم حيث اهتموا بتحليل العلاقة بين المنظمة والاطار الثقافي أو البيئة الثقافية .

ونظرا لان التنظيم ظاهرة اجتماعية فلقد اختلفت الاراء كما سبق في تفسير هذه الظاهرة وينتج عن هذا الاختلاف اختلاف آخر في ماهية طبيعة التنظيمات الانسانية ، وكيف تعمل تلك التنظيمات ، وكيف تتحرك وتتطور . ولقد حاول الشريف الاجابة عن مجموعة التساؤلات المتعلقة بالتنظيم من خلال محاولته التمييز بين مبادىء وفروض النظرية التقليدية للتنظيم وبين فروض ومبادىء النظرية الحديثة والتي يطلق عليها أحيانا اسم النظرية السلوكية ، وسنتناول كلاهما بشيء من التفصيل في الجزء الاتي :

النظرية التقليدية

يمكن مناقشة الفكر التنظيمي من خلال نقطتين هما البيروقراطية ، ثم فروض ومبادىء التنظيم الرسمى .

أولا : البيروقراطية

ترتبط البيروقراطية بالمنظمات كبيرة الحجم سواء كانت هذه المنظمات عامة أو خاصة وهذه المنظمات تتميز بتعقد المشاكل التنظيمية والادارية التى تواجهها فمن ناحية نجد أن العمل مقسم الى أجزاء صغيرة وإن العمل الواحد يقوم به مجموعة من الافراد ، ومن ناحية أخرى يضم التنظيم مستويات ادارية متعددة تجعل عملية الاتصال رأسيا أو أفقيا فى منتهى الصعوبة ، ومن ناحية ثالثة فان العلاقة بين الرئيس والمرؤسين لاتصبح علاقة شخصية ومباشرة بحيث تصعب عملية تقييم كفاءة المرؤوسين . وفى ظل هذا المناخ التنظيمى المعقد يصبح من الضرورى وجود لوائح ونظم وقواعد تحكم عملية تحديد الخطوط الفاصلة بين مختلف التخصصات ضمانا لعدم حدوث التضارب والاحتكاك بين الوحدات التنظيمية . ويصبح من الضرورى ايضا وجود مسالك محددة للاتصال الرسمى تحددها الادارة العليا . وبهذه الوسيلة تتجرد الوظائف من شتى المؤثرات الشخصية التى قد تؤثر فى أداء شاغلها .

يتضح مما سبق أن البيروقراطية انما تستهدف الغاء الطابع الشخصى من حيث توزيع الاعمال أو طرق أدائها أو تقييم الأداء . وبمعنى آخر فان مجموعة النظم واللوائح تحدد السلوك التنظيمى كما يجب أن يكون اعتقادا بأن هذا السلوك يمثل أفضل سلوك يمكن ان يمكن التنظيم من تحقيق أهدافه واعتقادا بأن هذه اللوائح هى ضمان لحماية التنظيم من الفساد والتسيب والانحراف .

والبيروقراطية طبقـــا للمعنـــى الســـابق ضـــرورة حيويـــة لجميـــع المنظمات كبيرة الحجم واذا أمكن تحويل المثالثة الـــى واقـــع فانـــها تصبـــح افضل شكل تنظيمى ممكن ولكـــن الـــذى يحـــدث عـــادة هـــو التمـــادى فـــى تطبيق اللوائح والتمسك الحرفى بها . ومـــع طـــول تعـــود العـــاملين علـــى هذا المناخ ومـــع صعوبـــة تعديـــل اللوائـــح بمـــا يتمشـــى مـــع التغـــيرات والمؤثرات التى يتعرض لها التنظيم يزحف مـــرض الجمـــود الـــى الســـلوك التنظيمى وتصبح المبادرات الشخصية شيئـــا نـــادرا أو مخالفـــا للتعليمـــات واللوائح . ومن ثم تبدأ لآثار السلبية للبيروقراطيـــة فـــى الظـــهور .

نظرية ماكس فيبر فى البيروقراطية

تهدف هذه النظرية الـــى تحقيـــق النمـــط المثـــالى للتنظيـــم ، هـــذا النمط يتضمن ثلاثة أبعاد هـــى :

١- علاقات الســـلطة .

٢- خصائص التنظيـــم البـــيروقراطى

٣- مركز الموظف فى التنظيـــم البـــيروقراطى .

أولا : علاقات السلطة :

فى هذا الصدد يقول فيـــبر ان المنظمـــات تتضمـــن دائمـــا علاقـــات للسلطة تعطى الحق لبعض الافراد فى اصادر الاوامـــر الـــى أفـــراد آخريـــن أو بمعنى آخر تزود بعض الافراد بنوع مـــن النفـــوذ والســـلطة ، والشـــىء الذى كان يشغل ذهن فيبر هو الاســـاس الـــذى تقـــوم عليـــه الســـلطة فـــى المجتمع أو فى المنظمات حيث كان يحاول الاجابـــة علـــى ســـؤال محتـــواه لماذا ينظر (التابعون) المرؤسون الى عمليـــة ممارســـة الســـلطة بواســـطة القادة (الرؤساء) على انها شىء شرعـــى ؟ للاجابـــة علـــى هـــذا الســـؤال

يميز فيبر بين ثلاثة وسائل تحقق شرعية السلطة أطلق عليها السلطة البطولية - السلطة التقليدية - السلطة القانونية .

١ - السلطة البطولية Charismatic Authority

تقوم هذه السلطة على صفات وقدرات خارقة أو غير عادية يتميز بها فرد ما عن الآخرين ، هذه الصفات تمكن ذلك الفرد من الحصول على طاعة الاخرين واذاعانهم فيصبحون تابعون له ويأتمرون بأمره . ويقول فيبر أن أساس السلطة الذى يمثله القائد الكاريزمى هو نوع من الالهام الذى يتمتع به هذا القائد والقدرة غير الطبيعية على تغيير نمط العلاقات الاجتماعية السائدة بما يحقق مصلحة تابعية ولذلك فان هذا النوع من السلطة يوجد فى القادة السياسيين وقادة الثورات والحركات التاريخية.

ان نموذج السلطة البطولية وان كان يحقق للتنظيم انجازات ملموسة فى حياة القائد البطولى ، الا ان التنظيم يتعرض لحالة عدم استقرار عند فقد هذا القائد . ويواجه التنظيم مشكلة من يخلف القائد بعد رحيله ، فمن غير المحتمل أن يمتلك القائد الذى يخلفه نفس الصفات البطولية .

اذن فان ازدهار التنظيم مرهون بوجود القائد البطولى أو الكاريزمى وحيث ان حياة التنظيم أطول كثيرا من حياة الانسان الفرد فان بناء علاقات السلطة فى التنظيمات الاجتماعية حول مفهوم السلطة البطولية ينتهى بها الى التفكك والانهيار .

٢ - السلطة التقليدية Traditional Authority

إن أساس السلطة والسيطرة فى النموذج التقليدى هو التزام القائد الجديد الذى يأتى بعد القائد البطولى بالتمسك بنفس النهج الذى

[illegible] الأخير ، والمستروبيج لعدد من القيم والمبادئ [illegible]

ويصبح تأييد التابعين للقائد الجديد مرهونا بهذا الالتزام . وهذا النوع من السلطة يقوم على اعتراف وقبول [illegible] عليها بين أفــراد المجتمــع وبمقتضــى هــذه الاعترافات يستطيع بعض الافراد بحكم مكانتهم الاجتماعية القائمة علــى بعـض الاســس أو القرابــة أو الجنس أن يمارسوا نفوذا أو تاثيرا على الآخريــن . بمعنــى آخـر فـان التمتع بالسلطة فى ظل هذا المفــهوم لايكــون علــى اســاس القــدرات او المواهب التى يتمتع بها حائز السلطة بــل بنــاءا علــى مكانــة اجتماعيــة يحددها العرف الاجتماعى الســائد .

والنموذج التقليدى كســابقه يــؤدى الــى العديــد مــن المشــاكل ، أهمها اتهام القائد التقليــدى بــالخروج عــن مبــادىء القــائد البطولــى ، والانحراف عن النهج الذى سار عليه، عندئــذ تتكــون جماعــات مناهضــة للقائد التقليدى تدعى لنفسها صدقــا أو كذبــا - الالــتزام بفلســفة القــائد البطولى ومبادئه . ويترتب على ذلــك نــوع مــن الصراعــات التــى تــهدد بقاء التنظيم نفســه .

٣- *السلطة القانونيــة* ***Legal Authority***

تستند السلطة القانونية على أســس موضوعيــة ورشيــدة وحــائز هذه السلطة يمارسها انطلاقا مــن المركــز الوظيفــى الــذى يشغلــه فــى التنظيم ، وهــذا النــوع مــن الســلطة يدعــى رشيــدا لان الوســائل فيــه مصممة ومعبر عنــها بطريقــة واضحــة ، ولغــرض واضــح هــو انجــاز اهداف محددة . وهذا النمــوذج يعتــبر ايضــا قانونيــا لان الســلطة فيــه تمارس من خلال نظام للقواعد والاجــراءات المرتبطــة بــالمركز المعيــن ، بمعنى آخر فان الســلطة ترتبــط بــالمركز وليــس بــالفرد الــذى يشغلــه

وعندما يتم ذلك يتحقق للتنظيم نوع من الثبات والاستقرار والاستمرارية علاوة على الموضوعية فى علاقات السلطة وهذا كله ينعكس على الكفاءة والرشد اللذين يميزان التنظيم القائم على هذا المفهوم ، وقد اطلق فيبر اصطلاح التنظيم البيروقراطى على هذا النمط المثالى لعلاقات السلطة .

ان التنظيم البيروقراطى بالمعنى الذى حدده فيبر يختلف تماما عن المعنى الدارج الذى يرتبط دائما بكلمة البيروقراطية التى تعنى الجمود والروتين والاعمال الكتابية المبالغ فيها . فالمعنى الذى يقصده فيبر مختلف تماما ويعنى اعلى درجة ممكنة من الكفاءة . فالتنظيم البيروقراطى عند فيبر انما خلق لانجاز غايات محددة ، وحيث ان الوسائل الموضوعة فى شكل اجراءات ولوائح قد وضعت وتم اختيارها على أساس انها أفضل الوسائل اللازمة لانجاز تلك الغايات ، فالتنظيم البيروقراطي بهذه الصورة يتفوق على أى شكل آخر من الاشكال التنظيمية ، وسنتعرض فى الآتى لخصائص النمط المثالى فى التنظيم .

ثانيا : خصائص التنظيم البيروقراطى

ان التنظيم البيروقراطى كما حدده ماكس فيبر يتميز بالخصائص التالية :

١ - *التحديد القاطع للواجبات والمراكز :* ان كل فرد فى التنظيم البيروقراطى يشغل مركزا معينا ، هذه المراكز محددة بطريقة قاطعة ، وليس لأي فرد [illegible] لعمل معين الا اذا كانت مؤهلات [illegible] والأعمال تتفصل [illegible]
[illegible] الاعتماد على أى فرد [illegible]

كانت قدراته ، كما يمكن من شغل الوظائف الحالية بأفراد آخرين طالما كانت مؤهلاتهم تتناسب مع خصائص تلك الاعمال .

٢- *العلاقات الوظيفية* : ان العلاقات داخل التنظيم تكون علاقات بين المراكز وليسيت بين الافراد الشاغلين لهذه المراكز ، وهذه الخاصية تضمن نوعا من التعاون الموضوعي اللازم لانجاز الاعمال ، وبذلك ينتفى الطابع الشخصى للعلاقات وبهذه الوسيلة يسود الرشد والحكم الموضوعى بعيدا عن الأهواء والتفضيلات الشخصية .

٣- *معايير محددة لاداء العمل* : لكل عمل فى التنظيم طريقة محددة لادائه ينبغى ان يتمسك بها جميع الافراد . هذه الطرق يعبر عنها فى شكل قواعد واجراءات مكتوبة ومحددة تحديدا قاطعا وتطبق بصفة ثابتة ومنظمة .

٤- *التخصص الوظيفى* : يقوم التنظيم البيروقراطى على درجة عالية من التخصص الوظيفى ومن ثم فان اختيار الافراد لتولى المراكز يكون على اساس الخبرة الفنية والادارية ، ولذلك فان التعيين يتم طبقا لاختيار الكفاءة ، كما ان التدريب يعتبر ضروريا لرفع كفاءة العاملين.

٥- *بناء هرمى للسلطة* : هذا البنتاء يتضمن تحديد التوزيع الرسمى للسلطة بما يضمن رقابة المستويات الاعلى للمستويات الادنى هذه السلسلة تحدد لكل فرد من هو رئيسه المباشر ، ومن هم الافراد التابعين له ، كما تظهر حدود السلطة الممنوحة لكل مركز .

٦- *شغل الوظائف بالتعيين* : ان شغل الوظائف فى التنظيمات البيروقراطية يكون على اساس التعيين وليس الانتخاب . وهذا الشرط ضرورى لضمان توفر المؤهلات المناسبة لأداء الاعمال .

٧- *أداء العمل وفق سجلات ومستندات رسمية* : ان جميع عمليات الاتصال وجميع قواعد واجراءات العمل فى المنظمة البيروقراطية توضع فى شكل رسمى مكتوب . وينتطبق نفس الشىء ايضا على جميع التصرفات التى تتم داخل المنظمة ، جميع هذه المعلومات المكتوبة تأخذ شكل السجلات والمستندات ، وتمثل فى مجموعها كيانا موضوعيا مستقلا عن الاشخاص العاملين بالمنظمة البيروقراطية ، والحكمة فى ذلك ان هذه التصرفات تمثل الضوابط التى تخص التنظيم نفسه وليس الاشخاص العاملين فيه وهذا يعنى ان العمل البيروقراطى يجب أن ينفصل ويبتعد عن حياة الموظف الخاصة . وعلى هذا الاساس فان الاموال العامة والمعدات الخاصة بالتنظيم البيروقراطى يجب أن تنفصل تماما عن الملكية الشخصية للموظف .

٨- *احتراف الوظيفة* : ان الوظيفة التى يشغلها الموظف فى التنظيم البيروقراطى تمثل مهنة رئيسية له . ومن ثم لايجوز الجمع بينها وبين مهنة أخرى ، اى انه يحترف العمل فى المنظمة ويتحدد مستقبله المهنى فى المنظمة ، ويترتب على ذلك مجموعة من القواعد التى تحدد مركز الموظف فى التنظيم البيروقراطى .

ثالثا : مركز الموظف فى التنظيم البيروقراطى

يتحدد مركز الموظف فى التنظيم البيروقراطى استنادا على الخصائص السابقة علىا لوجه التالى :

١-الولاء التام للوظيفة ومصلحة العمل حتى ولو تعارض ذلك مع مصلحته الشخصية.

٢-ان شغل الوظيفة فى التنظيم البيروقراطى يعتبر مهنة . ويتضح ذلك من أن حصول الفرد على وظيفة يتطلب توفر تدريب وخبرة

تجبره على تخصيص وقته وجـهده كلـه للعمـل . كذلـك فـان اختيـار الافـراد لشغل الوظائف يتم بسلسلة مـن الاختبـارات ، كمـا ان الوظيفـة فى التنظيـم البـيروقراطى تتخـذ شكـل الواجـب ، بمعنـى ان دخـول الشخص فى وظيفة بيروقراطية يفيد معنـى قبولـه لالتزامـات محـددة فى مقابل الاستقرار الوظيفـى وضمـان العمـل وبالتـالى فـان مـاكس فيبر لاينظر الى قبول الوظيفـة باعتبـاره تبـادلا للمنفعـة بيـن الفـرد والمنظمة .

٣-يتمتع الموظف فى التنظيـم البـيروقراطى بـاحترام وأهميـة مصدرهـا قواعد ترتيب الوظـائف ، والقواعـد التـى تحـرم اهانـة الموظـف أو مخالفة أوامـره ، اى أن الموظـف يسـتمد مـن عملـه فـى المنظمـة البيروقراطية قيمة اجتماعية تزيد عن تلـك التـى يتمتـع بـها الافـراد العاملين خارج منظمـات بيروقراطيـة .

٤-يحتفظ الموظـف البـيروقراطى بوظيفتـه مـدى الحيـاه عامـة الا اذا وقعت ضده عقوبات تاديبية نتيجـة لاخلالـه الجسـيم بواجبـات العمـل أو الحكم عليه فى جريمة تمس شرفه ونزاهتـه . كمـا يتقـاضى راتبـا محددا ويحصل على معاش ثابت عنـد التقـاعد .

٥-يتدرج الموظف البيروقراطى فى سلم الوظـائف ويعتـبر هـذا التـدرج أساس تطوره الوظيفـى .

مزايا التنظيم البيروقراطى

يرى ماكس فيبر ان الفرق بيـن التنظيـم البـيروقراطى المتكـامل وبين غيره من التنظيمـات هـو كـالفرق بيـن الالـة الحديثـة ووسـائل الانتاج اليدوية البدائية، ويحدد ماكس فيـبر مزايـا التنظيـم البـيروقراطى هى :

١- الدقة

٢- المعرفة الكاملة بالمستندات

٣- السرعة

٤- الاستمرار

٥- الوضوح

٦- الوحدة

٧- الخضوع الكامل للرؤساء

٨- تخفيض التكلفة الانسانية والاقتصادية للعمل

٩- تخفيض الاحتكاك بين الافراد

ثانيا : *التنظيم الرسمى*

فروض التنظيم الرسمي :

ان الفكرة الاساسية للتنظيم الرسمى هى النظر الى المنظمات الادارية نظرة هندسية منطقية رشيدة تستهدف الوصول الى افضل طريقة لاداء كل خطوة من خطوات العمل داخل المنظمة ثم الربط المنطقى بين أجزاء المنظمة بسلسلة من العلاقات الرسمية المخططة ، والتى تحدد سلوك وتصرفات العاملين كما ينبغى ان تكون ولذلك يعرف التنظيم الرسمى بأنه " خطة واعية أو شعورية تحدد نظاما للمهام والعلاقات فيها لغرض تنسيق جهود الافراد لتحقيق الاهداف بفاعلية وكفاءة " ومن واقع هذا التعريف يمكن تحديد الفروض التى يقوم عليها التنظيم الرسمى وهى :

١-ان التنظيمات الرسمية هى فى الواقع وحدات هادفة وبالتالى فهى تخلق أساسا لتحقيق أو انجاز هدف ما . وبناء عليه فان التنظيمات تأخذ شكل الاهداف المحددة لها فى البداية ، وهذه الاهداف تستخدم ايضا فى تقييم كفاءة التنظيم والحكم على فاعليته . وحيث ان هذه

الاهداف يتوقف تنفيذها على قدرات التنظيم والموارد المتاحة له ، فان ظروف التنظيم من حيث القدرات والموارد تؤثر مرة أخرى فى الاهداف المحددة له . ومعنى ذلك ان العلاقة بين الهدف والتنظيم علاقة تبادلية .

٢-ان مجهودات الاشخاص عندما تكون أكبر من المجموع الحسابى لهذه الجهود اذا أخذت منفردة ، ولتوضيح ذلك فان عملية صناعة سيارة مثلا عندما تقسم الى عمليات وأنشطة صغيرة مشتركة ويشترك فيها عدة مئات من الاشخاص فان عدد السيارات المنتجة يكون اكبر بكثير مما لو قام كل فرد بمفرده بأداء جميع الاعمال اللازمة لصناعة السيارة .

٣-ان التنظيم الرسمى أكثر كفاءة من الفرد أو مجموعة من الافراد العاملين فالتنظيم الرسمى هو افضل الاشكال التنظيمية قدرة على تحقيق الاهداف الاقتصادية والاجتماعية والسايسية .

٤-يتميز التنظيم الرسمى بوجود مصدر شرعى للسلطة ، وفى التنظيمات فان المصدر المركزى للسلطة فى الحكومة هو رئيس الجمهورية وهذا المركز يستمد أساسه الشرعى من ارادة الشعب ، أما بالنسبة للتنظيمات الاقتصادية فان الاساس الشرعى أو مصدر السلطة يتمثل فى الملاك أو حملة الاسهم الذين يعينون مجلس الادارة ، ويصبح رئيس المجلس بمثابة مركز السلطة فى هذا التنظيم .

٥-ان السبب فى وجود التنظيم الرسمى هو وجود اجراء موافق عليه والذى يعطى شرعية لتصرف معين أو خطة معينة . وبالنسبة للتنظيمات الحكومية فان هذه الشرعية الخاصة بخلق التنظيم

الرسمى تاتى من جانب السلطة التى تــزود ايضــا شخصــا مــا بــالحق أو بالسلطة فى توجيه ذلــك التنظيــم . وهــذا المديــر التنفيــذى الــذى يعتبر مركزا للسلطة يتولى وضع خطـــط أكــثر تفصيــلا لتحديــد هيكــل التنظيم الذى يشرف عليـــه وتعييــن المســاعدين لتولــى المراكــز ذات السلطة الرسمية . وبالاضافة الى ما ســبق فــان مــن يتمتــع بالســلطة المركزية فى التنظيم يكون له الحق القانونى فــى تفويــض أجــزاء مــن هذه السلطة الى المرؤوسين الذين يقومــون بتنفيــذ المــهام المعــهودة اليهم .

٦-نتيجة لتركز السلطة فى قمة التنظيم والقيــام بعمليــات التفويــض فــان التنظيمات الرسمية تاخذ الشكل الهرمى حيــث تزيــد تفضيــلات العمــل تدريجيا كلما اتجهنا الى أســـفل .

٧-ان قبول الافراد العاملين فى التنظيم للتحديــات القاطعــة التــى يحددهــا التنظيم الرسمى مثل الاجراءات واللوائح وطــرق الاتصــال وغــير ذلــك من الوسائل التى تحدد السلوك التنظيمــى كمــا يجــب ان يكــون ، هــذا القبول يتحدد بولاء الفرد للتنظيـــم.

٨-عند وجــود أى انحــراف بيــن ســلوك أحــد الافــراد وبيــن الســلوك التنظيمى كما يتحدد رسميا فيجب السيطرة علــــى هــذا الانحــراف عــن طريق بعض القوى الخارجة عن ارداة الفرد ، والتــى غالبــا مــا تــاتى من مركز أعلى فى السلم الادارى مثــل توقيــع بعــض العقوبــات علــى المرؤوسن الذين انحرفوا عن الســلوك المرغــوب .

٩-عند التعامل مع الافراد العاملين فى التنظيــم فــان هــذا التعــامل يجــب ان ياخذ شكلا فرديا مع افتراض بان الفرد يخضــع للرشــد والعقــل فــى تصرفاته ، وانه يسعى دائما لتعظيم مكاســبه الاقتصاديــة وعــن طريــق

زيادة هذه المكاسب أو الوعد بهذه الزيادة فان الفرد يكون اكثر استجابة لتقبل متطلبات التنظيم الرسمى .

مبادىء التنظيم الرسمى

بالاضافة الى الفروض السابقة فان التنظيم الرسمى يتميز بتضمنه لمجموعة من المبادىء التى يرى أنصار هذا التنظيم انه من الضرورى تطبيقها والتمسك بها لكى يتحقق للتنظيم درجة أكبر من الكفاءة والفاعلية وأهم مبادىء التنظيم الرسمى هى:

١ -*التخصص :* ويعنى الكفاءة التنظيمية تزداد بتحقق المهام الموزعة على العاملين فى التنظيم .

٢ -*تقسيم العمل :* ينتج من مبدا التخصص ويتمثل فى تقسيم التنظيم الى اجزاء متخصصة ثم اعادة تجميع الاجزاء فى شكل وحدات متماثلة طبقا لمجموعة من الاسس مثل الفرص ، العملية ، العميل ، المكان .

٣ -*نطاق الاشراف :* أى تحديد عدد المرؤوسين التابعين لرئيس ادارى واحد . ويرى انصار التنظيم الرسمى انه كلما كان هذا العدد صغيرا كلما كان من الممكن تحقيق أكبر قدر من الرقابة والاشراف .

٤ -*وحدة القيادة :* وتعنى ان الاوامر والتوجهات الموجهة الى الفرد داخل التنظيم يجب ان تاتى من مصدر واحد .

٥ -*التفرقة بين الوظائف التنفيذية والوظائف الاستشارية :* ويقصد بالاولى التى تتمتع بحق اتخاذ القرارت ، أما شاغلوا الوظائف الاستشارية فيقومون بابداء التوصيات والنصح الى الافراد التنفيذيين دون ان يتمتعوا بسلطة اتخاذ القرارت .

٦- *التنسيق :* وهو تحقيق الربط والتكامل بين أجزاء التنظيم . وهذا المبدأ هو الذى يحقق وحدة العمل عند تحقيق الهدف المشترك . والتنسيق يتحقق عند وجود علاقة واضحة بين أهداف الافراد العاملين وبين هدف التنظيم . وعند تحقيق التنسيق فان الامر يتطلب استخدام السلطة والقيادة من جانب الرؤساء فى قمة التنظيم

تعليق :

ان الفروض والمبادىء التى تضمنتها النظرية التقليدية للتنظيم سواء من جانبها السياسى او الجانب الاقتصادى والذى روجت له كتابات الادارة العلمية لتايلور والبحوث التنظيمية الاخرى التى قام بها مونى درايلى وفايول وجالوك وأرويك وغيرهم . هذه المبادىء كانت تلقى قبولا عاما خلال العشرينات والثلاثينات من هذا القرن . ولكن ظهرت كتابات وبحوث جديدة تقول بأن الكثير من فروض النظرية التقليدية لايمثل الواقع وان المبادىء التى تقوم عليها لم تعد صالحة للتطبيق . والاكثر من ذلك ان العديد من البحوث الحديثة اعلى صراحة عدم قبول النظرية التقليدية للتنظيم فى مجال الادارة العامة سواء من حيث الشكل أو المضمون .

ان هذا الاتجاه الجديد معناه ان ما كان يبدو منطقيا فى وقت ما لم يعد كذلك وان الفرض القائل بامكانية تطبيق المبادىء التقليدية أصبح فرضا قابلا للاثبات العكسى ، او كما يقول " سيمون" فان النظرية التقليدية قد لاقت هزيمة كاملة .

ان هذا التحول الفكرى تجاه النظرية التقليدية يتطلب منا وقفة قصيرة لتحديد مضمون النظرية السلوكية ، باعتبارها النظرية الحديثة التى يطالب اولئك النقاد بتطبيقها كبديل للنظرية التقليدية .

النظرية السلوكية

بصفة عامة فـــان النظريـــة الســلوكية تتــهم النظريـــة التقليديـــة بقصر النظر وتدعو الى الاهتمام بمتغـــيرات اخـــرى لـــم تأخذهـــا النظريـــة التقليدية فى الاعتبـــار مثـــل الشخصيـــة الانســانية ، ســلوك الجماعــات ، دوافع العمل ، دراسة الاتجاهــات وغيرهــا .

ويؤكد السلوكيون على اهميـــة العــامل الانســانى فـــى المنظمـــات والقيـــاس الكمـــى للعنـــاصر الخاضعـــة للدراســـة ، واســـتخدام الوســـائل الحديثة فى البحث العلمى ، كما يؤكـــدون علـــى بعـــض النواحـــى الخاصـــة مثل الفصل بين الحقائق والقيـــم ، عـــزل النواحـــى الاخلاقيـــة عـــن نطـــاق البحث ، والتحقق من والتمييز بيـــن الحقـــائق والبديـــهات وتوخـــى الدقـــة فى اختيار اساليب البحـــث .

والمبادىء التى يحددها السلوكيون تشتـــق - هكـــذا يقـــال - مـــن الدراسات التجريبية والاختبار العلمـــى وليـــس مـــن الاحســـاس او الحكمـــة أو البحوث النظرية . وباختصار فـــان رواد النظريـــة الســلوكية يرفضـــون النظرية التقليدية لانها ليســـت نتـــاج ابحـــاث علميـــة بـــالمعنى المقصـــود لهذه الكلمة ... ولاغراض التحليـــل والدراســـة يمكـــن مناقشـــة اتجاهـــات النظرية السلوكية والانتقادات التى توجهـــها الـــى النظريـــة التقليديـــة فـــى النقاط التالية :

١- نقد نمـــوذج البيروقراطيـــة .

٢- تناقص وغموض مبادىء التنظيـــم الرســـمى .

٣- اهمال النواحى الاجتماعيـــة والنفســـية .

٤- مزايا (الانحراف) عن الـــهياكل الرســـمية .

اولا : نقد نموذج البيروقراطية : فــى تقييــم نمــوذج البيروقراطيــة الــذى قدمه فيبر يقول السلوكيون ان هذا النمـــوذج يقــوم علــى مبــدأ (الرشــد) وهذا المبدأ يأخذ شكليـــن :

١-استخدام طرق واســاليب دقيقــة لتحقيــق أهــداف محــددة مــع الدقــة الكاملة فى اختيار الوسائل بما يحقــق الغايــات .

٢-المنطق العلمــى الســليم فــى تفســير الامــور وادراك العــالم المحيــط ورفض كل اساليب والمعتقدات غير العلمية فـــى التغــير .

وقد انعكس مبدأ (الرشد) كما يراه مــاكي فيــبر علــى الخصــائص التى حددها التنظيم البيروقراطى الســابق التعـرض لــها ، والتــى يمكــن تلخيصها لاغراض التحليل فــى الاتــى :

أ- درجة عالية من التخصص الوظيفى وتقييـــم العمــل .

ب- هيكل هرمى للسلطة مع تحديد لمجــالات النفــوذ والمســئولية .

جـــ- سيادة العلاقات الرسمية (غير الشخصية) بيـــن اعضــاء التنظيـم .

د- اختيار اعضاء التنظيم على اساس المقــدرة والمعرفــة الفنيــة .

هـــ- التمييز بين الدخل والممتلكــات الرســمية ودخــل الموظــف الخــاص وثروته .

على ضوء الخصائص الســابقة فقــد وجــهت الانتقــادات التاليــة الى نموذج البيروقراطية كما حدده ماكس فيـــبر وهــى :

١-اهمال الفــرد ومعاملتــه علــى انــه آلــة واغفــال الطبيعــة النفســية والاجتماعية للانسان . وهذا الاهمال يـــؤدى الــى حــدوث نتــائج غــير متوقعة تؤدى بدورها الى انخفاض كفاءة التنظيم بـــدلا مــن ارتفاعــها.

٢-ان بعض المبادىء التى يقوم عليها التنظيم البيروقراطى قد تساعد على الاهمال وانخفاض الكفاءة مثل مبدأ الاقدمية فى الترقية .

٣-ان التركيز على الرقابة والاشراف يؤدى الى محاولات متعددة من جانب الافراد للانحراف عن اللوائح ، وهذه المحاولات تقابل من جانب الادارة بالمزيد من النتائج غير المتوقعة . وفى النهاية تصبح الرقابة هدفا فى حد ذاته حيث يخصص جانب كبير من الموارد لاغراض الرقابة . وتصبح تكلفة العمل الرقابى لاتتناسب مع الانجاز المتحقق ، وجميع هذه المظاهر تؤدى الى انخفاض كفاءة التنظيم .

٤-من الثابت طبقا للدراسات الحديثة ان نجاح التنظيم لايتوقف على الخصائص الذاتية أو الداخلية له فحسب . بل ايضا على الظروف والبيئة المحيطة بالتنظيم ومعنى ذلك ان البيروقراطية تعالج التنظيم كنظام مغلق .

معنى ما سبق ان اسلوب فيبر فى وصف النموذج البيروقراطى يؤدى الى نمو الانسان بشكل مقيد ومحدود ، وهذا النمو يحدده الكثير من الواجبات المحددة والتعليمات الصارمة التى يجب ان يلتزم بها الفرد داخل التنظيم . ومن ثم فان حرية الانسان وسلوكه الشخصى يقيدها نمط التنظيم ويحدد من انطلاقهما وتطورهما .

بعد توجيه الانتقادات السابقة يتسائل كتاب النظرية السلوكية : هلى تعنى تلك الانتقادات ان نموذج ماكس فيبر فى البيروقراطية غير صحيح ؟

للاجابة على هذا التساؤل يقول هؤلاء الكتاب :

١-ان هذا النموذج لايصلح لوصف طبيعة العمل بتنظيم قائم بالفعل .

٢-ان هذا النموذج يصلح كاساس للمقارنة ، حيث يقارن التنظيمات الفعلية بهذا النموذج المثالى للتعرف على أوجه النقص فيها ومحاولة تلافيها .

ومعنى الرأى السابق ان السلوكيين لايعتقدون فى القيمة العلمية لنموذج ماكس فيبر ويرون ان قيمة هذا النموذج تقتصر على النظر اليه باعتباره نموذجا تصويريا مثاليا يصلح لوصف التنظيم كما يجب ان يكون وليس كما هو كائن بالفعل .

ومن الاتهامات الحديثة الاخرى الموجهة الى نموذج ماكس فيبر ان هذا النموذج الذى قصد به أصلا تحقيق أعلى قدر من الكفاءة، انما يعبر فى واقع الامر عن عدم الكفاءة التنظيمية . وقد حاول كل من (مرتون) ، (جولدنز) اثبات هذا الغرض من خلال تقديم نموذجين للبيروقراطية على مجموعة من الفروض كالاتى :

نموذج مرتون

اذا كان ماكس فيبر يرى ان الاشراف الدقيق والرقابة التامة وتطبيق القواعد يمكن ان ينتج عنها استقرار سلوك الافراد وامكان التنبؤ بهذا السلوك فان مرتون يرى أن ذلك يؤدى الى احتمال انتشار الجمود فى التنظيم وتغليب الوسائل على الغايات ، وبمعنى آخر يصبح هناك نوع من الايمان بالقواعد والاجراءات فى حد ذاتها وليس باعتبارها وسيلة لتحقيق أهداف التنظيم .

وبناء عليه فان نموذج مرتون يقوم على الفروض الآتية :

١-ان الادارة العليا للتنظيم تريد فرض نوع من الرقابة ، اى أن هناك طلبا للرقابة على الأفراد أثناء تأديتهم واجباتهم .

٢-أن الرغبة فى الرقابة تتمثل فى زيادة التركيز على ضرورة الاعتماد على سلوك الافراد . اى ان الادارة تسعى الى أن تزيد من درجة اعتمادها على سلوك الافراد. اى أن يكون هذا السلوك معروفا ويتم الالتزام بأنماطه مسبقا .

٣-أن هذه الرغبة من جانب الادارة العليا للتأكد من درجة الاعتماد على سلوك الافراد تتخذ شكل تحديد الاختصاصات والمسئوليات بحيث يمكن التنبؤ بالسلوك ومحاسبة الافراد ومساءلتهم ، وذلك باستخدام نموذج الالة بالاضافة الى هذا فان عددا من الاجراءات الدائمة يتم تقريرها وتتخذ الرقابة شكل المراجعة والتفتيش للتأكد من مطابقة الواقع للاجراءات المحددة .

ان الفروض السابقة يترتب عليها النتائج التالية :

١-تقليل مدى العلاقات بين اعضاء التنظيم اذ تصبح تلك العلاقات أساسا بين الوظائف وليس بين الافراد شاغلى تلك الوظائف .

٢-تصبح القواعد والاجراءات الرسمية أمرا طبيعيا بالنسبة للافراد ، ويصير هضمها واختزانها بواسطتهم ، اى تتم عملية اكتساب لتلك القواعد والاجراءات لتصبح الاساس العادى لتصرف الفرد .

٣-يصبح أساس اتخاذ القرارات هو عملية تقسيم الموضوعات الى فئات أو طبقات لكل فئة أو طبقة حل معين تدرب عليه عضو التنظيم .

تلك النتائج الثلاثة يمكن تلخيصها فى عبارة (جمود السلوك الوظيفى) وهذا الجمود فى السلوك قد يحقق أهداف التنظيم البيروقراطى ، كما قد يشبع رغبة الادارة العليا فى احكام الرقابة . كما يوفر للافراد اساس للدفاع عن تصرفاتهم وسلوكهم الوظيفى ، ولكن

هذا الجمود يؤدى الـــى نتـــائج أخـــرى غـــير مقصـــودة هـــى مزيـــد مـــن المتاعب والمصاعب لعمـــلاء المنظمـــة وتفقـــد أعمـــال ومصـــالح هـــؤلاء العملاء فى تعاملهم مع المنظمـــــة .

نموذج جولدنر

يشترك جولدنـــر مـــع مرتـــون فـــى الاعتقـــاد بـــان المغـــالاه فـــى الاشراف والرقابـــة بالنسـبة للتنظيـم البـيروقراطى تحقـــق نتـــائج غـــير متوقعة تؤدى الى الاخلال بتـــوازن التنظيـــم.

ثانيــا : غمــوض وتنــاقض مبــادىء التنظيــم الرسمــى :

حاول هربرت سيمون تحليـــل بعـــض مبـادىء التنظيـم الرسـمى من خلال تهجمه عليه متناولا بعض مبادىء التنظيـــم الرسـمى الاتيــة :

١ -*مبدأ التخصص :* **ينتقد سيمون هـــذا المبـــدأ بقولـــه اذا كـــانت النظريـــة التقليديـــة تنـــادى بـــان الكفـــاءة الاداريـــة والتنظيميـــة تـــزداد بزيـــادة التخصص فليس معنى ذلك ان أى زيـــادة فـــى التخصـــص تـــؤدى الـــى زيادة فى الكفاءة . فزيادة التخصـــص عـــن حـــد معيـــن تجعـــل عمليـــة التنسيق اكـــثر صعوبـــة ، وبزيـــادة التخصـــص أكـــثر وأكـــثر يصبـــح التنسيق مستحيلا وهذه الظـــاهرة تتطلـــب التوقـــف عـــن تطبيـــق مبـــدأ التخصص عند النقطة التى تبدأ فيها مشاكل التخصـــص فـــى الظـــهور.**

٢ -*مبدأ وحدة القيادة :* ان مبدأ وحدة القيـــادة لايمكـــن انتقـــادة مـــن حيـــث الوضـــوح او الغمـــوض ، كمـــا أن هـــذا المبـــدأ كمبـــدأ التخصـــص - لايمكن مخالفته حيث يستحيل ماديا على فـــرد واحـــد أن يطيـــع أمريـــن متعارضين ، فالمشكلة هى أن مبدأ وحدة القيـــادة يتعـــارض مـــع مبـــدأ التخصص . ولعل أبلغ دليل على ذلـــك هـــو نمـــوذج التنظيـــم الوظيفـــى

الذى وضعه تيلر حيث يتلقى العامل الاوامـــر مـــن أكـــثر مـــن مشــرف واحد يتخصص كل منهم فى جزء معين او مظـــهر واحـد مـــن مظـــاهر الاشراف . واذا كان هذا النمـــوذج قـد حقـق مزايـا التخصـص كمـا يتفق على ذلك معظم الكتاب الا انه يناقض مبـــدأ وحـدة القيـادة حيـث كان العامل يتلقى التوجيهات والأوامر مـــن أكـثر مـن جهـة ممـا أدى الى الازدواج ، وهذا يعتبر أحد نقاط الضعـف الرئيسـية الموروثـة فـى هذا النموذج .

الفصل الثالث

القيادة ومقوماتها وأبعادها

١- مقومات وادوات التأثير القيـــادى

٢- نظريات القيــادة

٣- أنماط القيادة

٤- نظرية المسار والهدف لــــهاوس

٥- إكتشاف وإختيار القـــادة

القيادة ومقوماتها وابعادها

عملية القيادة هى العملية التى بمقتضاها يمارس فرد تأثيرا على سلوك ومشاعر مجموعة من الافراد الاخرين ، ويتمثل جوهر العملية القيادية فى التأثير الذى يمارسه القائد على الاخرين الذين يمثلون التابعين أو المرؤوسين وهذا التاثير القيادى يكون نتاجا لمحاولات يقوم بها القائد ويستهدف منها توجيه سلوك أو مشاعر الاخرين . والقائد بهذا المعنى هو الفرد الذى يمارس بالمقارنة بالأفراد الآخرين أكبر قدر من التأثير على افراد الجماعة . وهو يتميز عن أفراد الجماعة بأن تأثيره على أفراد الجماعة يفوق تأثير أى فرد آخر فيها .

القيادة اذن هى عملية تفاعل اجتماعى لايمكن ان تتم فى فراغ، وانما يلزم لها اطار من العلاقات والتفاعلات الاجتماعية بين عهد من الافراد الذين يشكلون جماعة ، لكن يتبلور من خلالها الدور أو الادوار القيادية ، ويتحدد بناء عليها التأثير والتأثر الذى يتم خلال هذه العمليات الاجتماعية .

ولما كانت القيادة هى نوع من التأثير الاجتماعى ، فان ظاهرة القيادة يمكن ان تتسع لتشمل مختلف الادوار التى يمارس من خلالها هذا التأثير ، فالدور القيادى الذى يمارسه فرد فى جماعة قد يرتكز الى الطبيعة الرسمية لهذا الدور والتى تمكن للرئيس ان يمارس تأثيرا قياديا بحكم ما يتيحه له موقعه من سلطة على مرؤوسيه . لكن الدور القيادى يمكن ان يمارس ايضا ممن لايملكون سلطة رسمية . فالدور القيادى قد يمارسه فرد اعتمادا على ما اكتسبه من احترام وتقدير ، وما يتمتع به من زعامة مما لايعكسه وضعه الوظيفى الرسمى.

فالتأثير القيادى اذن ليس حكرا علـــى مـــن يشغـل موقعـا قياديـا رسميا ، بل نقـــول ان الـدور الرئيســى للمشـرف أو للرئيـس الرســمى لمجموعة عمل فى منظمة وان كان يتيـــح لشاغلـــه فرصـــة التـــأثير علـــى الافراد التـــابعين لـــه رسـميا ، الا انـــه لايضمـــن تحقيـق هـذا التـــأثير بالضرورة ن ولايضمن فعاليته . وفضلا عـــن هـــذا فـــهو لاينفــى امكانيـــة وجود فرد آخر أو أفـــراد آخريـــن فـــى نفـس الجماعـــة يمارســـون دورا قياديا رغم عدم تمتعهم بمكانة او ســـلطات رسـمية .

والقيادة باعتبارهـــا عمليـــة اجتماعيـــة مسـتمرة ، تمـــارس مـــن خلال دور متميز فى جماعـــة مسـتقرة ، فـــهى تتضمـــن علاقـــات تفـــاعل مستقرة نسبيا ، بيـــن مـــن يمـــارس التـــأثير القيـــادى ومـــن يتلقـــى هـــذا التاثير، ولكى يعتبر التأثير الذى يمارسه فرد علـــى آخريـــن تـــأثيرا قياديـــا، ينبغـــى ان يتوافـــر فـــى هـــذا التـــأثير قـــدر معقـــول مـــن الاســـتمرارية والاستقرار. وهذه الاســـتمرارية وهـــذا الاســـتقرار لايتحققـــا فـــى حـــالات التفاعل القصـــير المـــدى غـــير المتكـــرر . القـــائد إذن هـــو مـــن تربطـــه بالتابعين علاقات تفاعل متكـــررة يمـــارس فيـــها تـــأثيرا مســـتمرا علـــى سلوك ومشاعر هؤلاء التـــابعين .

مقومـات وأدوات التأثـير القيـادى

إهتمت كثير من الدراسات الاولى فـــى مجـــال القيـــادة بالخصـــائص التى يتصـــف بـــها مـــن يشغلـــون مواقـــع قياديـــة ، او يمارســـون أدوارا قيادية، فبالكشف عن خصائص عامة يتصف بـــها القـــادة يتحـــدد امكانيـــة التعرف المبكر على من ينتظر ان يتبوؤا مراكـــز قياديـــة أو يصعـــدوا الـــى ادوار قيادية بحكم توافر هذه الخصـــائص فيـــهم .

وقد تناولت هـــذه الدراســات متغـيرات عديــدة للخصــائص مثــل الذكــاء والمبــادأة والتعــاون والثقــة بــالنفس والمـــهارات الكلاميـــة والخطابية ، والاصل الاجتماعى والخصـــائص الجســمانية ... الــخ .

ولكن البحوث التى أجريت فى هذا المجال لـــم تســفر عــن وجــود سمات أوخصائص عامـــة تمـيز مــن يشغلــون مواقــع قياديـــة ، وتبيــن للباحثين ان تبوء موقع قيـــادى محكــوم بــالظروف والموقــف . فطبيعــة الموقف قد تفرض نوع الخصائص التـــى ينبغــى توافرهــا فيمــن يمــارس دورا قياديا فى جماعة معينة . فالظروف التـــى تواجهــها وطبيعــة المهمــة التى تلتقى حولها هذه الجماعة وخصـــائص افــراد الجماعــة ، والخبرات السابقة للجماعة ولافرادها تؤثر على سمات من تكـــون لـــه فرصـــة اكــبر لان يمارس دورا قياديا فـــى الجماعــة . واختــلاف هــذه العوامــل مــن جماعة لأخــرى ، ومــن وقــت لآخــر وبالنسـبة لنفـس الجماعــة يــبرز اختلافات فى السمات المطلوبة فيمــن يمــارس دورا قياديــا .

لقد أيقن الباحثون ان عملية التاثير القيـــادى هـــى عمليـــة موقفيـــة تحكمها طبيعة الظـــروف مــن ناحيـــة ، وســـمات ومـــهارات القـــائد مــن ناحية أخرى . لذلك فان نقطة البدء فـــى التعــرف علـــى المقومـــات التـــى ينبغى توافرها فيمن يمارس تاثيرا قياديـــا بحكــم الموقــف الــذى يمــارس فيه هذا التاثير ، وهى تحليل عمليـــة التـــأثير القيـــادى ومقومـــات وأدوات هذا التاثير فى المواقف المختلفـــة .

أدوات ووســائل التاثــير القيــادى

هناك أدوات ووسائل عديدة يمكـــن لمـــن يشغــل موقعــا قياديـــا ان يستخدمها للتأثير علـــى التـــابعين . ولقــد تنـــاول العديـــد مـــن البـــاحثين والكتاب هذه الوســـائل بـــالتحليل ، ولقــد قـــام يوكــل Yukl ســـنة ١٩٨١

بتجميع ما تناوله هؤلاء الباحثون والكتاب واستطاع ان يميز بين احدى عشر أداة ووسيلة للتأثير القيادى ونعرض هذه الادوات والوسائل فيما يلى

١ - الطلب المشروع

أحد وسائل التأثير الشائعة فى المنظمات يتمثل فى الطلب الذى يصدر من القائد والذى يستند الى مشروعية ، فيتحقق به اذعان المرؤوس للقائد . فندما يطلب الرئيس من المرؤوس أن يقوم الاخير بتنفيذ مهمة تدخل ضمن مسئوليات عمله ، فان مثل هذا الطلب يمثل محاولة للتأثير على سلوك المرؤوس يستند الى مشروعية مضمونها ان الرئيس يملك السلطة التى تتيح له أن يمارس مثل هذا التوجيه فى المجالات التى تتعلق بمسئوليات العمل . ويقوم اذعان المرؤوس فى هذه الحالة على ما يملكه الرئيس من حق لان يطلب من المرؤوس مثل هذا الاذعان . وتستند مشروعية طلب الاذعان الذى يصدر من الفرد الذى يمارس دوراً قياديا على السلطة الرسمية التنظيمية التى يملكها هذا الفرد أو على كونه مخولا أو موكلا من قبل فرد آخر يملك سلطة رسمية .

وقد تستند هذه المشروعية الى تقاليد وأعراف اجتماعية مثل تلك التى تعطى للاكبر سنا أو للاقدم فى الوظيفة أن يطلب من الاصغر سنا أو الأحدث توظفا أن يذعنوا له ... وفضلا عن هذا فيمكن أن يكون مصدر المشروعية هو ما قد تتفق عليه جماعة العمل من قواعد تتيح لفرد منها أن يكون له هذا الحق فى طلب اذعان الافراد الاخرين فى الجماعة . وفى كل هذه الحالات فان التأثير القيادى يمارس استنادا الى سلطة رسمية ، او الى سلطة تقوم على أعراف وقواعد اجتماعية

ويتحدد قبول المرؤوس أو التـابع لـهذا الاسـلوب مـن أسـاليب التـاثير ودافعيته للاذعان والطاعة لـه بدرجـة تشبعـه وتقبلـه للقيـم والتقـاليد والاعراف التى تفرض مثل هذا الاذعـان والطاعـة. فبمقـدار تغلغـل مثـل هذه القيم والتقاليد والاعراف التى تفرض عليـه القبـول والطاعـة بمقـدار ما يذعن لهذا النوع من انـواع التـأثير .

٢ - *اذعان المنفعـة*

عندما يقـوم القـائد بالتـأثير علـى التـابعين مسـتخدما وسـائل الترغيب التى تجعل التابعين يذعنون لـه نتيجـة مـا يعـود عليـهم مـن عوائد او منافع نتيجة لهذا الاذعان ، فاننـا نكـون هنـا بصـدد اداة مـن أدوات التاثير تسمى بالاذعان الوسـيلى أو اذعـان المنفعـة. وطبيعـى ان يعتمد هذا النوع من الاذعان على مـا يملـك القـائد توزيعـه مـن عوائـد ومكافات على من يذعنون لـه . فتوافـر مثـل هـذه العوائـد والمكافـات تحت سيطرة القائد واستخدامه لها كأدوات تـاثير تجعـل لتوجيهاتـه قـوة خاصة . ويتوقـف مـدى اذعـان التـابعين فـى حالـة اسـتخدام وسـائل الترغيب هذه علـى مـدى جاذبيـة العوائـد لـهؤلاء التـابعين ، ومـدى اعتمادهم على القائد - كمصدر وحيـد للحصـول عليـها ، ومـدى اتفـاق السلوك المطلوب مع قيم ومعتقدات التابعين ، فالقـائد ينجـح فـى اجتـذاب التابعين باستخدام الوسيلة عندما يكون مـا يملكـه مـن عوائـد ومكافـات ذات جاذبية عالية لـدى التـابعين ، وعندمـا يكـون هـذا هـو المصـدر الوحيد لحصولهم على هـذه المنـافع ، وعندمـا لايتعـارض اذعانـهم لـه وقيامهم بالسلوك المطلوب مع قيمـهم ومعتقداتـهم .

٣- اذعان القهر

يمكن للقائد ان يحصل على اذعان التـــابعين بوســائل تعتمــد علــى استخدام العقاب أو على التهديد باســـتخدامه ففــى الحــالات التــى يذعــن فيها التابعون رهبة وخوفا مـــن ان يلحــق بــهم أذى أو تصيبــهم خســارة فان اذعانهم هنا هو اذعان قوى -فخـــوف المــرؤوس مــن عاقبــة عــدم امتثاله لتوجيهات رئيسه وما يعنيه هذا مــن الــم أو توتــر او احــراج قــد يصيبه ، فيما لو لم يذعــن لــهذه التوجيــهات ، ويدفعــه للاذعــان تجنبــا لهذه العواقب السيئة . ويتوقف نجاح القـــائد فــى التــاثير علــى التــابعين باستخدام هذه الوسيلة على قــوة أدوات القــهر أو العقــاب المســتخدمة أو المتوعد بها ، وعلى مــدى اتفــاق الســلوك او أســلوب القــهر مــع قيــم ومعتقدات التابعين ، وايضا على الاستفزار الــذى يصيــب التــابعين نتيجــة استخدام هذا الاسلوب . فكلما كان العقاب حاســما ، وكلمــا ضــاق الخنــاق على التابعين بفعل ندرة البدائل الاخــرى وكلمــا كــان الســلوك المطلــوب واسلوب القهر المطبق لايتناقضــا مــع قيــم ومعتقــدات التــابعين ، وبمــا لايستفذ أو يثير غضب أو مقاومـــة هــؤلاء التــابعين ، كلمــا حقــق هــذا التاثير الذى يستهدفه القائد . وينبغى التنويـــه هنــا الــى الاعتمــاد الكلــى على اسلوب القهر من خلال العقاب كــاداة للتــاثير لا توفــر لــهذا التــأثير فرصة الاســتقرار .

فالقهر يولد المقاومة والتمــرد والانفجــار أمــا عــاجلا أو آجــلا ، فقبول التابعين واذاعنه لهذا الاسلوب يعتــبر مؤقتــا الــى حيــن ان تتوفــر لهم فرص المقاومة أو التمــرد او الانفجــار .

٤- الاستمالة القائمة على الرشـــد

يمكـن للقـائد ان يمـارس تـأثيرا علـى التـابعين مـن خـــلال استمالتهم واقناعهم بان الســلوك المطلــوب أدائــه يمثــل افضــل الطــرق لاشباع حاجاتهم أو لتحقيق طموحاتهم . وفى هــذه الحالــة لايكـون تــأثير القائد مستمدا من سيطرته على الحوافز وعلــى الثـواب والعقــاب ، وانمــا مستمدا فقط من بيانه وايضاحــه للطـرق المؤديــة الــى اشبــاع حاجــات وتحقيق أهداف الفرد التابع . ويعتمد هذا الاســلوب مـن اسـاليب التـأثير على قدرة القـائد علـى تفـهم الحاجـات والطموحـات والمدركـات التـى تتمثل فى ذهــن الفـرد التـابع ، وكذلـك علـى قدرتــه علـى الاسـتماله والاقناع المستندة الى حقائق وبراهيــن . والامثلــة علـى اسـتخدام هــذا الاسلوب كثيرة . فتوضيح الرئيس لمرؤوسيه الكيفيــة الـى يمكـن بــها أن يحصل المرؤوس على مكافــأة أو ترقيــة أو مـيزة ، والوســائل المحققــة لهذا من أداء جيد، أو انتظام فــى العمــل ، او حضـور دورة تدريبيــة ، او الحصول على درجــة تعليميــة اعلــى ... كلـها تعتــبر وســائل اسـتمالة رشيدة . وينبغــى الاشــارة الــى ان اسـلوب الاسـتمالة الرشيـدة تحقــق تأثيرا أقل من التاثير المتحقق فى حالـــة اذعــان المنفعــة . ففــى الحالــة الاخيرة يحقق القائد تأثيرا أكــبر اعتمــادا علـى مــا يسـيطر عليــه مـن مكافآت وعوائد .

٥- النفوذ القائم على الخــبرة

يمكن لفرد ان يمارس تــأثيرا قياديــا علـى آخريـن اسـتنادا الــى الخبرة المتميزة التى يتمتع بها والتى قد تتمثــل فــى تعليمــه أو تخصصــه أو مهنته او ممارساته .. الخ فالثقة التى يوليــها هــؤلاء الاخريــن للفــرد نتيجة لتميزه فى ميدان خـــبرة معيــن يجعلــهم يذعـون لتوجيــهات هــذا الفرد ، استنادا الى هذه الخـبرة ودون حاجــةالى اسـتمالة أو اقنــاع مـن

جانبه . فالمريض عندما يذعن لتوجيهات طبيبه ، والعميل عندما ياخذ نصيحة محاميه فى مسألة قانونية ، والطالب عندما يتقبل المعلومات التي يقدمها لها مدرسه ، والمتدرب الذى يرجع لتوجيهات ونصائح مدربه .. تمثل كلها حالات اذعان تستند الى عنصر الخبرة . ويتحقق الاذعان لذى الخبرة عندما يكون فى هذا الاذعان منفعة لمن يذعن . فالاذعان فى هذه الحالة كثيرا ما تحركه مواجهة الفرد التابع لبعض مشكلات لايملك المعلومات أو الوسائل التى تيسر له التغلب عليها ، لكنه يعتقد فى امكانية قوة آخر (القائد) بحكم خبرته المتميزة أن يرشده الى طرق ووسائل الحل . فالتابع يذعن للقائد ايمانا منه بصحة وصدق ما يصدر عنه ، واعتقادا منه بجدوى النصيحة والتوجيه فى تحقيق منفعة له .

٦- ***الالهام والهاب الحماس***

قد يحصل القائد على اذعان التابع من خلال الضرب على أوتار القيم والمثاليات التى يعتنقها التابع . فقد يلجأ القائد الى بيان أهمية قيام التابع بسلوك معين، استنادا الى مجموعة القيم والمثاليات التى تبرر قيام التابع بهذا السلوك . فقد يحرك المدير حماس مرؤوسيه للقيام بمهمة معينة على اعتبار ان قيامهم بهذه المهمة هو تعبير عن اخلاقهم وولائهم للمنظمة ، وقد يطلب فرد من زميل له ان يساعده فى عمل معين أو أن يقف الى جانبه فى أمر معين استنادا الى قيم الصداقة والوفاء وقد يطلب من المواطنين ان يتطوعوا فى مهام قومية تتضمن تضحيات أو مخاطر على اساس ان فى هذا تعبير عن وطنيتهم ، وقد يطلب فرد من آخرين ان يتقنوا أعمالهم وأن يخلصوا فى ممارساتهم استنادا الى شرف المهنة او الى القيم الدينية التى تحث على الاتقان والاخلاص .

وفى كل هذه الحالات لايقدم القائد عائدا مباشرا محسوبا نظير قيام التابع بالاذعان لتوجيهه ، فكل ما يعد به هو تلك الراحة النفسة التى سيشعر بها التابع حال قيامه بعمل يقدم قيما هامة كالشرف والعدل والشهامة والصدق والوطنية والفضيلة ... الخ . وعندما يستخدم هذا الاسلوب فى الحصول على اذعان التابع فانه يلجأ الى استمالة التابع بأن يوضح له الصلة بين العمل المطلوب والقيمة التى يخدمها هذا العمل . ولكى يستطيع القائد استمالة التابع ومعتقداته ، وقيمه ومشاعره حتى يمكن له ان يستخدم هذه المعايير فى تحريك حماسه . ونظرا لفعالية هذا الاسلوب فى تحقيق اذعان التابعين فى الحالات التى يمكن ربط السلوك بقيم هامة يقر بها التابعون ، فان المنظمات كثيرا ما تعتمد عليه فى الحصول على طاعة واذعان العاملين فيها ، فالرؤساء كثيرا ما يعتمدون فى ممارستهم للتأثير على مرؤسيهم على ما تحث عليه التقاليد والقيم فى المجتمع من طاعة الرؤساء والولاء لصاحب العمل ، والانضباط فى العمل والاتقان والشرف والنزاهة .. الخ .

٧- تنمية أو تغيير القيم والمعتقدات

عندما يستخدم القائد وسيلة الالهام وإلهاب الحماس استنادا الى قيم ومعتقدات معينة لدى التابع ، فان هذا يفترض وجود هذه القيم والمعتقدات ورسوخها فى وجدان التابع وذهنه ، اما عندما لاتكون هذه القيم والمعتقدات راسخة لدى الفرد التابع فقد يلجأ القائد الى تنميتها وتوقيتها حتى يمكنه ان يستخدمها كأساس للحصول على اذعان التابع . وقد يستطيع القائد تحقيق هذا من خلال اختيار من سيلقى عليهم بتوجيهاته بحيث يكونوا ممن تتوافر لديهم القيم والمعتقدات التى تستند اليها هذه التوجيهات . فقد ينتقى أحد الرؤساء

من بين مرؤوسيه أولئك الذين يتوافر لديهم قيم الطاعة والايمان الدينى والفضيلة والشرف ليعهد اليهم بمهمة سرية فى العمل او بالحفاظ على مستندات هامة أو بإجراء معاملات لحساب المنظمة بحيث لاتتطرق لهذه التعاملات بشبهة الفساد او الانحراف . وفى الحالات التى يجد فيها القائد أن تابعيه لايملكون القيم والمعتقدات التى تخدم الممارسة والسلوك المطلوب ، فانه قد يعمد الى تنميتها وتعميقها لديهم .

وعادة ما تستغرق عملية تنمية وترسيخ هذه القيم والمعتقدات وقتا طويلا ، لكن القائد قد يستطيع أن يكثف جرعات التأثير التى تستهدف بناء هذه القيم فيسرع بهذه العملية . وتلجأ الكثير من الجماعات الدينية والسياسية الى تنمية وترسيخ القيم من خلال اعطاء حديثى الالتحاق بهذه الجماعات جرعات مكثفة من التوعية والتأثير بما يخدم الممارسات التى يطلب اذعان أفراد هذه الجماعات لها فيما بعد . وقد تتخذ التنمية المكثفة والسريعة لهذه القيم التى تقوم بها بعض الجماعات الدينية أو السياسية المتطرفة ، ما يعرف بعملية " غسيل المخ" وفى هذه العملية يتم عزل الفرد المراد تحويله وتغيير معتقداته عن كل مصادر المعلومات وعن كل اتصالات اجتماعية فيما عدا ما يتلقاه من خلال المنظمة . ويتم تعريض الفرد لحملات مكثفة من التوعية يقوم بها افراد يملكون حماسا عاليا وموهبة وقدرة عالية على التأثير وعلى بيان جاذبية القيم والمعتقدات التى تتبناها الجماعة او المنظمة ، كما يتم حث الفرد على التعبير عن موافقته وتبنيه للقيم والمعتقدات الجديدة . ونبذة للقيم والمعتقدات السابقة وتشجيعه وتدعيم سلوكه كلما اظهر ذلك . ويتم هذا كله فى جو مشحون بالانفعال والحماس وإلهاب العواطف . ومغرر بقبول الجماعة وتبنيها

للعضو الجديد كلما أظهر اقتناعه لقيمـــها ومعتقداتــها ومبادئــها . ومثلمــا يمكن للفرد الذى يمارس موقعا قياديـــا ان يســتخدم هــذه الاســاليب علــى تفاوتها ، يمكن للمنظمة أو أى جماعة ان تســتخدم هــذه الاســاليب ايضــا. بل ان الاساليب الاكثر قــوة واســراعا بعمليــة تغيــير القيــم والمعتقــدات والمبادىء والاكثر تطرفا مثل عمليــة " غســيل المــخ" تعتــبر المنظمــة أو الجماعة أكثر قدرة على ممارستها والسيطرة عليه ممــا لــو مارســها فــرد واحد .

٨- تطويع القائد للمعلومـــات

يمكن للقائد أن يؤثر علـــى مفـــاهيم ومشـــاعر ومدركـــات التـــابعين من خلال سيطرته على المعلومات التى تتـــاح لـــهؤلاء التـــابعين . فانتقـــاء معلومات معينة دون أخـــرى ونقـــل أحـــداث معينـــة دون أخـــرى وتوفـــير معلومات تعطى انطباعات معينة وتقود الى اســـتنتاجات فـــى اتجـــاه معيـــن ، كلها اساليب تعتمد على تطويع المعلومات والســيطرة عليــها ممــا يؤثــر على الافراد الذين يتلقون هذه المعلومات . والتـــأثير الـــذى يتحقـــق نتاجـــا لتطويع المعلومات لايتصور ان يتم الا اذا تـــم عـــزل الفـــرد محـــل التـــاثير (التابع) عـــن المصـــادر البديلـــة للمعلومـــات . وتتاثرمدركـــات ومفـــاهيم الفرد التـــابع نتيجـــة تطويـــع المعلومـــات ودون ان يعـــى أو يـــدرك انـــه مستهدف بهذا التأثير بالضرورة لاسيما فـــى حالـــة عـــدم توافـــر مصـــادر بديلة للمعلومات . وقد يلجأ القـــائد (او الجماعـــة) الـــى اســـتخدام اســـلوب تطويع المعلومات كاسلوب مكمـــل ومعـــزز لاســـاليب تـــاثير أخـــرى مثـــل الاستمالة القائمة علـــى الرشـــد والنفـــوذ القـــائم علـــى الخـــبرة وإلـــهاب الحماس وتغيير المعتقـــدات .

٩- تطويع ظروف البيئة

يمكن للقائد أن يؤثر على مشاعر وسلوك التابعين بطريقة غير مباشرة من خلال تطويعه للظروف المادية أو الظروف الاجتماعية المحيطة بهؤلاء التابعين . فمن خلال التحكم في الاختيارات البديلة للتصرف المتاحة للتابعين يمكن للقائد التأثير على سلوك هؤلاء التابعين مثل توفير أدوات أو خامات معينة - دون أخرى - هي المطلوب استخدامها أو حالة تصميم مكان العمل بما يفيد من امكانية القيام بأنشطة معينة ويمكن من القيام بأنشطة أخرى ، أو حالة تشكيل فرق أو جماعات العمل بما يمكن من تهيئة ظروف التعاون أو التنافس بين التابعين . وبالمثل فإن تصميم تقنيات الانتاج قد يحدد السرعة التي يتدفق بها الأداء ويلتزم بها بالتالي الأفراد في المراحل المتتابعة للانتاج . كما قد يؤثر هذا التصميم في امكانيات التفاعل والاتصال بين الافراد العاملين في مواقع مختلفة أو في مراحل مختلفة من عملية الانتاج . وتتوقف درجة التأثير المتحققة من مثل هذا التطور المادى أو الاجتماعي للبيئة على درجة السيطرة المتاحة للقائد على عناصر هذه البيئة ، وعلى قبول التابعين لظروف البيئة بعد تطويعها .

١٠- الاعجاب والانتماء الشخصي

قد يعتمد القائد على اعجاب التابعين به ، وانتمائهم لشخصه ، فيجعلهم يحاكونه في السلوك الذى يسعى لتنميته لديهم . فالعنصر الرئيسي في هذه الطريقة هو القدرة التي يراها التابعون في قائد أو رئيس يحملون له مشاعر اعجاب وتقدير . وهذه المحاكاة قد تكون نتاجا لمحاولة تمثل التابعين للقائد نتيجة اعجابهم بصفاته . وقد يمكن للقائد ان يستشعر اعجاب وولاء التابعين له . بل ينمى لديهم أنماطا

معينة من القيم والسلوك من خلال القدوة التى يعطيها اياهم . ومثلما يمكن للقائد أن يستخدم ذاته كقدوه للمحاكاه يمكن ايضا ان يستخدم أفراد معينين كنماذج يتشجع بها من يريد التاثير عليهم يقتدوا بهم ويحاكونهم .

١١- المشاركة فى القرار

يمكن للقائد ان يؤثر على سلوك التابعين من خلال إشراكهم فى الاختيارات والقرارات التى يطلب تنفيذها ، والمشاركة هنا تنمى لدى التابعين الشعور بالانتماء للقرار المتخذ ، والالتزام به مما يزيد من حماسهم لتنفيذه . ويتوقف التأثير الإيجابى المتحقق من هذا الاسلوب لدرجة المشاركة المتاحة ، وعلى مدى إتساق القرار المتخذ بالمشاركة مع تفضيلات وأهداف الفرد التابع . فاشراك الفرد اشراكا صوريا لايكون له أثر الاشراك الفعلى فى كل مراحل القرار . وكذلك فان اشراك الفرد فى قرارات تستهدف غايات تتعارض مع مصلحته وأهدافه لن يضمن حماسه لها وتعاونه فى تنفيذها . وتتمثل فلسفة اسلوب المشاركة فى القرار كاداة من أدوات التأثير فى توفير الفرصة للفرد التابع ان يمارس تأثيرا على القرار ، فيتأثر بالتالى حماسه وانتمائه للقرار المتخذ نتاجا لتوفير فرص المشاركة هذه .

نفوذ المنصب والنفوذ الشخصى :

تتفاوت أدوات ووسائل التاثير السابق عرضها فيما يعتمد عليه وما تتطلبه من مقومات . فبعض هذ الادوات والوسائل قد يعتمد على ما يتيحه المنصب أو الوظيفة من سلطات وصلاحيات ، والبعض الاخر قد يعتمد على ما يتمتع به الفرد نفسه من سمات وخصائص ومهارات . وسنتناول هذين النوعين من انواع النفوذ فيما يلى :

١- *نفوذ المنصب :* عندما يعتمد الفرد على مـــا يتيحـــه لـــه المنصـــب الـــذى يشغله من حقوق و سلطات ، فيمارس هذه الحقـــوق والســـلطات للتـــاثير علـــى التابعين فان تأثيره القيادى يستمده هنـــا مـــن موقفـــه . ومثـــل هـــذا التـــاثير يتوقف على مدى ما يتيحه له المنصب مـــن ســـلطات . فالمنـــاصب الرئيســـية تتفاوت فيما هو متاح لشغلها أو يمارسه مـــن ســـلطات لتوجيـــه مرؤوســـيه ، ولتوزيع الثـــواب والعقـــاب عليـــهم ، وتوزيـــع المـــهام والاختصاصـــات فيمـــا بينهم، ولتحديـــــد طـــرق العمـــل وانظمتـــه وتحديـــد وتصميـــم بيئـــة العمـــل، والســـيطرة علـــيا لمعلومـــات المتاحـــة لـــــهم . وكلمـــا زادت الســـــلطات والصلاحيات المتاحة لمـــن يشغـــل موقعـــا رئاســـيا كلمـــا زادت فرصتيـــه فـــي التاثير والحصول علـــى اذعـــان المرؤوســـين . ولكـــى يتحقـــق هـــذا التـــاثير بالفعل فان هذا يتوقف على مهارة الرئيس وقدرته علـــى اســـتخدام مـــا يتيحـــه له المنصب الرئاسى من مقومـــــات .

٢- *النفوذ الشخصى :* هناك مـــن أدوات التـــأثير مـــا يعتمـــد بدرجـــة كبـــيرة على خصـــــائص الفـــرد ، فمثـــلا أســـاليب الاســـتمالة القائمـــة علـــى الرشـــد والاقتناع ونفوذ الخبرة والهاب الحمـــــاس ، والاعجـــاب المقـــترن بالمحاكـــاه ، تعتمد على المهارات والسمات الشخصية للقـــــائد . وفـــى هـــذه الحـــالات فـــان التاثير الذى يمارسه القائد يرتبـــط بصفاتـــه أكـــثر مـــن ارتباطـــه بـــالموقع أو المنصب الذى يشغلـــــه ويتفـــاوت التـــأثير الشخصـــى بتفـــاوت الافـــراد فيمـــا يملكونه من قـــدرات وخـــبرات تتيـــح لـــهم فـــهم مشـــاعر ودوافـــع الاخريـــن واستمالتهم واقناعهم وتحريك حماسهم وتغيـــير قيمـــهم ومعتقداتـــهم ... الـــخ بما يمكن من التـــأثير علـــى مشـــاعرهم وســـلوكهم ، ولايعنـــى كـــون النفـــوذ الشخصى يرتبط بصفات شخصية للقائد فـــان ظـــروف الموقـــف لا تلعـــب دورا فى هذه الحالة . فظـــروف الموقـــف قـــد تحـــدد نـــوع المـــهارات والخـــبرات والصفات التى ينبغى توافرها فى القائد حتـــى يمكـــن لـــه ان يمـــارس تـــأثيرا قياديا .

نظريات القيادة

١- نظريــة الســمات والخصــائص :

السمات تعنى الخصائص او المواصفات التى تمــيز القــائد مقارنــة بغيره. ويقول "الحيدرى" نقلا عن "ستوجديل" ان من الصفات الشخصية للقائد الحالة الصحية الجيدة - النشاط- حسن التفكير والتعقل - الذكــاء - الثقــة والاعتزاز بالنفس - الشخصية الاجتماعية - قــوة الشخصيــة - الشعــور بمشاعر الاخرين ، بينما يرى المشتغلون بــالادارة ان مــن أهــم الصفــات الشخصية للقائد القدرة على حفز وتشجيع الافراد - القدرة على الاتصـــال - القدرة على الاقناع - غرس الثقة فى الاخرين - تفويــض الســلطة والثقــة بالمرؤوسين - القدرة على اتخاذ القرارات . وترى هذه النظريـــة ان القــائد يتسم ويتمتع بصفات غير عادية تؤهله للقيادة .

٢- النظريات الموقفية

تعنى هذه النظريات ان كل شىء يتوقف على الموقف فـــهى نظريـــة شرطية ، حاول أصحابها صياغة مدخل للقيادة وذلك بــالتركيز علـــى كفــاءة ومقدرة القائد للتكيف مع الظروف ، والتى تشمل العوامل البينية التى يصعب عليه التحكم فيها ، والافتراض بأن القائد هو ذلك الشخــص الــذى يســتطيع التكيف والتواؤم مع الظروف المتغيرة . فالجانب الاساسى المركز عليه فـــى هذه النظرية الموقفية هم القائد - الموقف - الجماعة . ومتغير الموقف لـــه أهمية كبيرة فى تحديد من هو القائد الذى يمكنه انجاز الهدف ، وقد أوضح ان العوامل الموقفية تشتمل على :

- نفوذ المركز - نمط العمل أو المهنة - العلاقة بين القائد والجماعة .

٣- النظرية الوظيفية

تنظر هذه النظرية الى القيادة على انها عملية وظيفية بمعنى القيـــام بكل ما من شأنه مساعدة الجماعة على تحقيق أهدافها أو وظائفها وذلك مـــن خلال المحافظة على كيانها وبنائها وأساسياتها.

٤- النظرية المشتركة

وهذه النظرية تجمع خصائص ومكونات النظريات الثلاث الســـابقة ، فهى تراعى السمات والخصائص بالقائد والظروف الموقفية وكذلــك الجـانب الوظيفى .

أنماط القيادة

تشتمل القيادة على ما هو أكثر من مجـــرد علاقـات بيـن الرئيـس والمرؤوس . فالاجراءات الادارية مثلا فى منظمة من المنظمات لها تأثير على العمال وهذه بدورها تتأثر بالموارد المتاحة ، والمتغيرات البيئية والقوى التى تعمل فيها وما تنطوى عليه من تهديدات ومخاطر فالالمام بـترتيب الحاجـات الانسانية والقوى الدافعة وظروف بيئة العمل ، كل هذا يســاعدنا فــى تفــهم أنماط القيادة المختلفة المستخدمة والتـــى نشاهدهــا فــى حياتنـــا اليوميــة بالمنظمات والتى يمكن تصنيفها الى :

١ - النمط الاوتوقراطى
٢- النمط الابوى
٣- النمط الانسانى (التدعيمى)
٤- النمط الاكاديمى
٥- النمط الفوضوى (الحرية المطلقة)

أولا القيادة الاوتوقراطية

ركزت النظريات الكلاسيكية أو التقليدية للادارة على انه ينبغى انجاز العمل المحدد وفقا للطريقة او الاسلوب الذى سبق تحديده ، لذلك تتم الرقابة بدقة للتحقق من ان العامل يؤدى العمل وفقا للطريقة المفروضه . وحيث تتم الرقابة من خلال السلطة ويعبر ما سبق عن مفهوم القائد الاوتوقراطى ولقد استخدم هذا الاسلوب فى عهد الثورة الصناعية حيث كان ينظر الى العمال كسلعة وفى نفس الوقت لم يكن العمال على درجة عالية من التدريب .

لهذا المدخل بعض المزايا . فالكثير من الافراد من حيث التربية والنشاة أو من خلال التجربة معهم - تعودوا على السؤال حول ما يقومون به وكيفية انجاز ذلك ويفضلون هذا المدخل اى أن تقول لهم ما يقومون به وسوف يتبعون التعليمات فى النهاية . فاذا ما تركت لهم تقرير ما يقومون به وكيفية انجاز ذلك فان النتيجة هى الفشل ، فمثل هذا النوع من الاساليب تلائم هذه الفئة ، كما يتميز بسرعة اتخاذ القرار بما يتلائم والموقف بدون أى منازعات او مخاطر طالما أن السلطة مركزية . أما عندما يكون مركز العمل أو الوظيفة فى قمة الهيكل فان أحد أفراد الادارة المتوسط الكفاءة يمكنه فرض القواعد وتحقيق الأهداف المحددة .

ثانيا : القيادة الابوية

نتيجة رد الفعل تجاه النقابات بعد الحرب العالمية الاولى ، طبقت الادارة الاسلوب الابوى أو الاتجاه التسامحى فى التعامل مع الافراد واتجهت لدفع اجور أفضل ، وتحسين ظروف العمل ، وصممت مختلف البرامج لتنمية فئة العمل . من منطلق ان ذلك يرجع الى الاحساس بان هذا الاسلوب هو الافضل للتعامل مع الافراد من استخدام مدخل القوة كما يتم فى المدخل الاوتوقراطى . ووفقا لذلك حصل العمال على كثير من المزايا لتحقيق

الاستقرار والامن وتقليل الاثار المترتبة على البطالة خاصة فى عام ١٩٣٠ .

ومن أهم نقاط الضعف التى ينطوى عليها المدخل الابوى – أنه يزرع عنصر الاستياء بين الافراد نتيجة عدم مشاركتهم فى القرارات ، بالاضافة الى انهم ينظرون الى المزايا المادية كانها جزء من المكافآت الشاملة التى يستحقونها لذلك ينبغى على الادارة ان تبحث عن بعض الوسائل الاخرى لحفز العمال ، ومن المناسب وجود خدمات وحوافز تشجيعية فى برنامج متكامل للافراد.

ثالثا : القيادة التدعيمية (النمط الانسانى) .

الاتجاه الحالى فى المنظمات الامريكية هو التحول من القيادة الاوتوقراطية والابوية الى نظام اعطاء مزيد من الحرية فى التصرف والمشاركة فى اتخاذ القرارات وهذا لايمنع من وجود بعض المنظمات الصغيرة التى تدار وفقا للاسلوب الاوتوقراطى والابوى . ونظرا للتزايد فى درجة التعقد والتشابك للمنظمات فى الوقت الحاضر جعل من الصعب على المديرين الاعتماد كثيرا على الاساليب التى يتبعها الاخرون . ويقول مائير ان افضل اسلوب لاحداث التغيير هو تضمين ومشاركة الافراد فى هذا التغيير . ويطبق هذا المدخل وهو المشاركة فى القيادة وذلك فى حالة تعدد الوحدات التابعة للمنظمة حيث يتطلب الامر تطبيق اللامركزية .

رابعا : النمط الاكاديمى

يوجد اتجاه متزايد نحو استخدام أسلوب أو نمط قيادى متطور يسمى بالاسلوب الكلى وهو عبارة عن امتداد لاسلوب التدعيم او المشاركة ، يصلح هذا الاسلوب بصفة خاصة فى مجال البحوث والمتخصصين فى هذا المجال ، كالعلماء ، والمحامين ، والمهندسين والاستشاريين حيث يرون أنفسهم من

خلال الادوار التى يقومون بها فى مجال التخصص المهنى ، حيث يسود الجو الاكاديمى للبحث ، فمن وجهة النظر الى المركز الوظيفى فهم يفضلون درجة عالية من الاستقلال والحرية فى مجال العمل . فهذه الفئة ترغب فى أن يكون لها رأيا وبعض الخيارات فيما يتعلق بالمشروعات والمهام التى يقومون بها ، ومجال أوسع فى اختيار أسلوب حل المشاكل أى يرغبون فى أن يكونوا زملاء أكثر من كونهم رؤساء .

خامسا : الاسلوب الفوضوى

ووفقا لهذا الاسلوب يعطي للمرؤوسين الحرية المطلقة فى تحديد المهام والانشطة ولايتدخل القائد الرسمي المعين فى ذلك .

ويلاحظ ان اسلوب المدير أو القائد يختلف من وقت لآخر وفقا لطبيعة الموقف ، فالقائد قد لايتبع نمط واحد من القيادة بصفة مستمرة فقد يكون أوتوقراطى فى بعض الاحيان وقد يتبع اسلوب التدعيم والمشاركة فى أحيان أخرى ، وقد يكون فى بعض الاحيان أبويا او أخ كبير فى تعامله ، وهذا يعنى ان الظروف تملى اسلوبا أو نمطا قياديا معنيا ملائما لكل موقف .

ولقد استخدم هاوس نظريته المسار والهدف كمدخل لفهم لماذا تكون الاساليب القيادية فعالةفى مختلف المواقف وسنتناولها بالتفصيل فى الآتى :

نظرية المسار والهدف لهاوس

تعتبر نظرية المسار والهدف التى قدمها روبرت هاوس فى سنة ١٩٧١ وطورها فى سنة ١٩٧٤ محاولة للربط بين السلوك القيادى ودافعية ومشاعر المرؤوسين . فهذه النظرية تستند أساسا الى الفروض الرئيسية التى تتضمنها نظرية التوقع فى الدافعية . فهى تقرر أن فاعلية القائد تتوقف على الأثر الذى يحدثه سلوكه ونمط قيادته على دافعية الرؤوس للاداء ، وعلى

رضاهم واتجاهاتهم النفسية . وتسمية المسار والهدف التى يحتويها عنوان النظرية مشتقة من المفهوم المحورى الذى تتضمنه النظرية . وهذا المفهوم يحلل الكيفية التى يؤثر بها القائد على مدركات المرؤوس والمتعلقة بأهدافه فى العمل ، واهدافه الشخصية ، وايضا بالمسار الموصل لتحقيق هذه الاهداف. فالنظرية تقترح أن تأثير سلوك القائد على دافعية المرؤوس أو على رضاه يتوقف على قدرة هذا السلوك على ان يحقق أهداف المرؤوس وكذلك قدرته على ان ييسر ويوضح المسارات الموصلة والمحققة لهذه الاهداف . اى أن فعالية القائد تتحدد بقدرته على التأثير على مدركات المرؤوس الخاصة بالاشباعات والمنافع سواء كانت كامنةً فى الأداء أو كانت خارجية ، وكذلك بالتوقعات المرتبطة بهذه المنافع والتى تمثل المسارات المؤدية اليها .

وتستخدم النظرية فى محاولتها تفسير أثر السلوك القيادى على دافعية اداء المرؤوس ورضاه واتجاهاته النفسية أربعة أنماط من السلوك القيادى وهذه الانماط هى :

١- القيادة الموجهة .

٢- القيادة الانسانية .

٣- القيادة المشاركة .

٤- القيادة المهتمة بالانجاز

ويتصف نمط القيادة الموجهة بتحديد القائد لما هو متوقع من المرؤوسين ان يقوموا به، وقيامهم بارشادهم وتوجيههم فيما ينبغى عليهم عملة ، وما ينبغى على أفراد المجموعة اتباعه من قواعد وضوابط وفى هذا النمط يقوم القائد بتحديد ما ينبغى على المرؤوسين اتباعه دون ان يتيح لهم فرصة المشاركة أو ابداء الرأى بشأن هذه الامور .

أما خصائص النمط الانسانى فواضحة فى التسمية ذاتها . فالقائد فــى هذا النمط يتعامل مع مرؤسيه بود وبلا حواجــز . وهــو يــهتم بحاجاتــهم ومشاعرهم وبراحتهم ، ويعاملون كأقران له وليس كتابعين .

وفى النمط المشارك ، يقوم القائد بالتشاور مع مرؤوســــيه ، وأخــذ اقتراحاتهم وآرائهم قبل أن يقوم بصنع القرار ، فهو وان اتخذ القرار بنفسه ، يقوم بالتشاور وتبادل الراى مع مرؤوسيه قبل أن ينتهى الى قرار أو رأى .

ويتصف النمط المهتم بالانجاز بانه يحدد اهداف طموحة لمرؤوســيهم وستوقع منهم أن يبذلوا قصارى جهدهم ، وان يظهروا أفضل ما لديهم ، وهو يسعى الى الحصول منهم على أداء أفضل باســتمرار . والقــائد فــى سـعيه للحصول على مجهود واداء عال من مرؤوسيه ، يظهر لهم ثقته فى قدرتــهم على الوصول بالاداء الى الاهداف العالية التى يتوقع منهم انجازهـــا ، وفــى تحملهم للعبء والمسئولية الملقاة عليهم .

ولعل أبرز ما فى هذه النظرية هو انها تفترض امكانية ممارسة نفس القائد للانماط القيادية الاربعة فى مواقف مختلفة . فخلافا لنظرية فيدلر التــى تفترض نمطا واحدا للقيادة يتصف به كل قائد ، تفترح نظرية المسار والهدف ان الفرد الواحد يمكن أن يكون له أكثر من نمط قيادة حسب طبيعة الموقـــف الذى يوجد فيه .

أما عن طبيعة الموقف فتفترض النظرية أن متغيرات الموقف تلعــب دور المتغيرات الوسيطة ، فهى لاتؤثر علـــى دافعيــة ورضــا المرؤوســين (المتغيرات التابعة) مباشرة ، وانما على العلاقة بين متغيرات انماط القيـــادة (المتغيرات المستقلة) ودافعية ورضا المرؤوسين - وتتمثل متغيرات الموقف التى تدخلها النظرية فى فروضها فى مجموعتين :

١- خصائص المرؤوس .

٢- خصائص بيئة عمل المرؤوس . وتقدم نظرية المسار والهدف فرضين أساسين :

الفرض الاول : يتوقف قبول المرؤوسين لسلوك القائد ودرجة تحقيق هذا السلوك لرضاهم على درجة ادراك المرؤوسين ان هذا السلوك هو مصدر للرضا الحالى والمستقبلى .

الفرض الثانى : يتوقف أثر سلوك القائد على تحريك دافعية المرؤوس لبذل الجهد على :

(١) درجة توقف سلوك القائد المشبع لحاجات المرؤوس على فعالية أداء المرؤوس .

(٢) درجة كون سلوك القائد مكملا لبيئة عمل المرؤوس ، وذلك بتقديمه التدريب ، التوجيه ، العون ، الثواب اللازم لتحقيق أداء فعال فى حالة نقص هذه المعلومات فى بيئة المرؤوس أو نقصها لدى المرؤوس ذاته .

إن الفرضين السابقين يبرزان أن المهام الاستراتيجية للقائد هى أن يستثير المرؤوسين للاداء ، ويزيد من رضاهم عن العمل ، ومن قبولهم للقائد، وهذه المهام الاستراتيجية يقدمها هاوس وميشيل للتتضمن :

١-التعرف على حاجات المرؤوسين وكذلك اثار تلك الحاجات التى يكون للرئيس بعض السيطرة على وسائل اشباعاها .

٢-زيادة عوائد المرؤوسين عن تحقيق اهداف العمل .

٣-تيسير سبل ومهارات الوصول الى العوائد المرتبطة بالاداء التى يمكن للمرؤوس الحصول عليها من خلال ارشادات وتوجيهات القائد .

٤-توضيح وبيان ما يمكن ويبلور توقعات المرؤوسين عن فوائد العمل .

٥-ازالة العقبات التى تعترض وتحبط مشاعرهم .

٦-زيادة فرص الاشباع والرضا للمرؤوسين المتوقفة على والمشروطة بالاداء.

ان قيام القائد بتيسير طرق ومسارات الوصول الى الاهداف الشخصية للمرؤوس واهداف العمل الذى يقوم به ، يتحقق فى ضوء ما تقترحه النظرية باستخدام القائد لنمط القيادة التى يتناسب مع خصائص الموقف .

لقد أورد هاوس وميشيل بعض نتائج البحوث التى تؤيد الفروض الاساسية لنظرية المسار والهدف منها :

١-يرتبط السلوك الموجه للقائد ارتباطا طرديا برضا المرؤوسين وكذلك بتوقعاتهم عن عوائد الاداء فى المواقف التى يقوم فيها هؤلاء المرؤوسين بمهام تتصف بدرجةعالية من الغموض من حيث طرق ومسارات تحقيق انجاز ونتائج اداء فيها .

٢-يرتبط السلوك الانسانى للقائد طرديا برضا المرؤوسين فى الحالات التى يقوم فيها المرؤوسين بعمل يحتوى على مهام مثيرة للتوتر والاحباط أو مثيرة للاستياء .

٣-يرتبط السلوك المشارك للقائد طرديا برضا المرؤوسين ودافعيتهم للاداء فى المواقف التى يشعر فيها المرؤوسين بان عملهم يعبر عن ذاتهم ويرتبط بها .

٤-يرتبط السلوك المهتم بالانجاز لدى القائد بتوقعات المرؤوسين ان مجهوداتهم ستؤدى الى تحقيق أداء فعال عندما يقوم المرؤوسين بمهام غير متكررة بها قدر من الغموض وعدم التحديد. أما بالنسبة للمرؤوسين الذين يقومون بأداء مهام متكررة تتصف بالوضوح والبساطة فلا يوجد ارتباط بين السلوك المهتم بالانجاز وبين توقعات الاداء لدى المرؤوسين.

القيادة الزعامية

هناك نوع من التأثير القيادى اس[illegible] بشخص القائد يسمى بالقيادة الزعامية او البطولية. فى هذا النوع ينجح القائد فى ان يحصل على درجة عالية من التزام التابعين وولائهم الشديد له ولما يدعو اليه . ولقد قدم هاوس فى سنة ١٩٧٧ نظرية فى القيادة الزعامية تعتبر أول محاولة لتناول هذه الظاهرة تناولا نظريا شاملا . وقام هاوس باستخلاص نظريته من نتائج البحوث والكتابات التى تنتمى لميادين عديدة من ميادين العلوم الاجتماعية .

ووفقا لنظرية هاوس فان الحكم على قائد بانه يمارس قيادة زعامية ، ممكن ان يتم على أساس عدد من المؤشرات التى تتمثل فى الآتى :

١-ثقة التابعين فى صحة وسلامة ومعتقدات القائد .
٢-تشابه معتقدات التابعين مع معتقدات القائد .
٣-قبول التابعين لنقائد قبولا غير مشروط لايخالطه شك .
٤-استحواذ القائد على عواطف ومحبة التابعين .
٥-استعداد التابعين لتقديم الطاعة للقائد طواعية منهم دون ارغام .
٦-حماس وانفعال التابعين بالقضية أو المهمة التى يدعو اليها القائد .
٧-طموح عالى لاهداف الاداء والانجاز من قبل التابعين .
٨-اعتقاد التابعين فى قدرتهم على المساهمة فى تحقيق نجاح القضية أو المهمة التى يدعو اليها القائد .

ويرى هاوس ان القائد الزعيم يتميز عن غيره بمجموعة من السمات، فهو يتمتع بثقة عالية فى النفس ، وايمان قوى فى معتقداته ومبادئه ومثالياته، ونزعة قوية للتأثير وبسط النفوذ على الاخرين . فالثقة العالية فى النفس والايمان الذى لايتزعزع فيما يعتقد فيه يمكنا القائد من ان يحصل على ثقة تابعيه وفى حكمة على الامور ، وايمانهم بسلامة ما يدعو اليه . اما نزعة التأثير وبسط النفوذ فهى ضرورية لكى يحاول القائد ان يستميل تابعية وأن يؤثر على سلوكهم.

وتوافر نزعة بسط النفوذ مع الثقة بالنفس والمعتقدات الذاتية تمثل مزيجا يعطـــى للقائد الدافع في أن يمارس تأثيرا على الآخرين .

ويعني الزعيم في أن يتصرف بطريقة تعطى انطباعات لدى التـــابعين بكفاءته وفعاليته ونجاحه . فالسلوك الذى يعكس الثقة بالنفس ، والتصرف بلا تردد ، وابراز النجاحات والانجازات التى حققها القائد بنفسه ومن خلال قيادته للجماعة تعمل على زيادة استعداد التابعين للاذعان الطوعى لتوجيهات القـــائد لثقتهم فى قيادته .

ويقوم الزعيم عادة ببلورة أهداف التابعين ويحـــدد للجماعـــة التـــى يقودها هويتها الفكرية وغاياتها العقائدية . فالزعيم يعمد الـــى ربـــط مـــهام الجماعة وانشطتها بمجموعة من القيم والآمال والمثاليات التى يشترك فيـــها أفراد الجماعة . وهو يقوم بعملية الربط هذه من خلال رسم صورة لمســـتقبل الجماعة ومستقبل انجازاتها . ومن خلال الرؤية المستقبلية يستطيع أن يلهب حماس التابعين . ويحرك حماسهم ومشاعرهم ، ويقوى من التزامهم بتحقيق اهداف الجماعة . وتتوقف امكانية القائد فى ان يحرك مشاعر التابعين ويلهب حماسهم على قدرته فى أن يعطى لمهمة كل فرد فى الجماعة طابعاعقائديا .

واحد الوسائل الهامة التى يستخدمها الزعيم فى التاثير على التـــابعين هى تحريكه واستثارته للدوافع ذات الصلة بالمهمة الموكـــل الـــى الجماعـــة تحقيقها . فاستثارة القائد لدافع الانجاز لدى أفراد الجماعـــة يناســـبه كـــون المهمة صعبة وتحتوى على قدر غير قليل من التحدى، وتتطلب مثابرة عالية وتحملا للمسئولية واستثارة الزعيم لنزعات القوة والسيطرة لـــدى التـــابعين يتناسب مع المهام التى تحوى منافسة بين الجماعة وجماعات اخـــرى ، امـــا استثارة الزعيم لحاجات الانتماء لدى الافراد التابعين فهو يناسب المهام التى تتطلب درجة عالية من التعاون وروح الفريـــق ومســـاندة الافـــراد لبعضـــهم البعض.

اكتشاف واختيار القادة المحليين

ان عملية اكتشاف واختيار القادة المحليين ليست بالعمليـــة الســهلة ولكن حتى يسهل على المرشد اكتشاف هؤلاء القادة لابد ان يعرف أولا :

١-ماهى المهمة القيادية الارشادية التى ستؤدى ؟

٢-ما هى الصفات والمهارات التى تحتاجها هذه المهمة ؟

٣-أين يوجد هذا الشخص الذى تتوفر فيه هذه الصفات ؟

٤-ما هى المجموعة التى ستؤيد وتدعم وتتبع هذا الشخص ؟

٥-أى من صفات هذا الشخص يمكن صقلها بالتدريب وأى من الصفات التـى يجب اكسابه اياها؟

٦-كيف يمكن اقناع هذا الشخص بالعمل كقائد محلى ؟

ومن الطرق التى جربت وثبت فعاليتها فى اكتشاف القــادة المحلييــن والتي اتفق عليها كثير من الكتابات الارشادية ما يلى :

١- الطريقة السسيومترية

ويستخدمها المرشدون الذين يعملون فى قرى معينـــة ولايعرفـون عنها وعن أهلها شيئا ويعتمد فى هذه الطريقة على سؤال عدد كبير من أهـل القرية عن الشخص أو الأشخاص الذين يقصدونهم طلبا للنصيحة أو المشورة أو الراى فيما يتعلق بنواحى الحياة الزراعية والاجتماعيــة وهــذه الطريقــة تتطلب اعداد استبيان يتضمن عدة أسئلة مثل :

س اذا رغبت فى معرفة شيئا جديدا فى الزراعة لمن تذهب ؟

س اذا صادفتك مشكلة فى الزراعة من تستشير ؟

س من هم الاشخاص ذوى النفوذ فى فض المنازعات ؟

س اذا صادفتك مشكلة مع مسئول الزراعة من يساعدك فـــى الاتصـــال بـــهم لحلها؟

وهكذا يمكن حساب ما يسمى بالدرجة السسسيومترية لكل شخص من تكرار ذكر اسمه فى كل سؤال .

٢- الاعتماد على تقدير المحكمين (الانتخاب)

وتعتمد هذه الطريقة على الاستعانة بمجموعة من الافراد ذوى المعرفة الدقيقة بافراد المجتمع المحلى (القرية) ويطلب منهم ترتيـــب افـــراد القريـــة المكتوب اسمائهم على بطاقات فى عشرة مجموعات حسب قدرتـــهم القياديـــة بعد استبعاد الاسماء التى لايعرفونها ؟ وبناء عليه يحصل كل فرد مـــن اهـــل القرية على مجموعة درجات من حملة المحكمين تحدد درجة قدرته القيادية . ويشترط هنا أن يحاط المحكمين علما بالصفات الواجب توافرها فـــى القـــادة والمهام والمسئوليات المطلوب القيام بها .

٣- ملاحظة المرشد للجماعة أثناء النقاش والاجتماعات

فمن خلال المناقشات والاجتماعات يمكـــن للمرشـــد التعـــرف علـــى الاشخاص ذوى المعارف والقدرات المميزة والافراد القـــادرين علـــى تحمـــل المسئوليات فى النقاش واتخاذ القرار والمبادأة فى طرح الراى والتفكير .

٤- الاستناد الى الاقدمية والخبرات السابقة

٥- الاستناد الى السمعة والشهرة

٦- الاستناد الى درجة المشاركة الاجتماعية

فبعض الدراسات تستند الى درجة المشاركـــة الاجتماعيـــة الرســـمية وغير الرسمية كمؤشر الى قدرة الافراد على احتـــلال مراكـــز قياديـــة فـــى مجتمعاتهم .

٧- الاختيار أو التحديد الذاتى

وتعتمد هذه الطريقة على سؤال الشخص نفسه على مدى ادراكه او اعتباره لنفسه كقائد ومن امثلة الاسئلة التى توجه للشخص فى هذه الحالة :

١- هل يسألك أهل القرية عن معلومات أو نصائح ؟

٢- هل تكلمت مع أحد من أهل القرية عن أشياء خاصة بالزراعة مثلا ؟

٣- تفتكر ان الناس بتسألك أكثر من غيرك من اهل القرية ؟ وهكذا .

وقد يطلب من الفرد وضع نفسه على مدرج أو سلم القيادة بدرجاته العشرة بعد أن يعرفه ان الدرجة العليا يقف عليها اهل القرية الذى يلجأ اليهم الاخرين اكثر من غيرهم طلبا للنصيحة والدرجة التالية يقف عليها من يقلون عنهم وهكذا إلى الدرجة الاخيرة .

طرق تدريب القيادات المحلية

هناك نوعان منها طرق التدريب غير الرسمية وهى تلك التى يلجأ اليها الفرد او القائد لتنمية مهاراته وقدراته القيادية ، أما طرق التدريب الرسمية فهى تلك التى تصمم بهدف تدريب وتنمية المهارات القيادية فى الاخرين ومنها :

١-المحاضرة : وهى الاكثر شيوعا لتدريب القادة واعطائهم معلومات كثيرة ولكنها تحد من المناقشات .

٢-اجتماعات المداولة : وفيا يجتمع المتدربين تحت اشراف اخصائى لمناقشة مشكلة معينة فيما بينهم .

٣-الندوات والمحاضرات المتكاملة .

٤-الدراما الاجتماعية وتمثيل الدور .

٥-الرحلات الحقلية .

٦-التدريب او التمرين من خلال مشاهدة القادة الاخرين أثناء تاديتهم لمهامهم القيادية .

٧-اسناد مسئوليات للقادة المتدربين والاشراف عليهم أثناء تنفيذها .

الفصل الرابع

الثقافة

١- تعريف الثقافـــة
٢- الثقافة والحضـــارة
٣- مكونات الثقافـــة

الثقافة

كلمة الثقافة هى من أكثر الكلمات تداولا ، وفى نفس الوقت من أشدها غموضا بحيث أن هناك احتمالا كبيرا فى أن يكون أى جدل حول الثقافة هو فى حقيقته جدل بين أشخاص يتحدثون جميعا عن شىء واحد ، واذا سلمنا بغموض الكلمة فاننا لابد وان نقر بأن هذا أمر ايجابى من شأنه تفجير الجدل المستمر والموجه فى الوقت نفسه بهدف الوصول الى معنى واضح ومتفق عليه للثقافة . ولقد عرفت اللغة العربية هذا المصطلح منذ عشرينات هذا القرن وكان سلامة موسى هو اول من استخدم الكلمة للتعبير عن النشاط الفكرى والابداعى للانسان ، بينما كانت الكلمة تشير قديما الى معنى اعداد أداة من مادة خام كى تكون سلاحا فيقال ثقف السيف أو ثقف العودة ليكون سهما أو رمحاً .

ولكن ما صلة علم الاجتماع بدراسة الثقافة ؟ وللرد على ذلك نقول ان علم الاجتماع يتناول بالدراسة ثلاثة مفاهيم اساسية هى المجتمع والثقافة والشخصية ، فالمجتمع عامة يشير الى التفاعلات بين الاشخاص والجماعات وبين الفرد والجماعة او الجماعات . أما الثقافة فهى تشير الى الاساليب التى يستخدمها الانسان وعاداته وتقاليده وانظمته وقيمه والطرق التى يفسر بها العالم الطبيعى والانسانى . وتتعلق الشخصية بدراسة وصف وتحليل الإنفعالات والعادات والاتجاهات وافكار الفرد بالنسبة لنفسه وبالنسبة للاخرين .

وبطبيعة الحال فان هذه الموضوعات (المجتمع - الثقافة - الشخصة) هى ايضا من اهتمام الانثروبولوجيا الثقافية وعلم النفس والعلوم الاجتماعية الاخرى . وجرت العادة على ان علم الاجتماع

يتناول المجتمع أما الانثروبولوجيا الثقافية فهى تختص بالثقافة ، كما يهتم علم النفس بالشخصية . وبالرغم من ان هذا التخصص ليس واضحا فى المعالجات الحديثة الا انه يمكن القول ان علم الاجتماع الثقافى يهتم بالعلاقات المتبادلة بين هذه العناصر الثلاثة .

والثقافة هى اسلوب الحياة فى المجتمع وهى التى جعلت المجتمع البشرى يتميز عن التجمعات الحيوانية ، ولكل مجتمع ثقافته الخاصة التى يتصف بها ، كما ان لكل ثقافة مميزاتها وخصائصها التى تحدد شخصيتها ، وللثقافة مقومات مادية ومقومات معنوية . أما المادية فتتألف من طرائق المعيشة والادوات التى يستخدمها أفراد المجتمع فى قضاء حوائجهم والاساليب التى يصطفونها لاستخدام هذه الادوات. فأدوات الصيد والزراعة والقتال والازياء.. الخ أدوات ثقافية كلها تدخل تحت الثقافة المادية . أما المقومات المعنوية للثقافة فهى مجموعة العادات والتقاليد التى تسود المجتمع والتى توارثها افراده جيلا بعد جيل مثل القانون والعرف التى يحكمهم والقواعد الاخلاقية التى تحدد علاقة بعضهم ببعض .

وهناك خلط كبير فى الاستخدامات العربية بين مفهومى الحضارة والثقافة لان الاستخدام المعاصر فى العربية يكاد يسوى بين الثقافة والحضارة نتيجة لترجمة المصطلحات الاجنبية الى اللغة العربية وسنتناول فى الاتى تعريف كل من المفهومين

الحضارة :

الحضارة تشير الى نوع متقدم من المجتمعات يتميز بفنونه المتقدمة والعلوم والدين وهذه اللفظة لم تأت الى الاستخدام الجارى الا حديثا فقط فحتى عام ١٨٧٢ لم يشر اليها فى القواميس العلمية

خاصة قاموس دكتور جونسون ـ الا انه وبعد ان اخذ مصطلح الثقافة فى الاستخدام العام فان الحاجة ظهرت للتفرقة بين المفهومين وبدأ بعض الكتاب الالمان يطبقون لفظ حضارة على الاجهزة الفنية للمجتمع مثل العلم والتكنولوجيا والامكانيات المادية ولفظ ثقافة على الاجهزة غير المادية فى المجتمع مثل الدين - الفن - الفلسفة ولكن هذا الاستخدام لم يكتب له الانتشار . وايضا فى أوقات كثيرة فان لفظ ثقافة التصقت بالمجتمعات والاشكال الاجتماعية للشعوب غير المتعلمة واستخدمت لفظة حضارة لتصف الاشكال الاجتماعية للشعوب المتحضرة أو المتعلمة ولازال هذا الاستخدام شائعا فى كتابات سبنجر Spengier وتونبىTounbee وبالاضافة الى تلك الاستخدامات فان كثيرا من الباحثين يستخدمون لفظة ثقافة بمفهومها الشامل لتعنى المحصلة الكلية لتراث الانسان الاجتماعى سواء كان هذا التراث ماديا أو غير ماديا ، وتشير لفظة حضارة الى نسق خاص منظم من الثقافة ومن نوع شامل وله صفة الاستمرار .

ويقول "هلول" فى مجال التفرقة بين مفهومى الثقافة والحضارة حيث استخدم الحضارة بمعنى المدنية ، ان كلمة متمدين جاءت Civilized أصلا من الكلمة Civic أى ساكن المدينة وهى كلمة تعنى عكس كلمة بدائىPrimitive وعندما يقال المجتمعات المتمدينة انما يقصد بذلك المجتمعات الحضرية الكبيرة ذات النظام الاقتصادى والاجتماعى المعقد . وعندما يقال المجتمعات البدائية انما يقصد بذلك المجتمعات الصغيرة البسيطة التى لاتحتوى على الانظمة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الكبيرة والمعقدة .

بينما يرى "وهبة" انه لابد من التفرقة بين الثقافة والحضارة حيث يقول أن الثقافة فى دلالتها المجازية عملية تغيير وتبديل من

سيء الى حسن ومن حسن إلى أحسن ن أما الحضــارة فــهى وصــف لمــا انتجته الثقافة . ويبدو ان هذه التفرقة لــها مــا يبررهــاعند الحديــث عــن الثقافة ليس عندنا فحسب وانمــا ايضــا عنــد المجتمعــات المتقدمــة الــى الدرجة التــى جعلــت بعــض المفكريــن الالمــان وفــى مقدمتــهم (فــون كمرلنج، توماس مان ، الفريد فــبر كــاند ، الفريــد فيــبر ، وايضــا مــن يمثلون الثقافيين الانجلو سكونية واللاتينيــة ومنــهم أودم وكيفيــة) حيــث يقرون بضرورة هذه التفرقة حتى أصبح هناك شبــه اجمــاع علــى وجــوب التفرقة بين الثقافة والحضارة عند الحديث عــن الثقافــة لتداخلــها.

الثقافــة :

ظهرت تعارف كثيرة للثقافــة مــن خــلال علمــاء الانثروبولوجيــا لعل أهم هذه التعــاريف وأكثرهــا تــداولا تعريــف عــالم الانثروبولوجيــا الانجليزى "تايلور" والــذى أورده فــى كتابــه الثقافــة البدائيــة Primitive culture عام ١٨٧١ حيث يعــرف الثقافــة بانــها " ذلــك الكــل المعقــد والذى يشمل المعرفــة والاعتقــاد والفــن والقــانون والاخــلاق والعــرف والتقاليد والعادات وأى قدرات وعادات أخــرى يكتســبها الانســان بوصفــه عضوا في المجتمع " ويعنى هذا ان الثقافــة تحتــوى الافكــار والاتجاهــات العامة والمقبولة والمتوقعة التى يتعلمها الانســان مــن اتصالــه بــالواقع الاجتماعى . فبالنسبة للفرد فى السنوات الاولى مــن حياتــه فــان الثقافــة تلعب دورا هاما فى تدريبه لكــى يكــون اكــثر فاعليــة فــى عالمــه وفــى جيله. وكل جيل جديد ليس مطالبا بــان يبــدأ مــن فــراغ ولكــن عليــه ان يستفيد ممن حوله ويتعلم كيف يتكيــف مــع العــالم الطبيعــى والاجتمــاعى المحيط به ، وفيما بعد فان هذا الكل من اعضــاء المجتمــع مطــالبون بــان يذكروا التراث الى الاجيال القادمة وينقلوا اليهم مــا تعلمــوه فــى المــاضى وما أضافوه بأنفسهم الى هذا الكــل الثقــافى .

وهناك تعريف آخر للثقافة وضعه " جون كوبر" حيث عرف الثقافة بأنها " الانماط دائمة التغيير من السلوك المتعلم ومنتجات هذا السلوك المتعلم (بما فى ذلك الاتجاهات والقيم والمعارف والاشياء المادية) التى يشترك فيها أفراد المجتمع وتنتقل فيما بينهم " ويرى " هلول" ان هذا التعريف يحتوى على الحقائق التالية :

١-ان سلوك الناس عموما متعلم .

٢-ان الثقافة منظمة فى أنماط .

٣-ان هذه الانماط ناتجة عن تعليم (شعورى أو لاشعورى).

٤-أنها توجد فى شكل أشياء مادية وأفكار وعادات وايضا اتجاهات ومعارف معنوية.

٥-انها تميل الى ان تكون الى حد ما عامة ومشتركة بين اعضاء المجتمع تتعلم من الاخرين وتعلم للاخرين بطريقة لاشعورية الى حد كبير.

٦-ان هذه الطرق فى الاداء والطرق فى التفكير تكون نمط حياة الناس.

٧-ان هذه الطرق متغيرة باستمرار .

من هذا نرى ان "جون كوبر" ينظر الى الثقافة على انها السلوك المتعلم وأنماط السلوك المتعلمة المتغيرة التى يشترك فيها الناس ويتناقلونها فيما بينهم وهذا هو ما يتفق مع تعريف " تايلور" وان كان يختلف معه فى انه يعتبر الاشياء المادية الثقافية جزء من الثقافة وبمعنى آخر ينظر الى الثقافة على انها تتكون من ماديات ومعنويات .

تنظيم الثقافة

حاول الانثروبولوجيين ان يفتتوا الكليات الكبرى للثقافة الى وحدات تسمى بالسمات الثقافية . والسمات الثقافية قد تكون عنصر ثقافى معنوى كتقليد من التقاليد مثل التحية باليد مثلا أو بهز الرأس ، كما قد تكون عنصر ثقافى مادى مثل الحذاء والكرافتة والنظارة ... الخ وعندما تدخل عدد من السمات الثقافية مع بعضها أى تتصل وتترابط مع بعضها وتكون شيئا آخر له معنى وله غرض فانه يطلق على هذا الشيء الاخر بالمركب الثقافى ، فمثلا لعبة ككرة القدم يمثل كلا من الحذاء والملبس والملعب والكرة وتخطيط الملعب وخطط اللعب واسلوب التشجيع والهتاف وقانون اللعبة ... الخ سمة ثقافية ، أما لعبة كرة القدم ككل فتمثل مركبا ثقافيا يتكون من كل هذه السمات الثقافية .

ومجموعة المركبات الثقافية التى تدور حول اهتمام او هدف عام مشترك منه تشتق منه معناها قد تتجمع لتكون ما يسمى بالنمط الثقافى أو ما يطلق عليه المؤسسة حيث قامت جميع المجتمعات البشرية على اختلاف انواعها بتأسيس خمسة مؤسسات أساسية أو أنماط ثقافية رئيسية حتى تستطيع هذه المجتمعات توفير حاجات ومهام أفرادها وهذه المؤسسات أو الانماط الثقافية الرئيسية هى الاسرة ، والتعليم ، والسياسة، والاقتصاد ، والدين .

ويجب ان يلاحظ ان مجموع السمات والمركبات والانماط والعقائد والقيم والاتجاهات الثقافية المتناسقة والمترابطة والمتكاملة بطريقة معينة تعطى للثقافة فى كل مجتمع خصائص تميزها عن غيرها من الثقافات فى المجتمعات الاخرى وكما ان للفرد طابعه المميز له

والذى تحدده صفاته الشخصية فـــان لكـل مجتمـع طابعــه الــذى تحــدده مجموعة الصفات المنتشرة فى كل جزء مــن أجــزاء ثقافتــه .

مكونـات الثقافـة

من عرضنا السابق لتعريف الثقافـــة يتبيــن ان هنــاك تبــاين بيــن العلماء عن مكونات الثقافــة ، فــالبعض منــهم يعتقــد انـــها تتكــون مــن عناصر معنوية فقط ، بينما البعض الاخر يرى انـــها تتكــون مــن عنــاصر معنوية وأخرى مادية ، والاشياء سواء كانت ماديــة أم معنويــة فــهى فــى النهاية ناتجة عن استخدام العقل البشـــرى فــى حـل المشــاكل أو اشبــاع مختلف الرغبات والاحتياجات وسنتناول فــى الاتــى الماديــات والمعنويــات الثقافية .

١ - *الماديات الثقافية :* يكاد يتفــق الكثـيرين مــن علمــاء الانثروبولوجيـا على ان الثقافة هى السلوك المتعلم وانمــاط الســلوك المتعلمــة المشتركــة والتى تنتقل عن طريق الاتصال من افراد لاخريــن . ولكــن يتبقــى تســاؤل حائر هو هل الماديات الثقافية مكون من مكونــات الثقافــة ؟ يؤكــد "هــارى جونسون" ان الاشياء المادية فى حد ذاتها لاتعتــبر بــاى حــال جــزء مــن مكونات الثقافة ، فالثقافة فى رأيــه لاتشمــل ســوى المعنويــات فــى حــد ذاتها ممثلة فى المعـــارف والافكــار وايضــا الاراء والاتجاهــات والفنــون والاداب وغيرها. فهذه المعنويات فى رأيه تظـــهر ســواء فــى الســلوك أو فى نتائج السلوك ، لكن فى رأيــه لا الســلوك نفســه ولا نتائجــه الماديــة الملموسة تعتبر جزءا من الثقافة ، فالســلوك فــى حــد ذاتــه كمــا يقــول "هلول" ليس جزءا من الثقافة لكنه ثقافى كمـــا هــو كيمــاوى وفســيولوجى ووراثى والنتائج المادية للسلوك ايضا ليست جــزءا مــن الثقافــة ولكنــها أشياء ثقافية . وان الذى اعطى لها صفة الثقافــة هــى المعــارف والافكــار

وغير ذلك من المعنويات التى دخلت فى صنعها او استعمالها . فلقد استطاع الانسان ان يصنع الكثير من الماديات الثقافية ممثلة فى المصانع والسيارات والاجهزة الكهربية والالكترونية وغيرها من سلع مادية ثقافية ما كان له ان يصنعها بغير ما توفر لديه من المعارف والخبرات ، والأشياء المادية فى أى ثقافة تؤثر على سلوك أفراد هذه الثقافة ، فمثلا وسيلة المواصلات والانتقال قد تختلف من ثقافة الى اخرى ابتداء من الجمال وحتى القطارات او السيارات او الطائرات .

٢ - *المعنويات الثقافية :* تعتبر الثقافة الميراث الاجتماعى للشعوب ، فنحن نتعلم الثقافة من الاخرين كما نتعلمها من الكتب ووسائل الاتصال الاخرى . وثقافة الناس يعبر عنها سلوكهم وانماط سلوكهم المتعلم ، بين أن هذا السلوك وانماطه فى حد ذاتها ليست جزءا من الثقافة . انها مجرد الوسيلة التى يعبر بها الناس عن ما فى عقولهم من آراء وافكار وايضا من اتجاهات ، ولو ان المعنويات الثقافية غير ملموسة الا انها على جانب كبير جدا من الاهمية فأحيانا ما ينظر الناس باعجاب شديد وفخر زائد الى بعض الاشياء المادية لانها متجسدة امامهم مثل أجهزة الكمبيوتر مثلا ، لكن القليل منهم هو من يفكر هل كان فى الامكان ايجاد مثل هذه الاشياء بدون المعارف والافكار العلمية أى بدون المعنويات الثقافية .

وليست المعنويات الثقافية قاصرة فقط على المعارف والافكار ولكن هناك ايضا ما يمكن ان نطلق عليه موجهات السلوك من قيم وعادات اجتماعية تحتوى داخلها الاعراف والسنن والمعايير ... الخ والتى تلعب دورا كبيرا فى التاثير فى سلوك الانسان . فكما سبق أوضحنا فان الانماط الثقافية هى تلك الانماط من السلوك المتعلم التى تعارف الناس فى المجتمع على اتباعها . والمجتمع عادة ما يتخذ

اساليب وطرق مختلفة لحمل أفراده علـــى اتبـــاع أنمـــاط ســـلوكية خاصـــة الاساس فيها ، ويتجلى ذلك بوضـــوح خـــلال عمليـــة التنشئـــة الاجتماعيـــة وتربية وتوجيه الشباب لان مثل هذه الانمـــاط الســـلوكية توضـــح الطريقـــة المقبولة واللائقة فى أداء الاشياء ، ويتجلـــى ذلـــك بوضـــوح فـــى التقـــاليد والعادات الشعبية بينمـــا وفـــى المقـــابل يوجـــد احيانـــا مـــا يطلـــق عليـــه بالسلوك الاختيارى وهى الافعال التى يســـتطيع الفـــرد ان يقـــوم بـــها دون ان يشعر بالحرج مثل تناول الشاى بلبن أو بدون لبـــن ونطلـــق علـــى هـــذا النوع مـــن الســـلوك بالســـلوك الاختيـــارى وســـنتناول فـــى الاتـــى اهـــم المعنويات الثقافيـــة .

العقائد : تعرف العقائد بانها ذلك الشطـــر مـــن المعـــارف المشتركـــة التـــى يتفق عليها الناس ويؤمنوا بها ، ففى كل ثقافة يعتقـــد النـــاس فـــى صحـــة وحقيقة أشياء مفيدة ، فنحن نعتقد جميعـــا أو فـــى غالبيتنـــا العظمـــى فـــى وجود اله واحد وان كنا نختلف الى حد ما فـــى كيفيـــة عبادتـــه ، كمـــا قـــد يتشائم بعض الافراد من رقم ١٣ بينما يعتقد البعـــض فـــى عمـــل الاحجبـــة والتمائم ، كما قد يعتقد بعض الافـــراد أن مـــن أســـباب بعـــض الامـــراض التى تنتابهم وجود روح شريرة فى جســـم المريـــض ولا أمـــل فـــى شفائـــه الا بعد طرد هذه الـــروح .

والمعارف التى تتضمنـــها هـــذه العقـــائد علـــى الرغـــم مـــن عـــدم امكان اثباتها بـــالبحث العلمـــى الا أنـــها شأنـــها شـــأن المعـــارف العلميـــة تدخل ضمن مكونات الثقافة ولكل مجتمع مـــن المجتمعـــات عقـــائده .

المؤسســـات : يقـــول " هلـــول" نقـــلا عـــن ســـــويزرلاند Sutherland ان المؤسسة " مجموعة متداخلة ومترابطة مـــن العـــادات والتقـــاليد الشعبيـــة والعرف والقوانين والتـــى تتركز حـــول أداء وظيفـــة أو مجموعـــة مـــن

الوظائف ، كالتعليم ، الصناعة ، توزيع السلع .. الخ " كما يرى علماء الاجتماع انه توجد فى أى مجتمع خمسة مؤسسات رئيسية هى الزواج والاسرة ، والتعليم ، والنظام الاقتصادى، والدين والنظام الاخلاقى ، الحكومة . وكل من هذه المؤسسات يمثل مجموعة من التقاليد والعادات الشعبية والعرف وايضا القوانين التى نظمت ونسقت بشكل معين يحقق مقابلة احتياج أو أكثر من الاحتياجات الانسانية . فمثلا من ضمن التقاليد والعادات الشعبية التى يتضمنها الزواج فى بعض المجتمعات تقديم دبلة الخطوبة واشهار الخطوبة والمحافظة على البكارة ... الخ ومن أمثلة القوانين اشهار الزواج عن طريق العقود الرسمية التى تضمن حقوق الزوجين والابناء ، وينظر Biesanz الى المؤسسة على انها تتضمن مفهوم وبناء ، اما المفهوم فيدور حول احتياج أو احتياطات معينة تسعى المؤسسة لتحقيقها اما البناء فيشمل ثلاثة أشياء :

١- الافراد العاملين بالمؤسسة .

٢- الاجهزة وكافة الامكانيات التى تستعملها .

٣- الاساليب والقواعد التى تتبعها عرف - قانون ...الخ .

القانون : اذا كانت العادات والعرف تمثل الزاما غير رسمى لمعايير سلوك الافراد الا ان القوانين تمثل الالزام الرسمى المكتوب لهم وذلك لضمان الضبط الاجتماعى خاصة فى المجتمعات العصرية الكبيرة ، فالمعايير الاخلاقية المنظمة لسلوك الناس فى المجتمع عندما توضح صورة مكتوبة محددة وتقام لها الهيئات التى تشرف على تنفيذ الناس لها ومعاقبتهم على مخالفتها تسمى فى هذه الحالة بالقوانين وتختلف القوانين عن الاعراف فى الاتى :

- ان القوانين تسن عمدا أى عن قصـد وبطريقـة شعوريـة .

- ان القوانين لها الصفة المحددة القاطعة غـير المرنـة .

- ان القوانين تنفذ بطريقـة رسـمية عـن طريـق هيئـات معينـة مثـل البوليس والمحاكم والسـجون .

القيم والعادات الاجتماعيـة - مفهوماتـها واسـتخداماتها : تعتـبر القيـم من المفاهيم الجوهرية والتى لـها دورهـا الواضـح فـى جميـع ميـادين الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، ولانـها معـايير وأهـداف لابـد أن نجدها فى كل مجتمـع منظـم سـواء أكـان متـأخرا او متقدمـا فـهى تتغلغل فى الافراد فـى شكـل اتجاهـات ودوافـع وتطلعـات وتظـهر فـى السلوك الظاهرى الشعورى وغير الشعورى وفـى المواقـف التـى تتطلـب ارتباط هؤلاء الافراد تعبر القيم عن نفسها فـى قوانيـن وبرامـج التنظيـم الاجتماعى والنظم الاجتماعيـة .

ولقد حظى موضوع القيم باهتمام العلمـاء والفلاسـفة منـذ القـدم بل ان البعض ينظر الى فلسفة افلاطـون علـى انـها تـدور كلـها حـول مفهوم القيم ،فلقد عاش افلاطون فى المجتمـع اليونـانى أن كـان مملـوءاً بالمشكلات والاضطرابات ولذلك كان ينشـد حـلا واصلاحـا لمشـاكل هـذا المجتمع بهدف تحقيق الاستقرار للسكان ، ولقد اتضـح لـهم انـه لاسـبيل الى الاصلاح الا بالمثل العليا الثلاث : الحـق ، الخـير ، الجمـال .

مفهوم القيم : يعتبر مفـهوم القيـم مـن المفـاهيم التـى تسـتخدم بكـثرة عندما يتناول حديث الناس الهام والخطير من الامـور فـهو مـن المفـاهيم التى تستخدم عند الحديث عن اقتسام العالم الى معسـكرين ، ثـم هـو مـن المفهومات التى تسـتخدم للمقارنـة بيـن النظـم الاقتصاديـة والسياسـية والعلاقـات الانسـانية فـى المجتمعـات البشريـة ، وهـو كذلـك مـن

المفهومات التى تستخدم عند الحديث عن مستقبل العالم ومصير البشرية .

ولقد أصبح مفهوم القيم نقطة تقابل بين مختلف العلوم الاجتماعية كما اصبح ايضا مفتاحا لمفهوم التكامل فى الدراسات الانسانية ، فمفهوم القيم يعمل كحلقة اتصال لترابط كثيرا من مختلف الدراسات المتخصصة بعضها ببعض . فهو يربط دراسة علم النفس التجريبى عن الادراك بدراسة تحليل الايديولوجية السياسية ، كما يربط دراسات الميزانية فى الاقتصاد بالنظرية الجمالية وفلسفة اللغة وكذلك يربط أدب اللغة بثورات الشعوب .

ويرى البعض ان اصطلاح القيمة مرادف للاصطلاح "نافع" Useful او لائق Expedient ، وهناك من يقول : أن القيم هى الافكار الاعتقادية المتعلقة بفائدة كل شىء فى المجتمع ، وقد تكون الفائدة صحة جسمية أو توقدا فى الذكاء أو نشوة ولذة وهناك من العلماء مثل مور " Moor و " لامونت" Lamont والذين يرون ان القيمة باوسع معانيها هى اى شىء خيرا كان أم شرا .

المفهوم الاجتماعى للقيمة : يمكن النظر الى القيمة على انها الحكم الذى يصدره الانسان على شىء ما مهتديا بمجموعة المبادىء والمعايير التى وضعها المجتمع الذى يعيش فيه والذى يحدد المرغوب فيه والمرغوب عنه فى السلوك . ويقول "كلاكون" ان القيمة تتضمن قانونا أو مقياسا له شىء من الثبات على مر الزمن او بعبارة أعم تتضمن دستورا ينظم نسق الافعال والسلوك . والقيمة بهذا المعنى تضع الافعال وطرق السلوك وأهداف الاعمال على مستوى المقبول وغير المقبول او المرغوب فيه وغير المرغوب عنه او "المستحسن

والمستهجن . وكلمة المرغوب فيه تعنى ما ينبغـــى ان يرغـب فيـــه أو مـــا ينبغى ان يكون بحسب معايير الجماعة التـــى نتوجــه معـــها ، فـــالمرغوب فيه هو الذى يوجه السلوك نحو الافضـــل او الاصـــوب او الاجمـــل وبذلـــك يمكن النظر اليه كرقيب وضـــابط للســـلوك .

فالقيمة فى الواقع هى اهتمـــام أو اختيـــار او تفضيـــل يشعـــر معـــه صاحبـــه أن لـــه مبرراتـــه الخلقيـــة او العقليـــة او الجماليـــةاو كـــل هـــذه مجتمعة بناء على المعـــايير التـــى تعلمـــها مـــن الجماعـــة ووعاهـــا فـــى خبرات حياته نتيجة عمليـــات الثـــواب والعقـــاب والتوحـــد مـــع الغـــير . فالمفهوم الاجتماعى للقيـــم مقصـــور علـــى تلـــك الانـــواع مـــن الســـلوك التفضيلى المبنى على مفهوم المرغوب فيـــه . والمرغـــوب فيـــه هـــو تلـــك المرآة التى تعكس معايير الجماعة ايا كـــان نوعـــها .

وخلاصة القول ان القيـــم ذات طبيعـــة معياريـــة . ولذلـــك فـــالقول بأن القيم ذات طبيعة معياريـــة معنـــاه أنـــها تختلـــف بـــاختلاف الجماعـــات والنظم السائدة فيها ، فالســـلوك يكـــون ســـويا أو منحرفـــا علـــى أســـاس مطابقته لمعايير الثقافة فـــى زمـــن معيـــن ومكـــان معيـــن ، وقديمـــا قـــال "تبتثة " " ليست الفضيلة شيئا ســـوى الطاعـــة لعـــادات الجماعـــة مـــن أى نوع كانت هذه العادات " أو كما يقـــول "ســـمنر" ان الرذيلـــة هـــى السلوك المنافى لعرف الجماعة فى زمن معين ومكـــان معيـــن ، فالســـلوك يختلـــف من ثقافة لاخرى فما يكون سلوكا سويا فى ثقافة مـــا يكـــون انحرافـــا فـــى ثقافة أخرى . وفى هـــذا يقـــول المثـــل الانجلـــيزى " ان رذائـــل بيكـــاديلى احسن من فضائل بيرو . فالسلوك يكـــون ســـويا أو منحرفـــا علـــى اســـاس مطابقته لمعايير الثقافة فى زمن معين ومكـــان معيـــن .

تصنيف القيم : هناك تصنيفات مختلفة للقيم منها تصنيف القيم على اساس :

١- بُعد المحتوى

٢- بُعد المقصد

٣- بُعد الشدة

٤- بُعد العمومية

٥- بُعد الوضوح

٦- بُعد الدوام

اولا : بالنسبة للتصنيف على أساس بُعد المحتوى : مثل القيم الجمالية - القيم الدينية- القيم الخلقية - القيم الاقتصادية - القيم الاجتماعية - القيم السياسية - (تصنيف سبرينجر Spranger)

ثانيا : بُعد المقصد : تنقسم القيم الى قسمين ؛ قيم وسائلية ، وقيم هدفية او غائية وهى ما تعرف أحيانا بالقيم البنائية . فالحرب فى نظر الرجل العسكرى ذات قيم وسائلية لانها وسيلة تكسبه فرص الترقى والفخر . والترقى هو القيمة الغائية او الهدفية . كذلك فان العملية الجراحية ذات قيمة وسائلية للمريض بهدف حفظ حياته.

ثالثا : بُعد الشدة : تقدر شدة القيم بدرجة الالزام التى تفرضها ونوع الجزاء الذى تقرره وتوقعه على من يخالفها . أى ان شدة القيم تتناسب طرديا مع درجة الالزام ونوع الجزاء الذى يرتبط بها . ويمكن ان نمير ثلاث مستويات لشدة القيم والزاميا وهذه المستويات هى :

أ- ما ينبغى أن يكون (اى القيم الملزمة أو الامرة الناهية)

ب- ما يفضل أن يكون (القيم التفضيلية)

جـ- ما يرجى ان يكون (القيم المثالية)

والقيم الملزمة هى القيم ذات القدسية التى تلزم الثقافة بها أفرادها ويراعى المجتمع تنفيذها بقوة وحزم سواء عن طريق العرف وقوة الراى العام او عن طريق القانون والعرف معا ، ومن ذلك القيم التى ترتبط بتنظيم العلاقة بين الجنسين او بمسئولية الأب نحو أسرته او بتحديد حقوق الفرد ووقايتها من عدوان الغير .

اما القيم التفضيلية فهى القيم التى يشجع المجتمع افراده على التمسك بها ولكنه لايلزمهم بمراعاتها الزاما صارما مثل الزواج المبكر ، وزواج الاقارب ، صلة الرحم ، اكرام الضيف ، رعاية الجار، الترقى ، الطموح ، النجاح فى الحياة العملية.

اما القيم المثالية أو الطوبائية فهى القيم التى يحس الناس استحالة تحقيقها بصورة كاملة وعلى الرغم من ذلك فانها تؤثر تاثيرا بالغ القوة فى توجيه سلوك الافراد مثل القيم التى تؤكد على المساواة التامة وان يعمل الفرد لدنياه كانه يعيش أبدا.

رابعا : بُعد العمومية : وتنقسم القيم الى قيم عامة وقيم خاصة . بالنسبة للقيم العامة فهى القيم التى يعم انتشارها فى المجتمع كله بغض النظر عن ريفه وحضره وطبقاته وفئاته المحلية مثل أهمية الدين ، اهمية الزواج ، العفة الزوجية ، اهمية الاسرة ، اهمية رعاية الصغار وتنشئتهم ، سيادة الاتجاه الابوى ، تفضيل الذكور عن الاناث، احترام كبار السن ، صلة الرحم ، اكرام الضيف ، التعاون مع الجار ، احترام الملكية الخاصة .

أما القيم الخاصة فهى تلك المتعلقة بمواقف أو مناسبات اجتماعية معينة أو مناطق معينة كالخطبة والزواج والختان والوفاة والدفن ، او القيم التى تتعلق بممارسات دورية تتكرر مثل اخراج

الزكاة فى أواخر شـــهر رمضـــان ، والاحتفـــال بيـــوم عـــاشوراء ، موالـــد الاولياء ، عمل الكعك فى العيد ، ذبح الخرفـــان ، اكـــل البيـــض والـــترمس فى شم النسيم . ومن القيم الخاصة ايضا تلـــك القيـــم التـــى تعـــرف باســـم القيم الذاتية للجماعة كالقيم المتعلقـــة بـــالاخذ بالثـــأر فـــى بعـــض منـــاطق الوجه القبلى ، كذلك هنـــاك نوعـــا مـــن القيـــم يمكـــن ان نســـميه بـــالقيم الطبقية ، كذلك من القيم الخاصة قيـــم المركـــز الاجتمـــاعى فرجـــال الديـــن لايستطيعون مجاراة الاوساط والمجتمعات البرجوازيـــة فـــى ألـــوان حياتـــها التى تمتاز بالمرح والبزخ والاســـتهتار والتحـــرر .

خامسا : بُعد الوضوح : تنقسم القيم تبعا لبُعد الوضـــوح الـــى قيـــم ظـــاهرة او صريحة وقيم ضمنية ، فالقيم الصريحة هـــى القيـــم التـــى يصـــرح بـــها ويعبر عنها بالكلام فى حيـــن ان القيـــم الضمنيـــة هـــى تلـــك القيـــم التـــى تستخلص ويستدل على وجودهـــا مـــن ملاحظـــة الاختيـــارات والاتجاهـــات التى تكرر فى سلوك الافراد مصنفـــة منمطـــة لابصفـــة عشوائيـــة. ويـــرى "لابيير" ان القيم الضمنية هى فى الغالب القيم الحقيقيـــة لانـــها هـــى القيـــم التى يحملها الانسان مندمجة فـــى ســـلوكه أمـــا القيـــم الصريحـــة المعلنـــة المقنعة فليست دائما هى القيـــم الحقيقيـــة .

سادسا : بُعد الدوام : وفيها تنقسم القيم الى قســـمين ؛ قيـــم عـــابرة وقيـــم دائمة ، فالقيم العابرة هى القيم الوقتيـــة العارضـــة القصـــيرة الـــدوام مثـــل القيم المرتبطة بالموضات او البدع او التقاليع ، امـــا القيـــم الدائمـــة فـــهى القيم التى تظل زمنا طويلا مســـتقرة .

نظرية القيم : مؤدى هـــذه النظريـــة أى اهتمـــام بـــأى شـــىء يجعـــل هـــذا الشىء ذا قيمة ، فالواقع ان من الخصـــائص المميـــزة للعقـــل البشـــرى أن يقبل بعض الأشياء ويرفض البعض الآخـــر والقبـــول والرفـــض يتضمنـــان

معانى كثيرة كالموافقة وعدم الموافقة والحب والكرة . وتؤكد نظرية "برى" على فكرة الفرضية أى السعى وبذل الجهد لتحقيق الفرض فى الاهتمام ومن ثم فى القيم . وتعد نظرية "برى" من النظريات التى توضح كيف ان القيمة تنبع من الذات المقومة لا من الشىء الخارجى المقوم وان الاشياء فى ذاتيتها ليست خيرة أو شريرة طيبة أو خبيثة ولكن تغير الاهتمام بها هو الذى يغير درجة أهميتها فيرتفع قيمتها الى أعلى درجة أو يخفضها .

ومن أهم ما تمتاز به نظرية برى General theory of value فكرة الديناميكية والتغير فى الاهتمام ومن ثم فى القيم نفسها ، فأى تغير فى الاهتمام أو فى الشىء موضوع الاهتمام ينتج عنه تغير فى القيمة . ومعنى ذلك اننا نستطيع أن نغير من قيم الشخص اذا غيرنا من موضوعات اهتمامه بل انه يمكن القول انه يمكن ان نخلق فى الافراد قيما جديدة لم تكن موجودة من قبل اذا أدخلنا فى حياتهم موضوعات يهتمون بها أو اذا كون عندهم اهتمامات جديدة وذلك بان يبدأ الرواد الواعون والمثقفون من مجتمع بنقد الممارسات والقيم التى أصبح التمسك بها غير مجد وغير ملائم لروح العصر ويكون هذا النقد منصبا على استهجان هذه الممارسات وابراز ما فيها من عيوب حتى يفتر الاهتمام بها تدريجيا فينصرف الناس عنها وفى الوقت نفسه جذب الاهتمام الى قيم وممارسات جديدة تحل محل القديمة .

القيم وتقويم القيم

يرى " جون ديوى " ان عملية التقويم تبرز وتتضح فى وعينا عندما نواجه بموقف مشكل يتضمن حاجات انسانية أساسية وصراعات بين هذه الحاجات الاساسية وذلك فى أثناء عملية التوافق الاجتماعى او اعادة النظر فى أساليب التوافق القديمة . وفى هذا يقول " ونحن نفترض بصفة عامة أن التقويم يحدث أساسا ليس عندما يكون هناك أمرا او حادث جدير بالاهمية كمشكلة يراد حلها أو التخلص منها أو حاجة ملحة يراد اشباعها أو حرمان او عوز يراد علاجه أو صراع فى الميول يراد حتمه بتغير الظروف والاوضاع الحالية " . كما يقول " ليس من الضرورى أن نفترض ان كل عملية تقويم أو كل خبرة تقويمية تستلزم وجود صراع أو حالة توتر ، فالتقويم فى حد ذاته عملية مجلبة للتوتر ويحدث هذا فى سياق عملية الاختيار بين الانماط المختلفة وبين بديلات السلوك التى تعرضها الحياة " .

كذلك يتفق كولى مع جون ديوى اذا يقول " ان الوعى يتضمن صراعا عقليا يبدو فى العملية العقلية التى نقوم بها للاختيار بين البديلات " .

فالتقويم عملية لاتتم فى فراغ وانما يقوم الفرد بها متأثرا بالمحيط الاجتماعى والثقافى للمجتمع الذى يعيش فيه أى بالوسط الذى ينشأ فيه وما يتضمنه هذا الوسط من نظم اجتماعية وتقاليد مرعية وعرف وعادات اجتماعية وأنماط سلوك تم انتقاؤها واستقرارها فى سياق تاريخ الجماعة وأصبحت جزء من التراث الثقافى ومن ثقافة المجتمع . وفى هذا يقول كولى ان اهم حقيقة عن التقويم كعملية هى انه دائما عملية اجتماعية .

نسبية القيم

القيم نسبية ، بمعنى انه لايتحـــدد ولا يتضـــح معناهـــا مـــن خـــلال النظر اليها والحكم عليها فى حد ذاتها مجـــردة عـــن كـــل شـــىء بـــل لابـــد من النظر اليها من خلال الوسط الذى تنشـــأ فيـــه والحكـــم عليـــها لاحكمـــا مطلقا بل حكما ظرفيا وموقفيا وذلك بنسبتها الـــى المعـــايير التـــى يضعـــها المجتمع المعين فى زمن معين وبارجاعها دائمـــا الـــى الظـــروف المحيطـــة بثقافة القوم .

وهناك قيم جوهرية فى كل الثقافات مثل قيـــم المجادلـــة فـــى الاخـــذ والعطاء بكل صورها وأشكالـــها المختلفـــة . وكذلـــك مـــن القيـــم العالميـــة قيمتا الحق والجمال بصرف النظر عن اختـــلاف الجماعـــات فـــى تعريفـــهما وفى تفصيل التعبير عنـــهما .

وفى الواقع انه مادامت الحيـــاة الانســـانية فـــى كـــل مكـــان علـــى وجه الارض تخضـــع لحقـــائق الميـــلاد والنمـــو والمـــوت وهـــى حقـــائق بيولوجية ثابتة لاتتغـــير ، ومـــادامت الحيـــاة الانســـانية فـــى كـــل مكـــان لابدوان تكون حيـــاة اجتماعيـــة ، فليـــس بغريـــب أن تكـــون هنـــاك قيـــم مشتركة فـــى كـــل الثقافـــات وليـــس بغريـــب أن تتلاقـــى الثقافـــات علـــى اختلافها وتباينها على هـــذه القيـــم العالميـــة اذا نظرنـــا اليـــها بمفهومـــها الواسع . واخيرا يمكن أن نستخلص انه يمكننـــا ان نتوقـــع فـــى آن واحـــد تشابها نوعيا فى القيم كما نتوقع ايضـــا درجـــة مرتفعـــة مـــن الاختلافـــات فى قيم الثقافات .

العادات الاجتماعية

العادة الاجتماعية بصفة عامة كما يعرفها "جلن" Gillin هي كل سلوك متكرر مكتسب اجتماعيا ويتعلم اجتماعيا ويمارس اجتماعيا ويتوارث اجتماعيا " . وليس معنى ذلك ان كل سلوك متكرر يدخل فى اطار العادات الاجتماعية فهناك أنواع من السلوك المتكرر تعتبر عادات خاصة بالفرد بل تعد فى كثير من الاحيان لوازم له شخصيا أى انها ليست عادات تشترك فيها الجماعة ، ومن أمثلة العادات الفردية حلاقة الذقن – الاستحمام – الاستيقاظ مبكرا – غسيل اليدين قبل الاكل وبعده – تمشيط الشعر – تربية الشارب – استعمال العطور ... الخ .

ويتلخص الفرق بين العادات الاجتماعية والعادات الفردية فى ان العادات الفردية اسلوب فردى وظاهرة فردية وشخصية والدليل على ذلك انه يمكن ان تتكون العادة الفردية وتمارس فى حالات العزلة عن المجتمع كعادات الناسك فى صومعته . أما العادات الاجتماعية ظاهرة اجتماعية تمثل اسلوبا اجتماعيا بمعنى انها لايمكن ان تتكون وتمارس الا بالحياة فى المجتمع والتفاعل مع أفراده وجماعاته ومن أمثلة هذه العادات عادات التحية وطرق اجراء المحادثة واداب المائدة واداب المجاملة المختلفة.

ويرى " ادوارد سابير" ان العادة الاجتماعية مصطلح يستعمل للدلالة على مجموع الانماط السلوكية التى تحتفظ بها الجماعة تتمرسها تقليديا . فالعادات الاجتماعية هى السلوك المتكرر الذى تفرضه الجماعة على الافراد وتتوقع منهم ان يسلوكه والا تعرضوا لاستياء الجماعة وسخطها وانتقامها وعلى ذلك يكون مفهوم العادات

الاجتماعية مفهوم واسع يشمل كل ما هو مقبول من طرق العمل وانماط السلوك التى تمارس اجتماعيا والتى تم تكوينها ليهتدى بها الناس فى معيشتهم بعضهم مع بعض . وتعد العادات الاجتماعية من أكبر وأقوى عوامل التنظيم والضبط فى علاقات الافراد سواء فى داخل المجتمع ككل كبير متماسك أو فى داخل الهيئات الاجتماعية الخاصة وعلى نحو ما يقول "ماكيفر" و"بيج" انه لايرجى للنظم السائدة والروابط اى انتظام الا اذا ارتكزت واعتمدت على مركب معتمد من صنوف مختلفة من العادات واساليب السلوك .

تفرع العادات الاجتماعية

. تشتمل العادات الاجتماعية على أقسام كثيرة وتتفرع الى فروع متعددة مثل الاعراف والمحرمات والسنن والتقاليد والطقوس والمراسم ، والبدع والتقاليد وغيرها وكل هذه الفروع التى تتفرع اليها العادات الاجتماعية تتشابه الى حد كبير لانها تتفرع من أصل واحد ولكنها فى الوقت نفسه تختلف عن بعضها كمثل قطع النقود التى تتنوع وتختلف فى الحجم والوزن والقيمة ولكنها تتشابه فى انها كلها من معدن واحد وانها أساس فى التعامل . وفروع العادات الاجتماعية تختلف عن بعضها البعض من حيث درجة الالزام ومدى السيادة أو الشيوع أو الانتشار وكذلك من حيث الدوام والبقاء ومن حيث الجزاءات التى تساندها .

وهكذا تبرز أهمية العادات التى تتجسم فيها القيم والتى تعطى الثقافة طابعها الخاص الذى يميزها عن غيرها من الثقافات .

تفرع العـادات الاجتماعيـة

تتفرع العادات الاجتماعية وتتنوع طبقـــا للاتـــى :

١- درجة الالـــزام

٢- مدى السيادة أو الشيـــوع او الانتشـــار

٣- مدى الدوام او البقـــاء

٤- من حيث الجزاءات الاجتماعيـــة المصاحبـــة لـــها .

تصنيـف العـادات الاجتماعيـة

تصنف العادات الاجتماعية الى طـــائفتين رئيســـيتين همـــا :

١-طائفة تشمل كل انواع العـــادات القديمـــة المتوارثـــة وهـــى المعروفـــة بالعادات التقليدية مثل التقـــاليد والعـــرف .

٢-طائفة تشمل العادات الجديـــدة أو المســـتحدثة مثـــل الموضـــات والبـــدع والتقاليع وليس من السهل فى الواقـــع وضـــع تصنيـــف مرتـــب منظـــم يحدد تماما انواع العادات الاجتماعية المختلفـــة ويحـــدد درجـــة الزامـــها كما يحدد ما يقابل كلا منها من انواع الجزاءات وقـــد يرجـــع ذلـــك الـــى خلو الجزاء الاجتمـــاعى مـــن عنصـــر التحديـــد ، كذلـــك فـــان العـــادات الاجتماعية تختلـــف فـــى مســـتويات الالـــزام وهـــى مســـتويات ليســـت مستقلة أو منفصلـــة تمـــام الانفصـــال عـــن بعضـــها البعـــض كمـــا ان الحدود التى تحدد نهاية مستوى منـــها وبدايـــة مســـتوى آخـــر تتداخـــل تداخلا كبيرا بحيث ان الاختلافات لاتتضح الا فـــى المواضيـــع البعيـــدة .

فهناك عادات تعد عرفـــا وتقليـــدا فـــى وقـــت واحـــد كعـــادة ســـتر الجسد بالملابس فهى عرف لانـــها ضروريـــة لمصلحـــة الجماعـــة ، وهـــى

تقليد لانها متوارثة عن الاجداد. وهناك عادات تعـد تقـاليد ولكنـها ليسـت أعراف .فالتقاليد هى العادات الخاصة بجماعـة مـا أى العـادات المميـزة لجماعة ما . اما العرف فـهو أكـثر سـيادة وشمـولا مـن التقـاليد فـهو يسرى على الجماعة كلـها .

ويلاحظ ان معظم المؤلفات الحديثـة فـى علـم الاجتمـاع لاتتكلـم عن العادات الاجتماعية تحـت عنـوان Social Habits بـل تحـت عنـوان Folk Ways . وأول من اسـتخدم المصطلـح الاخـير هـو وليـام جرهـام سمنر W. G. Cumner وإصطـلاح الطـرق الشعبيـة مـرادف لمصطلـح العادات الاجتماعيـة بصفـة عامـة ودون تحديـد لمكانـها أو زمانـها او الفئة أو الفئات المتمسكة بها ودون تمييز بينها مـن حيـث درجـة الالـزام أو مدى الانتشار أو الدوام أو من حيث الجـزاءات التـى تسـندها .

ويقصد بالعـادات الاجتماعيـة او الطـرق الشعبيـة " كـل سـمات وأنماط الثقافة الموسومة بالطـابع الجمعـى أو الـذى يمـارس اجتماعيـا فـهى تشمـل تصرفـات النـاس فـى مختلـف المواقـف والمناسـبات الاجتماعية وتسـتوعب كـل الطـرق والاسـاليب التـى أقرتـها الجماعـة وتعارفت عليـها لمعالجـة مشـاكل ومواقـف الحيـاة العاديـة الروتينيـة الجارية وكذلك لمقابلـة المناسـبات التـى لـها دلالات اجتماعيـة خاصـة كالاعياد الدينية والقومية مثلا. ويجـب ان نوضـح هنـا ان العـرف وهـو ذلك النوع من العادات الاجتماعية يعتبر باجمـاع العلمـاء اهـم فـرع مـن فروع الطرق الشعبية " فـالعرف يتكـون فـى ضمـير الجماعـة بطريقـة لايشعر بها شأنه فى ذلـك شـأن قواعـد اللغـة والاخـلاق وغيرهـا مـن الأمور التى يخلقها المجتمع لنفسـه بنفسـه .

التقاليد :

يقول "حسن الساعاتى" ان التقاليد عادات مقتبسة اقتباسا رئيسيا أى من الماضى الى الحاضر ثم من الحاضر الى المستقبل فهى تنقل وتورث من جيل الى جيل ومن السلف الى الخلف على مر الزمان. واقتباس التقاليد لاتقف فى طريقه الموانع لما بين المورث والمقتبس من التباين العظيم فى التأثير والتأثر .

العرف :

هو نوع من العادات التقليدية يشبه التقاليد من ناحية انه تقليدى وعريق ومتوارث وملزم ، الا انه يختلف عنها فى درجة الزامه وانتشاره وشموله وعموميته. فالتقاليد كما سبق ان بينا عادات تهم جماعة او فئة أو طبقة ، فهى عادات ضيقة النطاق نسبيا فى انتشارها ، أما العرف فهو ذلك النوع من العادات واسعة النطاق فى انتشارها ولذلك كان العرف فى الزامه وشموله أقرب الى القانون منه الى التقاليد .

وهناك فرق آخر بين التقاليد والعرف من حيث علاقتهما بالقانون . ذلك ان التقاليد تعمل على تدعيم الطبقات والجماعات وتوطيد أركانها ومراعاة مصلحتها لدرجة انها تتعارض احيانا مع القانون ومع النظام العام للدولة كما فى تقاليد الأخذ بالثأر عند بعض الجماعات فى مصر . فالاعراف قوة كبيرة ملزمة ومسيطرة على تصرفات البشر فى كل مكان عبر التاريخ ، وقوة يهتدى بها الى معرفة ما يمكن عمله ومعرفة الطرق والاساليب التى نعمل بها ما نريد عمله . ويعرف "ديوى" و"همبر" العرف بانه " طرق السلوك التى يعتقد أولى الأمر سواء كانوا أقلية أو أكثرية انها طرق جوهرية

لرفاهية المجتمع واصلاح حاله ، وهذه الطـــرق هـــى الاوامـــر والنواهـــى الخاصة بكل ثقافة من الثقافـــات .

أما "سابير" Sapir فيقول ان اصطلاح العـرف يعنـى تلـك العـادات التى تتضمن درجة مرتفعة مـن الشعـور بـالثواب أو الخطـأ فـى طـرق السلوك المختلفـة . والعـرف عنـد أى جماعـة هـو أخلاقياتـها غـير المصاغة وغير المقننة كما تبدو فى السـلوك العملـى .

أنواع العـرف :

هنـاك نوعيـن مـن الاعـراف ؛ الاعـراف الآمـرة أو السـنن - والنوع الثانى يسمى بالعرف المكرر ، والاخـير ذلـك النـوع مـن العـرف الذى لايدانى العرف الآمـر فـى قـوة الالـزام ودرجتـه ولذلـك يسـتطيع الناس أن يخـالفوه .

يعرف "بانزيو" الاعـــراف الحتميـة أو السـنن الاجتماعيـة بانـها اصطلاح يطلـق علـى تلـك الممارسـات والقواعـد التـى تحكـم أساسـا النشاطات المتعلقة بمنح الحياة للفـرد أو سلبها منـه . وبعبـارة أخـرى هى اصطلاح يطلق على تلك العـادات التـى يجـب أن تطـاع لأنـها بكـل تأكيد جوهرية لصالح المجتمـع ، والسـنن تتضمـن التعميمـات الفلسـفية والاخلاقيـة والعقـائد والقواعـد والمعـايير الخاصـة لصـالح الجماعـة ورفاهيتها .

أما المحرمات فهى نوع مـن أنـواع العـرف الحتمـى أو السـنن وقد يشار اليها أحيانا بالمحظورات أو النواهـى المقدسـة وهـى مجموعـة من الامور والافعال والمواقف التى يجب أن يتجنـب الافـراد القيـام بـها ، فهى تحرم على الأخ ان يتزوج أخته وعلـى الأب أن يـتزوج ابنتـه .

العادات المستحدثة:

يقصد بها كل ما يستجد في المجتمع من ممارسات او استعمالات اجتماعية سواء في شكل موضات Fashions او بدع Fads أو نزوات أى تقاليع .

الموضات هي الممارسات الجديدة التي تستثيغها الجماعة وتتقبلها وتنتشر بين كثير من الافراد ، والموضات عادات لاتتصف بالاستقرار والدوام فهى فى الغالب قصيرة الاجل سريعة الزوال وبعد فنائها تتلوها موضات أخرى .

أما البدع فهى ممارسات جديدة شبيه بالموضات او تعد موضات مبالغ فيها ولذا فهى أضيق انتشارا بين الناس .

أما النزوات أو التقاليع فهى ممارسات مستحدثة تشبه الموضات والبدع غير انها تختلف عنها في المبالغة الزائدة عن حد المستساغ والمقبول ، ولذا فهى تتسم بطابع الهستيرية .

وظائف العادات الاجتماعية أو الطرق الشعبية:

هناك عدة وظائف يمكن تحديدها في الآتي :

١ - *الوظيفة الاقتصادية :* ان من ابرز وظائف العادات الاجتماعية انها تسهل على الناس أمور حياتهم ولذلك يقال عنها انها اقتصادية في نتائجها لأنها تختصر الوقت وتقلل الجهد العقلي والنفسي الذى يبذل فى التفكير فى تفاصيل كل فعل يتكرر حدوثه مما حدا "بكولي" الى القول بان مسايرة العادات عملية رخيصة نفسانيا Psychically cheep ففى اطار العادات الاجتماعية أو الطرق الشعبية ينتظم نشاط القوم وسلوكهم .

٢- *الوظيفة الارشادية التوجيهية* : يقول "أرنولد جرين" ان العادات الاجتماعية أو الطرق الشعبية هى المصابيح الهادية التى ترشد الفرد وتهديه الى التصرف المتوقع منه فى مجتمعه وفى حياته بوجه عام ، فهى تقوم بترتيب ما يتطلبه نشاط معين وبلورته ووضعه فى أنماط معينة من السلوك والافعال وردود الافعال وبذلك تسهل على الافراد التعرف عليها وتيسر عليهم التعامل بعضهم مع بعض .

٣- *الوظيفة الجمالية* : العادات ترشد الفرد الى الجميل والحسن والمستساغ والمستحب واللائق من الافعال والسلوك ، فهى ترشد الفرد الى فن الحياة بمعنى فن التعامل مع الناس تعاملا حسنا ومجاملتهم والمحافظة على شعورهم ومشاركتهم فى آلامهم وافراحهم حتى يألفونه فينسجم معهم وينسجمون معه . فالوظيفة الجمالية للعادات الاجتماعية تتضح بأجلى معانيها فى تلك الطائفة من العادات الاجتماعية والتى تعرف بآداب اللياقة او الاتيكيت أو البروتوكول او الخصال الحسنة .

ويرى "ماكيفر" ، و"بيج" ان آداب اللياقة هى الطرق التى تميز سطحيا الطبقات الاجتماعية والجماعات المهنية وغير المهنية وكثيرا ما تتخذ كعلاقة أو دليل على مؤهلات الشخص وعمله .

٣- *الوظيفة التنبؤية* : اذا عرفت العادات الاجتماعية التى تسود مجتمع معين يمكن التنبوء بنوع سلوك الفرد الذى ينتمى الى هذا المجتمع من حيث انه سوف يسلك سلوكا على حسب هذه العادات وعلى الأقل فى معظم المواقف التى يواجهها . فالعادات والطرق الشعبية تمدنا بمجموعة من التوقعات التقليدية والتى يعتمد عليها الفرد والجماعة وبدون هذه التوقعات لاتستطيع الجماعة الاستقرار فى حياة اجتماعية منتظمة .

القيم الاسلامية :

القيم فــى الاســلام ثابتــة ومتغــيرة . والقيــم الثابتــة لاتخضــع للازمان ولا للبيئـــات ولاتتغـير بتغـير الامــاكن والعصــور ، فــهى قيــم مرتبطة بالانسان ولـــذا يطلــق عليــها القيــم الكــبرى وهــى تلــك القيــم المرتبطة بالعقيدة والاخلاق والتــى تقــوم علــى اســاس انســاتى خــالص قوامه الحــب والاخــاء والرحمــة . امــا القيــم المتغــيرة فانــها تختلــف بــاختلاف الزمـــان والمكــان وتخضــع لاختــلاف الظــروف الاجتماعيـــة والبيئية ، ولقد أقر الاسلام القيم الاجتماعية والماديـــة جميعــا فــى تكــامل يستهدف تغطية حاجات الانسان ويرتفع عــن المطــامع والاهــواء .

ولقد وضع الاسلام نظاما للقيم يختلـــف فــى كثـير مــن عنــاصره ومـــوارده عــن الانظمـــة التـــى عرفتــها حضــارات الرومـــان والفـــرس وتفسيرات الاديان السابقة وبذلــك حفـظ النفـس البشريــة مــن الاخطــار واحتقار المادة وقتل النفس وكذلك حماها مـــن الملــذات الا التــى شرعــها الله [illegible]ق وكذا من اسراف اللـــذات والشــهوات ودفــع النفــس البشريــة عن العبودية لغــير الله .

لقد جعل الاسلام أساس القيـــم – التوحيــد – التقــوى – العمــل – الكرامة – الانســانية – الايمــان بــالله – ونــادى بالحريــة وحــث علــى النظام والعمل ودعا الى المساواة والاخاء وجمع بيــن عمــل الدنيــا وعمــل الآخرة . والاسلام لم يحتقر القيــم الماديــة ولــم يرفضــها ولكنــه جعلــها جنبا الى جنب فى الاهمية مع القيم الروحية والنفســية ، كذلــك لــم يعرقــل الاسلام تطور القيم الصغرى التى فرضها تقدم الزمـــن وتطــور البيئــة مــع المحافظة على القيم العليا كما هى وعــدم الخــروج عليــها .

من هنا اختلف الفكر الاسلامى عن الفكر الغربى فيما أطلق عليه سلم القيم او ترتيب القيم ، وذلك انه من شأن كل أمه من الامم ان تختار الاسلوب الذى تراه فى النظر الى القيم وترتيب سلمها واذا كان الفكر الغربى يرى ان للقيم سلم يتفق مع مطامحة وأهوائه فان للفكر الاسلامى قيما تتصل بما أقره الله وصدق من قال ، بسم الله الرحمن الرحيم "قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ماملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون " .

وهذا سلم للقيم فى الاسلام يقدم منها الصلاة - الاعراض عن اللغو - اداء الزكاة - حفظ الفروج والعروض - حفظ الامانة والعهد - المحافظة على اداء الصلاة فى مواعيدها .

وقيم الاسلام الكبرى ثابتة لاتتغير مع الزمن لان الاديان الوضعية والفلسفات هى التى تتطور وتتغير أما الدين السماوى الربانى فانه يدعوا الناس الى ان يتطوروا هم ليتلاقوا معهم ويلتقوا به. ولما كان الانسان هو الانسان فى كل زمان ومكان لذا فان هذه القيم الثابتة دائما أبدا ما تكون ثابتة وملتصقة بالانسان وان الدعوة الى تغيير قائمة القيم الثابتة انما هى واحدة من الدعوات التى حملت لواءها الفلسفة المادية ومن ورائها دعاء تدمير القيم الانسانية لاحلال مفهوم التطور المطلق والحرية غير المحدودة . وقد تتغير القيم الصغرى كالعادات والتقاليد وهى من صنع المجتمع الا انه ليس من شان هذا ان يحطم اى قيمة من القيم العليا .

توظيف القيم والمبادىء الاسلامية لاحداث التغيرات التنموية:

التنمية في المفهوم الاسلامي تستهدف الانسان اولا وأخيرا ، فهي ليست تنمية غربية (رأس مالية أو ماركسية) بل تنمية الاسلوب والغاية . فالتنمية الراسمالية تؤدى الى مجتمعات استهلاكية فارغة الفؤاد قلقة النفس ، تجعل التكنولوجيا الهها المعبود ، وهى اتانيبة تعيش بحيويتها المادية على حساب بؤس الاخرين وفقرهم ، والتنمية والنمو على كل حال ليس هدفا وغاية بل وسيلة لحياة انسانية أفضل والتطلع الى موقف انسانى غير خاضع للتكنولوجيا ليس رجعية ولا انهزامية بل موقف تقدمى وجهد بطولى . والاسلوب الماركسى المادى يطعم الانسان فى الوقت نفسه الذى يقتل فيه انسانيته . لذا فنظم النمو الاقتصادى المتقاربة فى الغرب والتى تنظر الى العالم من الزاوية نفسها لاتصلح للمجتمع الانسانى .

فالتنمية الاسلامية والتى تعنى بالانسان فى المقام الأول لابد وان تكون [illegible] مدروسة واقعية توضح الاولويات وتبنى النتائج على المقدمات وتتمسك بالعدل بين الناس فى المغنم والمغرم فى الانتاج والتوزيع ، تنمية تتصف بدرجة عالية من المشاركة بين الحكام والمحكومين .

ونظرا لأن أجهزة التنمية أجهزة بشرية تحمل نسقا من الافكار والتصرفات والتى تنتمى الى ثقافة معينة تحاول نقلها وارسالها داخل مجتمع له بناؤه الثقافى لذا فان النسق القيمى يلعب دورا هاما فى عملية التنمية . فالتأكيد على تنمية أفراد المجتمع كهدف أمر يتطلب البحث الجدى عن المعوقات المعنوية للتنمية البشرية وخاصة العوامل القيمية المحركة او المعوقة لحركة الانسان . فالنسق القيمى لفرد ما او مجتمع كثيرا ما تتضمن قيما ايجابية داعية لحركة المجتمع وتقدمه فى الوقت .

الفصل الخامس

المؤسسات الاجتماعية

أولا : الأسرة

١- البنيان الزواجى

٢- البنيان الأسرى

٣- وظائف الأسرة

ثانيا : التعليم

وظائف التعليم

ثالثا : الدين

وظائف الدين

المؤسسات الاجتماعية

فى الواقع إن أى مجتمع إنسانى يجب أن تتوفر لديه مؤسسات إجتماعية حتى تقوم له قائمة . ولفهم ماهية المؤسسة الاجتماعية وكيفية أداء وظائفها يجب أولا التعرض لمصطلحين أساسين فى علم الاجتماع والتمييز بينهما ألا وهما المؤسسة والهيئة .

فالهيئة هى عبارة عن جماعة رسمية منظمة فى شكل معين لتحقيق بعض الأهداف . والهيئة دائما يكون لها اسم ومكان خاص بها ويكون لها أيضا قواعد ونظام تدرج طبقى للمراكز بها حتى يعرف كل فرد موضعه بالهيئة التى ينتمى اليها. كما يكون للهيئة القواعد المحددة لكيفية اختيار واحلال الأعضاء . فمجالس الاباء والجمعيات التعاونية والمساجد والمدارس والمستشفيات أمثلة للهيئات بالمجتمع . حيث كل منها يمثل جماعة حقيقية لمجموعة الافراد والتى تتوفر بها أركان الهيئة السابق ذكرها .

ومن ناحية أخرى فالمؤسسة لا تعتبر جماعة حقيقية بل هى اجراء وأسلوب . فالمؤسسة هى أسلوب ثابت رسمى معترف به لتحقيق شىء معين أو أداء نشاط ما بالمجتمع . فالنشاط يعتبر مؤسس عندما تتبلور به مجموعة من الأدوار الاجتماعية عندما يعرف الأفراد مواضعهم بالبنيان الاجتماعى وكذلك عندما يتقبل المجتمع هذا النظام للادوار الاجتماعية . فأسلوب أداء شىء معين يعتبر مؤسس عندما يوافق أعضاء جماعة ما على الوسائل المتبعة لأدائها الشىء فمثلاً عندما ينشئ أفراد المجتمع طرقا رسمية معينة لتعليم أطفالهم عندئذ يكون لدينا المؤسسة التعليمية بالمجتمع .

فالمؤسسات الاجتماعية تحتاج الى هيئات معينة لأداء أنشطتها فلا يمكن أن نجد أى مؤسسة بدون على الأقل هيئة واحدة تصاحبها .

فمثلا كيف تقوم المؤسسة الدينية بـأداء وظائفـها بـدون وجـود مسـاجد أو كنائس ؟؟ فالمؤسسات غـير ذات قيمـة بـدون الـهيئات التـى تنجـز مهامها . فبإيجاز يمكن القول أن المؤسسـات هـى عبـارة عـن أسـاليب أداء أهداف ووظائف معينة بينما الـهيئات هـى الجماعـات التـى تقـوم بتأدية هذه الأهداف والوظـائف .

وفى الواقع أن هناك عديـد مـن المؤسسـات الاجتماعيـة فـى أى مجتمع انسانى ولكن كافة المجتمعات فى مختلـف الأزمنـة والعصـور قـد ثبت أنها تحتـاج الـى خمسـة مؤسسـات رئيسـية لا غنـى عنـها لأى مجتمع حتـى يسـتطيع توفـير الاحتياجـات الجوهريـة الملحـة . هـذه الاحتياجات الجوهرية تتمثل فى رعاية تنشئـة الأطفـال ، تعليـم الصغـار، توفـير السـلع والخدمـات ووسـائل الضبـط الاجتمـاعى . والخمـس مؤسسات الاجتماعية الأساسية التى تقابل هـذه الاحتياجـات هـى الأسـرة والدين والتعليم والسياسـة والاقتصـاد.

الاسـرة

يمكن تعريف الأسـرة علـى أنـها جماعـة قرابيـة ذات مسـئولية أساسية نحو تنشئة أطفالها وكذلك تحقيق احتياجـات أخـرى معينـة فـهى تتكون من مجموعة من الأفراد تربطهم ببعضـهم صلـة الـدم أو الـزواج أو التبنى ويعيشون معا لفـترة زمنيـة غـير محـددة، والشكـل النمطـى للاسرة عبر التـاريخ الانسـانى يتكـون مـن زوج وزوجـة وأطفالـهم . ولكن هناك تباينات عديدة يأخذها بنيان الأسـرة مـن ثقافـة الـى أخـرى ومن مجتمع الى آخر ويجب على دارسى علم الاجتمـاع الدرايـة بـها .

البنيـان الزواجـي:

يأخذ البنيان الزواجى أشكالا مختلفـــة بـــاختلاف الثقافـــات .

فأولا : من حيث شكل الزواج نجد هناك عدة أنمــاط للــزواج تنتشــر بيــن المجتمعات الإنسانية فهناك الزواج الأحادي وهو الــزواج الــذى يتــم بيــن إمرأة واحدة ورجل واحد وهذا النمط هـــو الاكـــثر شيوعــا فـــى العـــالم . وهناك الزواج المتعدد الزوجات وهو زواج رجـــل لامرأتيــن أو أكــثر فــى وقت واحد وهنـــاك الــزواج متعــدد الأزواج وهــو زواج إمــرأة لرجليــن أو أكثر فى وقت واحد وهذا النمط نادر التواجــد فـــى العـــالم لحــد كبــير. وأخيرا هناك الزواج الجماعى وهو الـــزواج الــذى يتــم بيــن رجليــن أو أكثر بامرأتين أو أكثر فى نفس الوقت وقد اندثر غالبـــا مــن العـــالم الآن.

يختلف البنيان الزواجى *ثانيا* وفقا لقيود الـــزواج حيــث تحــدد كــل ثقافة بعض القواعد الخاصــــة باختيــار قرنــاء الــزواج فــهناك الــزواج الخارجى حيث يجب على الأفـــراد فـــى هـــذا الشكــل أن يــتزوجوا مــن خارج جماعات معينة فمثلا فى معظم المجتمعــات لا تســمح بــالزواج مــن بين أفرادها كما لا يسمح بالزواج بيـــن أفــراد ذوى صـــلات دم معينـــة . كما تطلب بعض القبائل من أفرادهم الزواج مـــن خـــارج القبيلـــة . ومــن ناحية أخرى هناك الزواج الداخلى حيث أنـــه يجــب علـــى الأفــراد وفقــا لهذا الشكل ان يتزوجوا من داخل نفس الجماعـــــة التـــى ينتمــون اليــها ، فمثلا فى الهند لا يسمح غالبا بالزواج مـــن الأفــراد الا مــن خـــلال نفـــس الطبقة الاجتماعية . كمـــا يتطلـــب مـــن الافــراد فـــى معظـــم المجتمعـــات الانسانية ان يتزوجوا من نفـــس الجماعـــات الدينيـــة او العنصريـــة التـــى ينتمون اليها .

البنيان الأسرى : يختلف البنيان الأسرى من ثقافة الى أخرى ومن مجتمع الى آخر من حيث التركيب ونظام الاقامة والنسب وسلطة اتخاذ القرارات داخل الاسرة . فمن حيث تركيب الاسرة نجد هناك الاسرة البسيطة وهو النوع الاكثر شيوعاً فى العالم . والاسرة البسيطة تتكون اساساً من الزوج والزوجة والابناء كما ان هناك الاسرة الممتدة وهى الاسرة التى تضم أكثر من جيلين معاً فالاسرة الممتدة تتكون من جد أو اكثر وابنائهما الغير متزوجين والمتزوجين مع زوجاتهم وابنائهم فهى تقوم أساساً على صلات الدم وقد كان هذا الشكل هو التركيب الاسرى السائد فى الريف المصرى حتى عهد قريب . والاسرة الممتدة تنتشر فى المجتمعات الزراعية عامة بالعالم حيث الاكتفاء الذاتى يعتبر سمة مميزة لهذه المجتمعات وحيث الاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية والعاطفية يمكن اشباعها من خلال مجموعة قرابية أكبر .

ومن حيث نظام الاقامة نجد هناك الاقامة المستقلة حيث يقيم الزوجان فى سكن مستقل بعيداً عن سكن أسرة الزوج أو الزوجة وينتشرهذا النمط غالباً فى نظام الاسرة البسيطة سابق الذكر ويعتبر هو النمط الاكثر شيوعاً فى المجتمعات الحديثة بصفة عامة كما أن هناك نمط آخر للاقامة هو الاقامة الابوية وفيه يقيم الزوجين مع الاسرة التى نشأ فيها الزوج أى الزوجة تنتقل للاقامة مع اسرة الزوج ويرتبط هذا النمط بنظام الاسرة الممتدة المنتشرة الى حد ما بين السكان الريفين المصريين .

كما ان هناك نمط الاقامة الاموية وفيه يقيم الزوجان مع الاسرة التى نشأت فيها الزوجة . أى الزوج ينتقل للاقامة مع أسرة

زوجته . ويرتبط هذا النمط هو الآخر بنظام الأسـرة الممتـدة فـي بعـض المجتمعات الزراعيـة .

كما يختلف البنيان الأسرى مـن حيـث النسـب أى تحديـد العلاقـة بين الأبناء والآباء . وما يترتب علـى ذلـك مـن تحديـد حقـوق معينـه للأبناء بخصوص مسئولية التنشئة والانفـاق والمـيراث الـى غـير ذلـك من حقوق . وعموماً نجد هناك ثلاثة أنمـاط مـن النسـب أولـها النسـب المشترك وفيه ينتمى الابن أو الابنه الى كـل مـن أسـرتى الأب والام كمـا أنه يرث من أقاربه من الإتجـاهين . ويرتبـط هـذا النمـط مـن النسـب بنظام الاسرة البسيطة أساساً الشـائع فـى جميـع المجتمعـات المصريـة عامة . ومن ناحية أخـرى هنـاك نمـط النسـب الأبـوى وفيـه ينتسـب الطفل الى أسرة والده حيـث أن حقـوق المـيراث تنحصـر فـى انتقـال الثروة من الأب الى الذكرو فقـط وهكـذا .

وفى نفس الوقت هناك نمط النسب الامـوى وفيـه ينتسـب الطفـل الى أسرة الام ويسمى باسـمها وينحصـر انتقـال الـثروة مـن الأم الـى الابناء الاناث فقط . وعموماً هذين النمطين الاخـيرين مـن النسـب قليـلاً ما نجدهما فى المجتمعـات المصريـة .

ومن حيث اختلاف البنيان الاسرى وفقـاً لسـلطة اتخـاذ القـرارت داخل الاسرة نجد هناك نمـط السـلطة المشتركـة أو الديمقراطيـة وفيـه تكون مسئولية اتخاذ القرارات موزعة بالتسـاوى بيـن الـزوج والزوجـة ويرتبط هذا النمط أساساً بنظام الأسرة البسـيطة . فنجـد أن هـذا الشكـل من أشكال اتخاذ القرارات يزداد انتشاره يوماً بعـد يـوم نتيجـة إكتسـاب المرأة كثيراً من حقوقها فى المجتمعـات الحديثـة . ومـن ناحيـة أخـرى هناك نمط السلطة الأبوية وفيـه يحتكـر الأب أو الجـد أو أكـبر الابنـاء الذكور مهمة اتخاذ القرارات داخل الاسرة . وقـد كـان هـذا النمـط هـو

الأكثر شيوعاً حتى عهد قريب فى المجتمع المصرى حيث أخذ نمط السلطة المشتركة يحل محله تدريجياً خاصة فى المناطق الحضرية . كما أن هناك نمط السلطة الاموية وفيه تحتكر الام أو الجدة أو أكبر الاناث سلطة اتخاذ القرارات لكل ما يتعلق بالاسرة وهذا النمط نادر التواجد فى المجتمعات الانسانية فى وقتنا الحاضر .

وظائف الاسرة :

تقوم الأسرة كمؤسسة اجتماعية بأداء بعض المهام العديدة والهامة للمجتمع . ولا شك أن طبيعة هذه الوظائف ومستوى أدائها سوف يختلف من مجتمع الى أخر . الا أنه يمكن القول أن هناك اتفاق عام بين علماء الاجتماع على الوظائف التالية كمهام للأسرة فى أى مجتمع انسانى :

(١) *التناسل وتنظيم السلوك الجنسى :* فأفراد المجتمع ككائنات بشرية فضلاً عن خصائصهم الاجتماعية لهم أيضاً خصائصهم البيولوجية مثل غريزة الجنس التى يجب اشباعها وينظم المجتمع الانسانى السلوك الجنسى لافراده من خلال مؤسسة الاسرة حيث تمنع معظم ثقافات المجتمعات الانسانية ممارسة الجنس خارج مؤسسة الأسرة – وفى نفس الوقت تنظيم هذه العلاقات الجنسية بين أفراد المجتمع داخل مؤسسة الاسرة يضمن التناسل والابقاء على النوع البشرى .

(٢) *الرعاية والحماية :* فالاسرة تعتبر مسئولة أساساً على توفير الرعاية الطبيعية للأطفال حيث يكونوا غير قادرين للقيام بهذا العبىء وحدهم . فضلاً عن ذلك فالاسرة تقوم أيضاً برعاية الافراد العاجزين أو القادرين وكذلك توفير الامن الاقتصادى لكبار السن .

(٣) *التنشئة الاجتماعية* : فعبر التاريخ الانسانى ظلت الاسرة هى المسئولة أساسا عن التنشئة الاولية للصغار . حيث يبقى الطفل بعد ميلاده لفترة زمنية على اتصال وثيق باسرته دون سواها ، ولذلك فالأسرة يكون لها الدور الأكبر فى تشكيل اتجاهات وقيم ومعتقدات الصغار وكذلك فى تحديد نوع العلاقات التى تنشأ فيما بينهم وبين سائر منظمات ومؤسسات المجتمع .

(٤) *تحديد الوضع الاجتماعى والمكانة الاجتماعية* : فكل ثقافة يكون لها نظام نسب الابناء للاباء المعترف به سواء كان انتساب مشترك او انتساب أموى . فضلاً عن ذلك فالاسرة تمنح أبنائها مكانتهم ووضعهم الاجتماعى فى المجتمع . فمستوى تعليم الأباء والمهن التى يمتهنوها بالمجتمع والمستوى المادى والمعيشى لهم يحدد الى حد كبير مكانتهم وبالتالى مكانة أبنائهم ووضعهم الاجتماعى .

(٥) *توفير الأمن الاقتصادى* : فالاسرة تعتبر من وجهة النظر الاقتصادية وحدة انتاجية ووحدة استهلاكية . فالاسرة فى معظم الأحوال تعتبر مسئولة عن توفير الاحتياجات الاقتصادية لافرادها فمثلاً الاسرة الريفية غالباً ما يعمل أفرادها معاً كوحدة انتاجية واحدة لتوفير مستلزمات الحياة المادية وغير المادية الغذائية وغير الغذائية وذلك لجميع الافراد القادرين وغير القادرين على العمل على حدٍ سواء .

التعليـــم

لا يمكن لأى مجتمع انســـانى أت تقـوم لـــه قائمـــة دون أن يتعلــم أفراده الجـــدد المعـــايير الاجتماعيـــة والقيـــم والأهـــداف المتعلقـــة بـــهذا المجتمع . ويتم هذا الدور أساســـاً فـــى أى مجتمـــع مـــن خـــلال مؤسســـة التعليم . ويمكن تعريف مؤسسة التعليم علـــى أنـــها نظـــام مـــن المراكـــز والأدوار المتصلةببعضـــها والتـــى تضمـــن انتقـــال القيـــم والاتجاهـــــــات وأنماط السلوك والمهارات والمعـــــارف الخاصـــة بمكانـــة مجتمـــع معيـــن من جيل الى الجيل التالى لـــــه .

وظـائف التعليـم :

(١) نقل القيم والاتجاهـــات وأنمـــاط السـلوك : تقـــوم مؤسســـة التعليـــم أساساً بمهمة نقل القيـــم والاتجاهـــات وأنمـــاط الســـلوك بـــالاشتراك مـــع مؤسستى الاسرة والدين . وذلك لكـــى يندمـــج النشـــىء فـــى مجتمعاتـــهم التى ينتمون اليها والتى سيعيشون فيها معظـــم حياتـــهم فـــالمدارس تعلـــم أبنائها القيم الثقافية السائدة وأنمـــــاط الســـلوك والاتجاهـــات المناســـبة أو المقبولة من وجهة نظـــر الثقافـــة التـــى ينتمـــون إليـــها . وهكـــذا تقـــوم مؤسسة التعليم بدور هام نحو تقديم النشـــىء الـــى المجتمـــع فـــى الاطـــار المناسب . وكما يتوقعه المجتمع من هـــؤلاء النشـــىء .

(٢) نقل المهارات والمعـــاف : فضـــلاً عـــن القيـــم والاتجاهـــات وأنمـــاط السلوك المناسبة لمجتمع معيـــن فـــان هـــؤلاء النشـــىء يجـــب أيضـــاً أن يكتسبوا المعارف والمـــهارات المطلوبـــة لكـــى يصبحـــوا أفـــراداً مفيديـــن للمجتمع الذى يعيشون فيه . وقد كانت الأســـرة فـــى المجتمعـــات القديمـــة تقوم بهذه المهمة فى معظم الأحوال حيث يكتســـب الابنـــاء مـــهارة مـــهن الآباء وتكتسب البنـــات خـــبرات الامـــهات فـــى فنـــون التدبـــير المـــنزلى

والحياكة الى غير ذلك . ولكن حديثاً نجد معظـــم المجتمعـــات ان لـــم يكـــن جميعها يأخذ فى الاعتماد على مؤسســـة التعليـــم كنســـق رســـمى لانجـــاز هذه المهمة حيث المعارف العديدة المتراكمة فـــى شتـــى مجـــالات الحيـــاة وحيث ازدياد درجة تعقيد المجتمعات وحاجاتـــها الـــى أفـــراد ذوى خـــبرات ومهارات ومعارف علمية متمـــيزة فـــى عديـــد مـــن الوظـــائف والمراكـــز الاجتماعية بـــالمجتمع .

(٣) تحديد المركز الاجتماعى : ويرتبـــط تحقيـــق هـــذه المهمـــة بالمهمـــة السابقة حيث تعمل المؤسسة التعليمية على شغـــل الافـــراد مراكـــز مهنيـــة معينة . حيث يعمل التعليم علـــى وضـــع الافـــراد فـــى أوضـــاع مجتمعيـــة معينة ويعلمهم كيفية أداء الادوار الاجتماعية المرتبطـــة بـــهذه المراكـــز.

بجانب هذه الوظائف الثلاث الاساســـية الهامـــة لمؤسســـة التعليـــم فان هناك بعض الوظائف الأخرى ذات الأهمية الثانويـــة وهـــى كـــالآتى :

(١) وظيفة اجتماعية : فـــالمدارس والمعـــاهد التعليميـــة تعطـــى الفرصـــة للافراد صغار السن والشباب للتفاعل مع معلميـــهم ومـــع قرنائـــهم وهـــذا التفاعل له من الاهمية بمكان حيث كثيراً ما يكون لـــه تـــأثير كبـــير علـــى شخصيـــات وكفـــاءة وطمـــوح هـــؤلاء الأفـــراد . فـــالمعلمون يقدمـــون لتلاميذهم القدوة والمثل فى سلوكهم وكثيراً مـــا نجـــد مـــن التلاميـــذ مـــن يتخذ معلماً له مثلاً أعلى له طوال حياتـــه المدرســـية والعلميـــة . كمـــا أن اساس تقييم القائمين بـــالتعليم لتلاميذهـــم تؤثـــر فـــى تكويـــن شخصيـــات هؤلاء التلاميذ الى حد كبـــير مســـتقبلاً .

ومن ناحية أخـــرى نجـــد أن التفـــاعل مـــع القرنـــاء فـــى المعـــاهد التعليمية على درجة كبيرة من الأهمية هو الآخـــر حيـــث التـــأثير المتبـــادل بين هؤلاء القرناء على تعميـــم اتجاهاتـــهم وكـــذا اهتماماتـــهم الشخصيـــة

وهواياتهم . فاذا انتمى فـــرد معيـــن الـــى مجموعـــة مـــن الزمـــلاء ذوى ميول علمية معينة ومتفوقون فى تعليمهم فغالبـــاً مـــا يدفـــع هـــذا الفـــرد نحو الحصول على أعلى الدرجـــات والتفـــوق مثلـــهم كذلـــك بـــالمثل لـــو انتمى الفرد الى مجموعة رياضية ممن لـــهم بعـــض الإهتمامـــات ببعـــض الالعاب الرياضية فغالباً ما يدفع الفرد الـــى ممارســـة أو هوايـــة رياضيـــة ما مثلهم وهكـــذا .

(٢) الوظيفة الابتكاريـــة : فـــالمدارس والمعـــاهد التعليميـــة كمـــا ســـبق القول تقوم بنقل التراث الثقافى من جيل الى جيـــل آخـــر وبالتـــالى تحـــافظ على هذا التراث الثقـــافى وتصونـــه ولكـــن فـــى نفـــس الوقـــت نجـــد ان المجتمعات العصرية تمر بتغيرات اجتماعيـــة تطوريـــة عديـــدة باســـتمرار على ذلك يتوقع من المدارس والمعـــاهد والجماعـــات ان تســـهم فـــى هـــذا التغير الاجتمـــاعى عـــن طريـــق تجميـــع المعـــارف الجديـــدة وتخزينـــها ونقلها . وفى نفس الوقـــت يتوقـــع منـــهم أن يقدمـــوا معـــارف ابتكاريـــة جديـــدة باســـتمرار لمواكبـــة هـــذه التغـــيرات وزيـــادة رفاهيـــة الانســـان وتحسين سبل الحياة باستمرار . وعلـــى ذلـــك تقـــوم المعـــاهد التعليميـــة بتشجيع الابتكار العلمى الخلاق من خـــلال توفـــير فـــرص البحـــث العلمـــى وتعويض طلابها لافكار جديدة من وقـــت لاخـــر .

الدين

يمكن القول ان المؤسسة الدينية تعتبر مؤسسة عالمية نظرًا لوجودها فى شكل ما فى جميع المجتمعات الانسانية على وجه الارض ومنذ مولد الحضارة الانسانية . ويهتم علماء الاجتماع بدراسة هذه المؤسسة من أجل فهم كيفية تأثيرها على سلوك الافراد وعلى تفاعلهم الإجتماعى بالمجتمع فهم يقومون بدراسة الدين موضوعيا دون تحيز لديانة معينة أو اعتبار لانتماءاتهم الدينية المختلفة وذلك بغرض الوقوف على الاثار المترتبة نتيجة انتماء الأفراد لدين معين ومن هنا يركز علماء الاجتماع عند دراستهم للمؤسسة الدينية على دراسة العبادادت والمعتقدات المرتبطة بالديانات المختلفة وعلى كيفية تأثير هذه المعتقدات الدينية على الحياة الانسانية وعلى العلاقات الاجتماعية بين الأفراد . ويمكن تعريف الدين على أنه ذلك الجزء من الثقافة الذى يتكون من المعتقدات والممارسات المشتركة والتى لا تعرف فقط ظواهر ما وراء الطبيعة وكذا علاقة الانسان بما هو مقدس ولكن أيضا بربط تلك المعتقدات والممارسات بالعالم الحقيقى بطريقة يمكن بها تحديد تعاريف أخلاقية لما هو حسن (متوافقة مع قوى ما وراء الطبيعة) أو سيء (بمعارضة لقوى ما وراء الطبيعة) .

وظائف الدين :

(١) تقوية عوامل الوحدة فى المجتمع : إن إيمان مختلف الافراد فى المجتمع بمبادىء دينية معينة واتجاههم الى الالتزام بتعاليمها ، ومن ثم قيامهم بتأدية مختلف شعائر الدين وطقوسه بشكل موحد ، كان ولا زال من أهم القوى التى تعمل على تعميق درجة التجانس فى

المجتمع، والتى تعمل على تقوية عوامل الوحدة بين مختلف الافراد فيه . وحتى فى الحالات التى يسود المجتمع فيها أكثر من ديانة واحدة يكون أهل الطائفة الدينية الواحدة أكثر تجانساً من غيرهم وأقوى وحدة فى مواجهة اتباع الديانات الأخرى .

(٢) القيام بوظيفة تثقيفية تعليمية فى المجتمع : إن قيام الدين بسرد قصص الماضى ونقل السلف الى الخلف ، وعمله على نشر مجموعة معينة من القيم الخلقية والمعتقدات الدينية يجعله يقوم بوظيفة تثقيفية هامة فى المجتمع ، يحاول من خلالها ان يصبغ ثقافة المجتمع وحضارته بطابع دينى مميز . ولما كان الدين فى الكثير من الحالات يتجه الى محاولة تفسير وتعليل ما يحير الناس من ظواهر وما يصيبهم من كوارث . وأساليب العلم الحديث وأسرار التكنولوجيا الصناعية لم تصل بعد الى حياة المجتمعات المتخلفة ، فان ثقافة المجتمعات الاقل تقدماً تكون فى العادة أكثر تأثراً بالثقافة الدينية ، حيث ينتشر الايمان بالغيبيات ويكثر الاعتماد على الأرواح .

(٣) الإسهام فى عملية التنشئة الاجتماعية بالنسبة لمختلف الأفراد فى المجتمع : إن اتجاه الديانات المختلفة الى الاعتماد على المؤسسات الدينية فى نشر مبادئها وتعاليمها يجعلها تشارك مشاركة فعالة فى عملية التنشئة الاجتماعية بالنسبة لمختلف الافراد والجماعات وذلك لأن إيمان الفرد بقيم ومبادئ معينة والتزامه بنصوص تعاليم محددة يجعله - فى فكره ومسلكه - نتاج حضارة معينة يشكل الدين أحد مقوماتها الأساسية . ومما يوضح أثر الدين ودوره فى عملية التنشئة الاجتماعية . إنعدام حرية اختيار الديانة بالنسبة للطفل وتأثره بالجو الثقافى الذى يسود حياة العائلة . واتجاه الفرد فى بعض الحالات - الى تأدية مختلف الشعائر واحترام رهبة

الأماكن المقدسة دون وعى حقيقى لما ينطوى عليه سلوكه من معان ودلالات .

(٤) المساهمة فى تكوين ضمير الفرد والجماعة : لما كانت كافة الأديان قد قالت بعجز الانسان أما القوى الإلهية وأضافت الى ذلك قولها بأن رغبة الله نافذة وقادرة على تبديد كل ما دونها من رغبات انسانية ، وأن هذه الرغبة - فى حد ذاتها - هى رغبة فى اقرار العدل بين الناس ، فانها وعدت المحسن من الناس خيراً وتوعدت السىء شراً . ومع اتجاه تعاليم الدين الى وعد المحسن ووعيد السىء أصبح من المحتم على المؤمن أن يتجه الى الله طلباً للرحمة والغفران وتوخياً طريق الخير والصواب . وبهذا عملت المبادىء الدينية وما يرتبط بها من قيم مختلفة على تقوية قوى الضبط الاجتماعى الداخلى ، كما ساهمت فى تكوين ضمير الانسان وتقوية واعز الخير لديه .

(٥) تقوية عوامل الاستقرار الذهنى وإضعاف عوامل القلق النفسى لدى مختلف الافراد فى المجتمع : ان قيام الدين بمحاولة التنبؤ بأسرار ما بعد الحياة واتجاهه الى تبشير المؤمنين خيرا لقاء احسانهم وصبرهم على ظلم الظالمين ووعيد المسيئين شرا لقاء ظلمهم للآخرين وعدم امتثالهم لتعاليم الدين جعله يعمل على حل الكثير من مشاكل الناس الذهنية والنفسية وبالتالى يعمل على تقوية عموامل الاستقرار فى حياة المجتمع بوجه عام . ولهذا يقول توينبى أن حياة أولئك الذين يؤمنون بأن لهم دين أقل صعوبة من حياة من لا دين لهم .

التغير الاجتماعى

التغير حقيقة واقعة فى كل المجتمعات علـى اختـلاف درجاتـها مـا فى ذلك شك أن المجتمع أو النسـق المجتمعـى كشبكـة مركبـة ومعقـدة من العلاقات الاجتماعية لايمكن له أن يوجد فـى صـورة سـتاتيكية ، بـل يوجد دائماً فى صورة ديناميكية ، تلـك الحالـة تكشـف عـن التعديـلات المتتالية فـى طبيعـة ومضمـون بنـاء الجماعـات والنظـم والعلاقـات الاجتماعية ، كما أن البناء الاجتماعى لأى مجتمـع لا يمكـن النظـر اليـه باعتباره شيئاً ثابتاً بل ينبغى النظر إليـه كمـا لـو كـان فـى حالـة مـن التوازن والثبات الذى لا يلبث أن يضطرب ويختل لتدخـل عـامل آخـر .

ولأن التغير حقيقة واقعة فليس هناك جـانب مـن جوانـب الحيـاة الاجتماعية لا يخضع باستمرار لعمليـات التغـير والتغيـير ، ولذلـك فـان موضوع التغير الاجتماعى حظى بعـدد وافـر مـن الدراسـات علـى مـر الفترات التاريخية الماضية منذ نشأة علـى الاجتمـاع وحتـى الآن .

ومع هذا الحظ الوافر مـن الدراسـات إلا أن كثـيراً مـن الكتابـات السوسـيولوجية الحديثـة تجمـع علـى أن علمـاء الاجتمـاع يفتقـرون نظرية شاملة متكاملة فى التغير الاجتماعى ، وقـد نكـون أكـثر دقـة إذا قلنا أن علمـاء الاجتمـاع فـى دراسـاتهم للتغـير لا يعـانون مـن قلـة النظريات بل يعانون من كثرتها على حد قـول ألكـس أنكلـز .

الاتجاهات النظرية فـى دراسـة التغـير الاجتمـاعى : لقـد ظـهرت فـى تـاريخ النظريـة السوسـيولوجية اتجاهـات متعـددة عـالجت موضـوع التغير الاجتماعى والتغير الثقـافى وحـاولت أن تترسـم خطـاه ونتائجـه ولقد كان لكل منهما وجهة نظـر خاصـة فـى تفسـير عواملـه وتحديـد اتجاهاته ، وعلى حد قول جامع فلقـد ظلـت نظريـات التفسير الاجتمـاعى

التى طرحت حتى الآن مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتفسيرات الفلسفية للتاريخ ، وهناك أكثر من طريقة لتصنيف هذه النظريات لعل منها ما أورده جامع حيث يقول " ان العلماء الاجتماعيون اتجهوا وخاصة منذ بداية النصف الثانى من القرن التاسع عشر نحو محاولات لتفسير التغير الاجتماعى ومعرفة أسبابه ومصادره حيث ترتب على هذه المحاولات ظهور نظريات متعددة بعضها يعتبر التغير الاجتماعى ظاهرة طبيعية تنتج من قوى داخلية فى بنيان الجهاز الاجتماعى وعملياته المتباينة مثل كل من النظرية التطورية والنظرة المهامية ، والبعض الآخر يعتبره ظاهرة هى فى الواقع عاقبة لمسببات معينة بعضها داخلى وبعضها خراجى ومثال هذه النظريات نظرية الانتشار الثقافى ونظرية التصنيع .

وعموما ولغرض التصنيف والفهم يقسم جامع مصادر التغير الى أربعة أنواع:

(١) المصدر التطورى الذى يحتوى على نظريتى التطور الكلاسيكية والتطور المتعدد .

(٢) المصدر السيكولوجى

وهو ينطوى على كل من (أ) نظرية اعتراض الاشباع الحاجاتى الانسانى ، (ب) نظرية الدافع الاحرازى ، (ج) النظرية السيكولوجية للتصنيع .

(٣) المصدر الثقافى

ويشمل : (أ) نظرية الانتشار التقافى ، (ب) نظرية الارتباط الثقافى الإجتماعى ، (ج) نظرية المتنتقضات الثقافية ، (د) نظرية الفجوة الثقافية.

(٤) المصدر المجتمعـــى

ويشمل : (أ) نظرية القيـــادة الالهاميـــة ، (ب) نظريـــة التوتـــر الطبقى ، (ج) النظريـــة الاتزاتيـــة أو البناعيـــة المهاميـــة للتغـــير الاجتماعى . (د) النظرية النزاعية للتغـــير الاجتمـــاعى .

بينما يميل بوتومورالى تقســيم نظريـــات التغـــير الاجتمـــاعى تبعـــاً لاتجاه التغير الى قسمين : الأول هـــو النظريـــات الخطيـــة أى تلـــك التـــى تقول بسير حركة المجتمع فى خط واحد ، والقســـم الثـــانى هـــو النظريـــات الدائرية أى التى تقول بسير تلك الحركة فى اتجـــاه دائـــرى ، وقـــد تـــدور العملية مرة واحـــدة أو قـــد تتعـــدد الـــدورات ، وتعتـــبر نظريـــات كونـــت وسبنسر وهو بهوس وماركس من أهـــم النظريـــات الخطيـــة بينمـــا مـــن أهـــم النظريـــات الدائريـــة نظريـــة بـــاريتو (دورة الصفـــوة) ونظريـــات سوروكين وتويبنى وهناك تقسيمات أخـــرى تقـــوم علـــى أســـاس محاولـــة تفسير التغير الاجتماعى من خلال عوامـــل التغـــير لعـــل أهمـــها مـــا أورده أوجبرن ونوموكـــوف .

وسنتناول فيما يلى عرضاً لأهم الاتجاهـــات النظريـــة فـــى دراســـة التغير تبعاً لتقسيم أوجبرن ونوكوف لعوامـــل التغـــير الاجتمـــاعى .

مصادر التغـير الاجتمـاعى :

يدخل الانسان من أجل البقاء ومن أجل التعـــامل مـــع البيئـــة التـــى يعيش فيها فى علاقـــات متعـــددة ســـواء كـــانت اجتماعيـــة أو ثقافيـــة أو طبيعيـــة تقـــوم علـــى قـــاعدة التفـــاعل المســـتمر وتتعـــرض باســـتمرار التغيرات قصيرة أو بعيـــدة المـــدى ، ويلاحـــظ أن بعـــض هـــذه العلاقـــات تفرضها عليه ثقافته والأخـــرى يفرضـــها الإنســـان علـــى الثقافـــة ، هـــذا وقد اتفق كثـــير مـــن علمـــاء الاجتمـــاع علـــى عـــدة عوامـــل باعتبارهـــا

مصادر التغير الاجتماعى وسنتناول فى الآتى هـذه العوامـل كمـا أوردهـا أوجبرن ونوكـوف .

١ - *العـامل الجغرافـى* : يقصـد بـالعوامل الجغرافيـة مكونـات البيئـة الطبيعى التى يعيش فيها الانسان والتـى تفسـر طبيعـة الحيـاة الثقافيـة والاجتماعية وتشمـل الموقـع والتضـاريس والتربـة والمنـاخ والمـواد الأولية ، ولقد أوضح سـوروث هنكتـون فـى كتابـه ينـابيع الحضـارة تـأثير الجغرافيـا والمنـاخ فـى تطـور الحضـارات حيـث أوضـح أن الحضارات الراقية كانت قد تطورت فى المنـاطق المعتدلـة حيـث يـزداد نشاط السكان ازدياداً كبـيراً.

ولعل أوضح الامور دلالـة علـى تـأثير الدخـل القومـى وبالتـالى مستوى المعيشة والرخاء فى المجتمع بمـا تضمنـه الأرض مـن ثـروات هو أن اقتصاديات المجتمعات التـى تغلـب عليـها الطبيعـة الصحراويـة والأراضى البور أو الملحية تختلف عن تلـك الزاخـرة بمنـاجم الفحـم أو الحديد أو الذهب أو مساقط المياة وهذه بلا شـك تنعكـس علـى الظـروف السياسـية وحيـاة المجتمـع ، وعكـس ذلـك هـو الصحيـح حيـث أن الظروف البيئية غير المواتيـة مثـل تغـير المنـاخ وهبـوب العواصـف والأعاصير والفيضانات وقيـام الـبراكين واشتـداد الحـرارة أو الـبرودة قد تتسب فى اهمال التربة ممـا يفقدهـا خصوبتـها أو قـد يقضـى الـى تغير نوع العمل أو الى الهجرة وفى كل الحالات ينبغـى التكيـف مـع هـذه الظروف من حيث تغيـير طـرق المعيشـة وأسـلوب الحيـاة الاجتماعيـة والظروف السياسية المحيطـة .

إلا أنه قد ينبغى القول أن الانسان اسـتطاع بمـا توصـل لـه مـن علم وتكنولوجيـا أن يطـوع البيئـة الطبيعيـة وأن يسـتخدم مصادرهـا استخداما ايجابيا لرفاهيته كما أنها لم تعـد حتميـة فـى تحديـد مجـالات

نشاطه الى جانب أنه ليس فى امكانها تفسير معظم التغيرات الاجتماعية ، ففى البيئة الجغرافية يمكن أن تنشأ بها حضارتان مختلفتان تماماً ومثال ذلك أن مناخ أوربا لم يتغير فى القرون الخمسة الماضية ومع ذلك فقد تغير النظام الاجتماعى تغيراً ملحوظاً نتيجة للثورات الصناعية .

٢- *عامل الطبيعة الانسانية :* ويطلق عليه البعض العامل البيولوجى أو العنصرى وهو يفسر التغير على أسس بيولوجية أو عنصرية على أساس اختلاف درجات الذكاء والطاقة والقابلية عند الأفراد ، فدم العائلة أو الجنس يقرر السلوك الشخصى وهذا العامل يمكن تقسيمه الى التقسيمات الفرعية التالية :

أ- عامل الجنس : أى أن الجنس يقرر مقدره الانسان وآلامه على احداث التغير .

ب- العامل النفسى : وهو يفسر التغير الاجتماعى على أساس الميول الفطرية والغذاء والطاقة .

ج- عامل التنافس الطبيعى : وهو يفسر التغير على أساس أن التنافس هو جزء من قانون الحياة ، ومن خلال هذا التنافس أو الصراع تختار الطبيعة الاصلح للبقاء باعتباره العامل الرئيسى للتغير. والتنافس يبرز الى الأمام أفضل الناس الصالحين للبقاء ويقضى على الضعفاء .

٣- *العامل الحضارى أو الثقافى :* تلعب العوامل الفكرية أو الثقافية بما تشتمل عليه من أدوات وعلوم ومعتقدات فلسفية ودينية أكبر الأثر فى تنظيم الحياة الاجتماعية ويكون أثر هذه العوامل واضحاً فى

المجتمعات المختلفة ويمكن تقسيم هذا العامل الى مجموعة من العوامل الفرعية :

أ- *العامل الديني* : يقترن هذا العامل بماكس فيبر والذى حاول من خلال نظريته أن يبرهن على خطأ القضية الأساسية التى تنهض عليها الماركسية وهى أن كل الظواهر الثقافية بما فى ذلك الدين تخضع لتحديد القوى الاقتصادية . فماركس يذهب الى أن إصلاح البروتستانتى كان نتاجاً لظهور الرأسمالية ، وحينما قرر فيبر إختبار هذا الغرض حصل على نتائج مختلفة تماماً ، وهو يرى أن الأخلاق البروتستانتية كانت شرطاً ضرورياً وان لم يكن كافياً لظهور الرأسمالية الحديثة .

ب- *العامل الاقتصادى المادى* : ولقد ارتبط العامل الاقتصادى كوسيلة لاحداث التغيير وتفسيره بكارل ماركس حيث يرى أن هذا العامل الذى يتكون أساساً من الوسائل التكنولوجية للانتاج يحدد التنظيم الإجتماعى للإنتاج الذى يعنى العلاقات التى ينبغى على الناس أن يدخلوا فيها أو هم يدخلون فيها بالفعل لانتاج السلع بطريقة أكثر كفاءة مما لو عملوا منعزلين ، وتنمو هذه العلاقات فى رأى ماركس مستقلة عن الإرادة الانسانية - بل إن تنظيم الانتاج الذى يسميه ماركس البناء الاقتصادى للمجتمع لا يحدد فقط البناء الفوقى الكلى ولكنه يشكله اى أنه يشكل التنظيم السياسى والقانون والدين والفلسفة والأدب والعلم والأخلاق ذاتها .

ج- *العامل التكنولوجى* : يفسر هذا العامل التغير على أساس العوامل التقنية أو التكنولوجية ولقد اعتبر آيرس التكنولوجيا بأنها المحرك الاول الذى يخلق التغيير حيث يرى أن أى تغير فى التكنولوجيا لابد

وأن يتبعه بالضرورة تغيـــيرا اجتماعيـــا ويعتقـــد أن المجتمـــع انمـــا هـــو نتاج للتكنولوجيـــا .

هـ- *العالم الاقتصادى السياسى* : وهذا العـــامل يوضـــح أهميـــة السـلطة فى وضع القوانين والأنظمة اللازمـــــة لاحـــداث التغيـــير وإحـــداث التقـــدم وهـــو يبيـــن دور العمليـــات السياســـية فـــى احـــداث التغيـــير ، ويعتقـــد البروفسور جون آر صاحب هـــــذه النظريـــة أن مجلـــس المحكمـــة العليـــا فى الولايات المتحدة هو أبو الاقتصاد الامريكـــى وأنـــه باتبـــاع الاجـــرءات القانونية وبالمقدرة على سن القوانيـــن وحـــل التناقضـــات فانـــه ســـيكون فى الامكان تحقيق التغير بنظام ودون الحاجـــة إلـــى إيقـــاع المجتمـــع فـــى فوضى كلية .

ز- *العامل العائلى* : ويشرح هذا العـــامل التغـــير مـــن منطلـــق أن العائلـــة هى المؤسسة الرئيسية لاحـــداث التغيـــير .

ح - *عامل التخصص وتقسيم العمـــل* : حيـــث يعتـــبر التغـــير فـــى هـــذه الحالة راجعا الى تقسيم العمل ومن أوائل من ركـــزوا علـــى هـــذا العـــامل دور كايم الذى يرى أن تقســـيم العمـــل عـــامل هـــام فـــى تحديـــد ســـلوك المجتمع ، ويعد كتابـــه تقســـيم العمـــل الاجتمـــاعى والـــذى كـــان فاتحـــة أعماله السوســـيولوجية دراســـة كلاســـيكية للتضـــامن الاجتمـــاعى فلقـــد عالج فى الفصل الأول مـــن الكتـــاب الظواهـــر بصفـــة عامـــة باعتبارهـــا نتائج مصاحبة لتقســـيم العمـــل فـــى المجتمـــع والـــذى اعتـــبره متغـــيرا مستقلا ، وقد لاحظ دور كايم حينما قـــارن المجتمعـــات القديمـــة والأكـــثر تطورا أن الأولى تتميز بوجود نـــوع مـــن التضـــامن الآلـــى أمـــا الثانيـــة فيسودها تضامن عضـــوى .

ويعتمد التضامن الآلى على التماثل بين أعضاء المجتمع بينما يستمد التضامن العضوى أسسه من التباين ، ويصاحب نمو تقسيم العمل فى المجتمع ظهور التضامن العضوى فتقسيم العمل وما يترتب عليه من تباين بين الأفراد يعمل على تدعيم نوع من التساند المتبادل فى المجتمع وينعكس هذا التساند المتبادل على العقلية الانسانية والاخلاقيات كما أنه يبدو فى ظاهرة التضامن العضوى ذاتها وكلما ازداد هذا التضامن رسوخاً قلت أهمية الضمير الجمعى ، وهكذا يستبدل القانون الجنائى القائم على جزاءات رادعة بقانون مدنى وادارى يهدف إلى المحافظة على حقوق الأفراد بدلاً من العقوبة .

٤- *العامل السكانى : (الديموجرافى)* : تأثرت هذه النزعة الديموجرافية عند أدولف كوست بتفكير كونت ، ولقد كانت الفكرة الأساسية عند كونت تتمثل فى أن ثمة عاملاً وحيداً هو الذى يحدد تطور المجتمع هو الزيادة الملحوظة فى عدد السكان ، ولقد حدد كوست أربعة مراحل متتابعة للتطور يمر بها المجتمع هى المقاطعة والمدنية والمتروبوليتية ، والمدنية العاصمة ثم عاصمة الاتحاد الفيدرالى ويوازى هذه المراحل التطورية الديموجرافية تطورات محددة فى نظم الحكومات وأنماط التنظيمات الانسانية الاقتصادية والانتاجية ونظم الملكية وغيرها .

إلا أن هذه النزعة التطورية الديموجرافية لم تستطع تفسير العامل السكانى من خلال نظرية مالتس السكانية التى تؤكد على أن السكان يزيدون وفق متتالية هندسية على حين تزيد الموارد وفق متوالية عددية ، وبالرغم من أن تقدم الصناعة والزراعة فى القرن التاسع عشر أثبت عدم صحة هذه النظرية فيما يتعلق بنسبة زيادة

المـوارد الا أن النظريــة فــى مجموعــها صحيحــة اذا طبقـت علــــى المجتمعات التى تعتمد اعتمادا كليا علـــى الزراعـة .

وبناءا علـــى هـذه النظريـــة يمكـن أن ترجـع العـامل الســكانى المؤثر فى التغير الاجتماعى إلى عنـــاصر مختلفــة منــها كثافــة الســكان وحجم الجماعة والمجتمعـــات ومعــدلات المواليــد والوفيــات بالزيــادة أو بالنقصان أو بالهجرة داخــل المجتمــع الواحــد أو الخارجيــة واســتحداث مناطق جديدة للعمران والسكن والعلاقــات الاجتماعيــة ومســتوى التكيــف بالنسبة للمهاجرين وقاطنى المنــاطق الســكنية الجديــدة ونســبة الأطفــال أو الشباب أو الشيوخ الى سكان المجتمع وأثر ذلــك فــى العمــل والانتــاج والاقتصاد القومـــى.

نظريـات أخرى فــى التغيير :

يرى أوجبرن ونيموكوف أن هناك نظريـــات أخــرى لا تدخـل تحـت العوامل السابقة مثـــل : (١) النظريـــات الخطيـــة أى التـــى تقــول بســير حركة المجتمع فى خط واحد مثل نظرية المراحـــل المتتاليـــة حيـث يــرى بعض علماء الجنس البشرى أن كل المجتمعـــات تمــر فــى سلســلة مــن المراحل التطورية ولقد قسم كونت هذه المراحل الـــى ثــلاث مراحــل هــى المرحلة الدينيـــة ومـــا وراء الطبيعــة أو الميتافيزيقيـــة ، والوصفيـــة أو الايجابية ولقـــد اعتقــد كونــت أن التفســير الفلســفى العميــق لقـــانون المراحل الثلاثة مسألة ضرورية وهو تغيــير يــرد القـــانون الـــى الطبيعـــة الانسانية مما يجعل من الممكـــن الوصــول إليــه بســهولة ، ولقــد اقــام كونت مجموعة من الارتباطات خــلال مناقشتــه لنمــو طليعــة الانســانية وهى أكثر المجتمعات تقدمـــا بيــن المراحــل العقليــة الاساســية مراحــل

تقدم الحياة المادية للإنسان ونموها وأشكال الوحدات الاجتماعية وأنماط النظام الاجتماعي والمشاعر الغالية أو السائدة .

ثم هناك النظريات الدائرية والتي تقول بسير حركة المجتمع في إتجاه دائري ومن أمثلتها نظرية سوروكين والتي اتعبرت أن هناك ثلاثة أنواع من النظم الحضارية هي النظام العقائدي المبني على العقيدة ، والنظام الحسي المبني على العلم والتجربة، ونظام وسط أو عقائدي مختلط . كذلك نظرية شابين حيث تفسر هذه النظرية التغيير الدوري على أنه نتيجة عمليات ثلاث هي الحضارة المادية ، الحضارة غير المادية ، عناصر الحضارة الواسعة .

الفصـــــل السابــــــــــع

الإتصال الانسانى

١- خصائص الإتصال الإنســـانى .

٢- أســاليب الإتصـــــال .

الاتصال الانسانى

تعريف الاتصال الانسانى :

هناك تعريفات عديدة للاتصال تختلف طبقا لهدف من يقوم بالتعريف وتبعا لجوانب السلوك موضحا لتأكيده واهتمامه ومن أكثر التعريفات شمولا للاتصال " هو الذى يشير إليه باعتباره " عمليات اشتراك ومشاركة فى المعنى من خلال التفاعل الرمزى ، تتميز بالانتشار فى الزمان والمكان فضلا عن استمراريتها وقابليتها للتنبؤ، ونظرا لأهمية هذا التعريف فاننا سنتولى شرح خصائصه :

خصائص الاتصال الانسانى :

١ - *انتشار الاتصال فى الزمان والمكان :* يعيش الناس فى عالم اتصالى واستخدام الرموز هو ما يربط بين الناس ويربطهم بأنشطتهم وينطوى معظم السلوك الانسانى على استخدام نسق رمزى فنحن نتحدث برموز شفهية أو منطوقة ونكتب برموز مدونة أو مكتوبة فضلا عن أننا نستخدم نسقا من الاشارات غير اللفظية والحركات والأفعال من أجل أن نعبر عنه أمام شخص آخر أو مجموعة من الأشخاص والانسان لا يحتاج الى الاتصال فحسب ولا يستخدمه فقط، بل إنه يجده من حوله فى كل مكان وفى كل لحظة من لحظات حياته اليومية : فهو قد يستيقظ فى الصباح على المنبه أو المذياع أو ربما على صوت أحد ينبهه للاستيقاظ وفى كل هذه الحالات فانه قد تلقى رسالة أو معنى يشير إليه بالاستيقاظ . وعندما يرتدى ملابسة فان ذلك يكون محصلة اتصال سبق طالما أن الانسان لم يولد وهو مزود بقدرات تمكنه من أداء هذه الأفعال كما أن الانسان يتعرض لمزيد من

الاتصال بمجرد خروجه من منزلـــه فـهو يتلقـى المزيـد مـن الرسـائل والمعانى طوال اليوم ولا يستطيع أن يجـد للاتصـال بديـلا .

إذن فالانسـان يمضـى يومـه متحدثـا ومسـتحدثا اليـه وكاتبـا وقارئا ومستجيبا للعديد من الرمـوز ، ولـهذا يوجـد الاتصـال فـى كـل زمان وفى كل لحظـة .

٢- *استمرارية الاتصال :* يمتد الاتصـال مـن المـاضى مـارا بالحـاضر ومتجها نحو المستقبل وليـس للاتصـال بدايـة أو نهايـة واضحـة فـهو جزء من حياة الانسان يتدفـق ويتغـير كمـا تتغـير بيئتـه وكلمـا تغـير الانسان من حوله ممن يتفـاعل معـهم .

والحاجات الاتصاليـه للانسـان ليسـت ثابتـه أم مسـتقرة ولذلـك فهى تحتاج باستمرار الى التوافق الذى يقـوم علـى الخـبرات والتجـارب السابقة وعلى التوقعات المستقبلية ، وكمـا يقـول فـابون ليسـت هنـاك خبرة تبدأ فى لحظـة معينـة وبـالذات ، ولكـن هنـاك دائمـا شيئـا مـا يـ[illegible]، فكل سلوك اتصالى له جذور فـى المـاضى .

وتعتمد استمرارية الاتصال علـى منـح التغذيـة المرتـدة وأخذهـا أى على تبادل ردود الافعال ونتائجـها فالانسـان يوجـه أسـئلة ويتوقـع إجابات وهو يتحدث الى شخص ما ويتوقـع اسـتجابة منـه سـواء أتـت فى شكل كلمات أو تعبيرات غير لفظية فهى تشـير إلـى أنـه قـد اسـتمع اليه . وهو عندمـا يسـتقبل إسـتجابة معينـة يمكنـه أن يبنـى عليـها اتصاله فيما بعد تبعا لكيفية تفسيره للتغذية المرتـدة التـى اسـتقبلها .

ومن أبسط الامثلة على التغذية المرتدة فـى الاتصـال فـى المجـال التعليمى قيام المدرس بعقد اختبارات دورية للطـلاب مـن أجـل الحصـول على تغذية مرتدة عما تعلمـوه ومـا تـم تحصيلـه . ثـم إعطـاء تغذيـة

مرتدة الى الطلاب بواسطة منحـــهم درجـات فـــى الامتحـــان أو تقديـــرات معينة . وفى تلك الحالـــة تعتـبر التغذيـــة المرتـــدة بمثابـــة تقريـــر عـــن مستوى الطالب فى تحصيل المـــادة الدراســـية .

٣- *الاشتراك والمشاركة فى المعنى :* على الرغـــم مـــن أن البـــاحثين فـــى الاتصال قد اتفقوا على أنه مرتبط باســـتخدام الرمـــز إلا أنـــهم لـــم يتفقـــوا على أهداف الاتصال حيث ذهب فريق منـــــهم الـــى أن الاتصـــال يســـتهدف توصيل المعلومات ونقـــل الأفكـــار بينمـــا اعتقـــد الآخـــرون أن الاتصـــال يستهدف خلق المعنى ، فعندما يتصـــل الانســـان ببيئتـــه يحـــاول أن يعـــثر على معانى تلك المنبهات المختلفة التى تنبـــع مـــن داخلـــه ومـــن حولـــه ، ونظرا لاستحالة اهتمام الانسان بكل ما يحيط بـــه مـــن حـــوادث ومنبـــهات فى لحظـــة معينـــة مـــن الزمـــان فانـــه يقـــوم بتطويـــر أســـاليب معينـــة للاستجابة تجاه المنبهات على نحو انتقـــائى مســـتخدما فـــى ذلـــك نســـق تصنيفى لتنظيمها ، وكلمـــا تزايـــدت خـــبرات الانســـان واتســـعت علاقتـــه بالأشياء من حوله إتسع نطـــاق مـــا يحـــدث فـــى عالمـــه وأصبـــح هـــذا النطاق يحمل معنى ودلالة أكثر عنـــده . ومعنـــى ذلـــك أن الاتصـــال هـــو نشاط له معنى وهـــدف .

٤- *قابلية الاتصال للتنبؤ :* لقد حـــاول بعـــض الدارســـين القيـــام بتحليـــل وفهم ما يحدث داخل الشخص أثنـــاء قيامـــه بفعـــل اتصـــالى وقـــد دفعـــت الخبرة البحثية التى استمرت ســـنوات عديـــدة البـــاحثين إلـــى أن يعتقـــدوا فى أن ما يحدث عندما تأتى رسالة معينة من مصـــدر محـــدد وتصـــل الـــى جمهور معين هو مسألة قابلة للتنبؤ بها وهذا يتفق مـــع مـــا ســـبق ذكـــره من أن الاتصال ليس عمليـــة عشوائيـــة .

وهكذا يمكن اختصار خصائص الاتصال فى النقاط الثلاث التالية وهى :

أولا : الاتصال عملية ديناميكية وليست استاتيكية .

ثانيا : أنه اشتراك ومشاركة فى المعنى والدلالة .

ثالثا : أنه عملية قابلة للتنبؤ .

أساليب الاتصال :

ليس هناك شخصان يتصرفان بنفس الطريقة ، كما أن الشخص لا يتصرف بذات الأسلوب فى جميع الأحيان . ومع ذلك فان هناك ملامح أساسية للاتصال الانسانى تمثل طرقا مميزة فى المواقف التبادلية بين الأشخاص .

وهناك خمسة أساليب اساسية للاتصال هى :

١ - *اسلوب العدوان واللوم :* يميل الشخص الذى يستخدم هذا الأسلوب الى أن يتصرف دائما مع الآخرين مستخدما لهجة الطلب ، وقد شبه بآلة التصوير التى تصور أخطاء الآخرين وتنتقدهم باستمرار على نحو يسوده التعالى والفطرية كما يتميز أكثر اللوامين بأنهم مستبدون كما أنهم يفرضون آرائهم على الآخرين بالقوة ويفعلون ما يريدونه على حساب حقوق الآخرين وتساعدهم عواطفهم. والهدف النهائى للشخص اللوام هو أن يحقق الفوز والسيطرة دائما فى نطاق علاقاته مع الآخرين .

٢ - *أسلوب الاسترضاء وعدم الحزم :* يحاول الأشخاص الذين يتخذون هذا الأسلوب استماح الآخرين وانكار ذاتهم وهم نادرا ما يرفضون أمرا ويتحدثون كما لو كانوا عاجزين عن أن يفعلوا شيئا

من أجل أنفسهم ولأنفسهم ولذلك فهم يحتاجون دائمـا الـى مـن يسـاندهم أو يؤيدهـم . ويتجـاهل المسـترضون حقوقـهم الخاصـة وحاجاتـهم ومشاعرهم . ويتميز أسـلوب الاسـترضاء بـأن صاحبـه لا يسـتطيع أن يتخذ قرارا فى مسألة معينة أو أن يبت فى أمـرا مـا وأن يحسـب حسـابا أو يتعقل أمرا ومثال ذلـك ان الرئيـس أو المشـرف الـذى يتخـذ بـهذا الاسلوب لا يستطيع أن يحزم فى أمر ما ويجـد صعوبـة فـى أن يقـول لا لمرؤسيه خوفا من أن يـوذى مشـاعرهم .

٣- *الأسـلوب العقلـى :* الأشخـاص الذيـن يسـتخدمون هـذا الأسـلوب يعلقون أهمية قصـوى علـى حسـاب كـل مـا يفعلونـه مـع الآخريـن ومعالجته تعقلية ولهذا فهو أسلوب يستلزم قـدرة فائقـة علـى أن يظـهر الانسان بمظهر الهدوء والرصانة والاتـوان فـلا يسـمح لمشـاعرة الـى أن تخرج الى حيز التعبير وهو يعتقد أن مـن الأفضـل أن تظـل المشـاعر والانفعالات كامنه بداخله طالما أنها يمكن أن تصرفـه عـن العمـل الـذى يقوم به وأنها قد تربكه لو أنـه كشـف عنـها ، ولذلـك فالانـاس الذيـن يكتشفون دائما هذا الأسـلوب يرتـابون فـى المشـاعر ولا يثقـون فـى العواطـف والانفعـالات الشخصيـة ويثقـون أشـد الثقـة فـى المنطـق والعقلانية .

٤- *الأسلوب الملتوى أو الاحتكارى :* يقوم هـذا الأسـلوب علـى أسـاس من عدم الاندماج فى المواقـف المتبادلـة بيـن الأشخـاص أو المواقـف الشخصية ويشار إليـه بـهذه العبـارة (ابتعـد عـن المواقـف المـهددة) والأشخـاص الذيـن يسـتخدمون هـذا الأسـلوب يكونـون كـل أنـواع الاستيراتيجيات للمحافظة على ذاتهم بعيـدة عـن أطـراف الاتصـال غـير المريحة . ولكن عندما لا يتمكنـون مـن تحـاشى هـذه الأطـراف الغـير مريحة لهم فانهم يلجأون إلى إستخدام أسلوب آخـر للتعـامل مـع هـؤلاء

وهو أسلوب المناورات الملتوية أو أسلوب احتكار مشاعر الآخرين وعواطفهم واستغلالها . وفى هذه الحالة الأخيرة تستخدم أساليب معينة كالغضب أو التظاهرية والإحراج وإحساس الآخرين بالذنب كطريقة للاستيلاء عليهم . ومثال ذلك الرئيس العمل قد يجبر مرؤوسيه على القيام بأعمال اضافية بواسطة احتكار مشاعرهم الكامنة بالذنب فيقول لهم " كيف يمكنكم أن تتركونى بمفردى بعد كل ما فعلته من أجلكم " .

٥- *الأسلوب الواضح والمباشر :* يتميز الاشخاص الذين يستخدمون هذا الاسلوب بقدرتهم على الافصاح بحقوقهم والتعبير عن مشاعرهم وأفكارهم وحاجاتهم بطرق مباشرة وشريفة ومستقيمة ولذلك تجىء نبرات أصواتهم وحركاتهم وتعبيرات نظراتهم ووقفاتهم ملائمة ومطابقة لما يقولونه ، فضلا عن أن أفعالهم تضاهى أقوالهم وهم قادرون الى حد كبير على أن ينفذوا ما وعدوا به ويكشف الاشخاص الذين يعتمدوا على هذا الأسلوب عن عدم لجوئهم الى تحقيق حرياتهم على حساب حريات الآخرين واستعدادهم الدائم للتفاوض والحوار وعقد الصلح ويستطيع هؤلاء الاشخاص أن يعبروا عن وجهات نظرهم الخاصة فى المواقف المختلفة حتى وإن كانت تختلف عن وجهات نظر غيرهم ولكنهم لا يكتشفون فى ذلك عن أى محاولة للسيطرة او لإحتكار الآخرين .

نخلص من دراسة هذه الأساليب الاتصالية بأن هناك بضعة نقاط أساليب تتعلق بأسلوب الاتصال وهى :

أولا : أن هناك الكثير من أساليب الاتصال المتاحة أمام الأشخاص وهناك سبل مختلفة ومتباينة للاستجابة فى المواقف المتبادلة بينهم وأن كل شخص يستخدم هذه الأساليب فى موقف أو فى آخر .

ثانيا : أن كل أسلوب منها يعتبر فعالا وإيجابيا فـــى مواقــف معينــة .

ثالثــا : أن الإســتخدام المعتــاد لنمــوذج واحــد وبــالذات وفــى جميــع المواقف دون تمييز لطبيعة الموقــف هــو الــذى يمكــن أن يتسـبب فــى المشكلات المتصلة بالعلاقات بيـــن الأشخـــاص .

الاستيراتيجية الرمزية : يشـــير مفـــهوم الاســـتراتيجية الـــى أنـــه تنظيـــم للوســـائل يســـتهدف تحقيـــق الأهـــداف وطبقـــا لـــهذا المفـــهوم تشـــير الاستيراتيجية الـــى جميـــع القـــوى التـــى يســـتخدمها أى كـــائن عضـــوى للتوصل الى المفـــاهيم المتصلـــة ببيئتـــه بمـــا ينطـــوى عليـــه ذلـــك مـــن استخدام للاشياء والموضوعات بل ولشكـــل معقـــول ومـــاهر مـــن أشكـــال تنظيم الموارد الرمزية للانسان . وأما كلمـــــة رمـــز فـــهى تشبـــه معظـــم الكلمات الأخرى فى أنها اكتســـبت معـــانى متعـــددة إلا أنـــه يمكـــن القـــول بأنه لا شىء يمكن أن يكـــون علـــى مـــا هـــو هليـــه الا إذا أشرنـــا إليـــه بالرموز فلا أحد ينكر أن هناك فرق بين بناء مـــنزل وبيـــن كتابـــة قصيـــدة شعرية عن بناء المنزل وهو الفرق بين بنايـــة المكصنـــع المكتملـــة وبيـــن التصميم الهندسى لشكل البناية قبـــل تنفيذهـــا .

هذا وتتميز الرمـــوز بخصـــائص معينـــة لـــها مغزاهـــا العميـــق بالنســـبة للاتصال وهى :

(١) أن الرموز تنتج بواسطة كائنـــــات بشريـــة .

(٢) أنها تتميز بالمغزى الاتصالى بقدر ما يكـــون هنـــاك اتفـــاق مســـبق بين القائمين بعملية الاتصال وبين المتصل معـــهم علـــى معانيـــها .

(٣) أنها تنتج بقصد تركيب وبناء مواقـــف معينـــة تمـــيز أطرافـــها بـــأن لها مصلحة مشتركة أو أنها تتصور وجـــود هـــذه المصلحـــة .

ووظائف الرموز هي : (١) تشير الى شـــيء أو شخـص أو فعـل فتحـول الانتباه اليه . (٢) تقوم الرموز بعملية تعميم لمـــا تشـير إليـــه (٣) تشـير الرموز الى أشياء ابعد منها وتكون نائبة عنـــها أو بديلـــة لـــها (٤) أنـــها تعـبر عــن اتجاهــات ذات وقـع وحدانـــي تجـاه المواقــف والأفعــال أو الأشياء (٥) أن الأساليب الفنية الرمزيـــة تمكـن الأفـراد مـن المشاركـة في التجربة الاجتماعيـــة .

اللغة والاتصال : يستخدم الانسان اللغة كي يصـف لنفســه والآخريـن مـا يراه في العالم الخارجي وكذلك فان اللغة تؤثـر فـي طريقـة النظـر الـى هذه العالم والى الأشخاص القائمين فيه فيـــه كمـا أن ادراكــات الانســان تتشكل وتفرمل بواسطة أنماطـــه اللغويـــة ولأن كـل مـا يعرفـه الانســان عن عالمه الذى يعيش فيه هو ما يدركه عن هذا العـــالم علمـا بـأن هـذا الادراك يتخذ لونه المميز بواسطة اللغة التي تســـتخدم لوصـف مـا يـراه الانسان ، وإذن لا تعتبر اللغـــة مجـرد أداه تعطـي تسـميات معينـة لمـا تراه أعين الانسان أو مـــا تسـمعه أذنـــه ولكنـــها تؤثـر فـي العمليـات الادراكية بل وتقوم بتشكيلها أيضـــا .

وهناك خبرات كثيرة لا تجد لـــها مرادفـات لفظيـة أو كلمـات فـي بعض اللغات بينما توجد لغات أخـرى غنيـة بالكلمـات التـي تعـبر عـن هذه الخبرات أو المشـــاعر وفـي اللغـة التـي لا تحظـي بـالتعبير عـن المشاعر المختلفة بواسطة كلمات مختلفـــة يكـون مـن العسـير جـدا أن يتعرف الانسان على نا يشعر به انسان آخـر بوضـوح . ومثـال ذلـك أن اللغـي الانجليزيـة تسـتخدم كلمـة الحـب لتعطـي مجموعـة مشـــاعر وعواطف مختلفة بـــلا تميـيز حيـث يمكـن للانســان أن يحـب والدتـه أو أباه وأن يحب ابنتــــه أو ابنـــه أو صديقـه أو زوجـه أو يحـب لعبـة أو حيوانا او لونا من ألوان الطعـــام أو الشـراب .

الاتصال غير اللفظي :

تعتبر دراسة الاتصال الغير لفظي حديثة نسبياً حيث ظل الناس يعتقدون لفترة طويلة أن الاتصال لا يمكن أن يحدث بغير استخدام للكلمات . ولكن هذا الاتجاه الشائع نحو الصمت أو نحو غياب الصوت الكلامي هو في حقيقته اغفال بل وسوء فهم لطبيعة الاتصال ذاته فالناس لا يتحدثون بصفة غير منقطعة بل يتخلل حديثهم وقعات يفكرون خلالها فيما سوف يقولون كما يقومون فيها بصياغة عباراتهم واختيار ألفاظهم . وفضلاً عن ذلك فهو يصمتون عندما ينصتون الى حديث الآخرين.

وللصمت نماذج كثيرة منها :

١-صمت الانسان عندما يكون غاضباً أو مصاباً بحالة من الاحباط .

٢-الصمت أثناء الاستماع الى حديث .

٣-صمت الملل الذى يعبر عن الانسحاب من موقف .

٤-الصمت الذى يحدث عندما لا يستطيع الشخص أن يفكر فى شىء يقوله .

٥-صمت الشخص الذى يفكر فى نقطة أثارها متحدث معين .

٦-الصمت عندما لا يفهم الشخص ما قاله المتحدث .

٧-قد يكون الصمت علامة تأمل .

٨-صمت الاصدقاء أو المحبين عندما يلتقون ولا يحتاجون الى أن يقولوا شيئاً لكى يعبر عن مشاعرهم وعواطفهم ويكتفون بالابتسامة او التسليم باليد .

٩-صمت البلبلة .

١٠-صمت التحدى وهو الذى يحدث مثلاً عندما يعاقب الطفل

بعض نماذج الاتصال غير اللفظى الأخرى :

١- *نظائر اللغة :* فليست الكلمة المنطوقة كلمة محـــايدة بــل انــها تتــأثر بنبرة الصوت أو نغمته فكلمة نعم وهو كلمة بســيطة يمكــن أن تعــبر فــى صورتها المنطوقة عــن العديــد مــن المشــاعر كــالغضب أو الخــوف أو الاحباط أو الموافقة أو اللامبالاة أو التحدى حســب الطريــق التــى تنطــق بها .

٢- *الاشارات :* تعتبر أول وسيلة مـــن الوســـائل التـــى طورهـــا الانســـان فى اتصاله بالآخرين ، وتنطوى كل ثقافـــة مـــن الثقافـــات المختلفـــة علـــى نسق من الاشارات ذات المعنى والدلالـــة ومـــن أكـــثر الثقافـــات اعتمـــاداً علـــى التعبـــير اليـــدوى أثنـــاء الكـــلام : الثقافـــة الفرنســـية والأســـبانية والايطالية وثقافة البحر المتوسط بوجـــه عـــام .

٣- *تعبـــيرات الوجـــه وحركـــات الجســـم :* نـــادراً مـــا يكـــون الشخـــص المتحدث غير معبر أو غير متحرك بـــل ان الوجـــه يتحـــرك كثـــيراً أثنـــاء الكلام وكذلك جسم الانسان وهذه الحركات انما تعـــبر تعبـــيراً بالغـــاً عـــن المشاعر والانفعالات والواصـــف .

٤- *لغة الاشياء :* لبعض الثقافات أهمية كبـــيرة علـــى المظـــهر الفـــيزيقى للانسان وعلى جاذبية هـــذا المظـــهر . حيـــث تقـــدم الملابـــس بوظـــائف هامة من وجهة نظر الاتصـــال فـــهى تعـــبر عـــن الانفعـــالات والمشـــاعر فضلاً عن أنها تؤثر فى سلوك من يرتديها وســـلوك الآخريـــن نحـــوه .

٥- *الاتصال عن طريق اللمس :* يعتبر اللمـــس أداة إتصاليـــة قويـــة تعـــبر عن العديد من المشاعر كالخوف والحب والقلـــق والـــدفء والـــبرودة .

الباب الأول

مقدمة

مع أهمية دراسة المجتمعات الريفية فإن إنشاء علم مستقل لدراستها يُعتبر عملية حديثة نسبياً حيث تُعتبر البداية المنظمة لإنشاء علم الإجتماع الريفي عام ١٩٠٧ بظهور تقرير تيودور روزفلت عن الحياة الزراعية في الولايات المتحدة الأمريكية لذا فإنه من الضروري لدارس هذا العلم أن يلم ببعض الجوانب المتعلقة بأسباب نشأته وتطوره ومجالاته وأهدافه والأسس النظرية والمنهجية التي يعتمد عليها ثم دراسة خصائص المجتمعات الريفية وأوجه التفرقة بينها وبين المجتمعات الحضرية والأسس النظرية لدراسة هذه الفروق ، ثم الإنتقال لدراسة نظم الإقامة الريفية وطبيعة البناء الإجتماعي الريفي وهذا ما سيتم من خلال هذا الباب عبر فصوله الأربعة حيث سيتناول كل فصل عدة مباحث كالآتي :

الفصل الأول : علم الإجتماع الريفي – النشأة والأهداف والأسس النظرية والمنهجية

المبحث الأول : الريفية كمدخل لدراسات علم الإجتماع الريفي .

المبحث الثاني : علم الإجتماع الريفي النشأة والأهداف .

المبحث الثالث : الأسس النظرية والمنهجية لعلم الإجتماع الريفي .

الفصل الثاني : الفروق الريفية الحضرية وخواص الحياة الريفية

المبحث الأول : المجتمع المحلي .

المبحث الثاني : الإتجاهات النظرية لدراسة الفروق الريفية الحضرية .

المبحث الثالث : التصنيف الريفي الحضري .

المبحث الرابع : خواص الحياة الريفية .

الفصل الثالث : نظم الإقامة بالمناطق الريفية

المبحث الأول : نظم الإقامة على قرى .

المبحث الثاني : نظم الإقامة على عزب .

المبحث الثالث : نظم الإقامة على مزارع .

الفصل الرابع : البناء الإجتماعي الريفي

المبحث الأول : البناء الأسري .

المبحث الثاني : البناء الإقتصادي .

المبحث الثالث : البناء التعليمي .

الفصل الأول

علم الإجتماع الريفي - النشأة والأهداف والأسس النظرية والمنهجية

المبحث الأول

الريفية كمدخل لدراسات علم الإجتماع الريفي

لقيت قضية الريفية في السنوات الأخيرة قدراً كبيراً من الإهتمام خاصةً في هذا لعالم السريع المتغير . والجدير بالذكر أن الخاصية الأساسية والحياة المعيشية ومصير غالبية الجنس البشري في عالم اليوم تكمن في المجتمعات القروية الصغيرة . والأكثر من ذلك هو أن قضية الريفية أصبحت واحدة من القضايا المتفجرة في العصر الحديث ل إنها أصبحت واحدة من المحددات البنائية التي تشكل الخصائص الأساسية للدول لنامية ، وحديثاً أصبحت قضية الريفية عاملاً محدداً وقضية أساسية من قضايا الحرب السلام العالمي ، وعلى سبيل المثال فإن معارك فيتنام ومجاعات جنوب شرق آسيا ، د إنعكست آثارها في خطط وسياسات العديد من الدول ، كما أن ذلك كان له إنعكاساته على الدراسات الجامعية والعالم المتحضر بصفةٍ عامة .

لقد أجمعت الآراء على أن الريفية كظاهرة إجتماعية تعتبر من أصعب وأعقد المشاكل التي تواجه عالم اليوم . وتأتي في أهميتها مباشرةً بعد مشكلة التأثيرات الضارة الناتجة عن الطاقة النووية ، وتكمن هذه المشكلة في تحديث ملايين القرويين في عالم اليوم . وبالرغم من أن البحوث والدراسات في مجال الريفية لا تتلائم مطلقاً مع حجم المشكلة ، إلا أنه ومنذ بدايات القرن العشرين شهد العالم إهتماماً بالغاً بالمجتمعات الريفية سواء في الغرب أو في الشرق وكان الهدف الأساسي هو تنمية وتحديث الحياة المعيشية في هذه المجتمعات حتى تساير الحياة في القرن العشرين .

إن المتتبع للكتابات في مجال الريفية يمكنه أن يتبين أن هناك إهتماماً عاماً من جانب حكومات الدول المتقدمة والنامية والهيئات العاملة في مجال التنمية والتحديث بقضية الريفية كما أن هذا الإهتمام أيضاً يمكن أن نتتبعه لدى العديد من العلوم الفيزيقية، وإلى جانب هذا الإهتمام العام ، كان هناك إهتماماً من نوع خاص بقضية الريفية ظهر لدى علماء الإجتماع والأنثروبولوجيا الإجتماعية ، وقد تمثل هذا الإهتمام في أن ظاهرة الريفية ودراساتها تمثل أحد الميادين الرئيسية لدراسات كل منهم ومما

تجدر الإشارة إليه أن إهتمام علم الإجتماع بقضية الريفية قد تبلور في ظهور فرع متخصص من علم الإجتماع تشكل الريفية الموضوع الرئيسي لدراساته ، ألا وهو علم الإجتماع الريفي ويمكن أن نوضح في الآتي أسباب هذا الإهتمام (ندا ، ١٩٨٤) .

١- أسباب تتعلق بحجم الظاهرة عالمياً : وهذه في الواقع من أهم الأسباب التي دعت إلى الإهتمام بالمجتمعات الريفية في شتى أنحاء العالم ، حيث يشكل السكان الريفيون السواد الأعظم من سكان العالم بصفة عامة وسكان الدول النامية بصفة خاصة . فعلى سبيل المثال فإن السكان الريفيين يشكلون ثلاثة أرباع السكان في الدول النامية ، وفي الصين هناك ثلثي مليون قرية ، كما أنه في قارات آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية هناك ما يقرب من بليونين قروى (ريفي) (Rogers, 1969) . والجدير بالذكر أن الدول النامية هي أساساً مجتمعات ريفية في أنظمتها الإجتماعية والإقتصادية . فعلى سبيل المثال فإن إقتصاد هذه الدول ما زال يعتمد أساساً على الزراعة ، كما أن النمو الحضري في هذه الدول يعتمد أساساً على هجرة الريفيين من الريف إلى المدينة ، كما أن القرية في الدول النامية ما زالت توفر ما يقرب من نصف القوى العاملة .

٢- أسباب إقتصادية : لقد أوضح كولب (Kolb, 1946) أن غالبية المجتمعات في العالم تنحدر أصلاً عن المجتمع الريفي ، كما أن الريفيين يساهمون مساهمةً فعالة في القوى العاملة في مجتمعاتهم القومية كما أن الأرض والعمل الزراعي يساهمان مساهمة فعالة قد تكون أساسية في الدخل القومي السنوى للعديد من الدول النامية ، والواقع أن الأسباب الإقتصادية التي دعت إلى الإهتمام بالمجتمعات الريفية ترجع أساساً إلى عدم التوازن بين نمو السكان في الدول النامية ونمو الموارد الإقتصادية المحدودة والتي تعتمد أساساً على الأرض والزراعة . والجدير بالذكر أن السكان في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية يتزايدون بمعدلات (٢,٣٪ ، ٢,٤٪ ، ٣٪) سنوياً . ومن ناحية أخرى فإن إنتاج الطعام في العالم النامي في تناقص مستمر ، كما أن المساحة الزراعية المخصصة للفرد بدأت في التناقص ، وقد زاد من مشكلة قلة إنتاج الغذاء أن المجتمعات الريفية في الدول النامية ما زالت تستخدم وسائل تقليدية في الإنتاج الزراعي ، وهي وسائل إعتبرها روجرز أكثر بدائية من التي إستخدمها المصريون القدماء منذ فجر التاريخ .

وهنا تجدر الإشارة إلى أن إستخدام التكنولوجيا الحديثة فى مجال الزراعة من الممكن أن يضاعف إنتاج الفدان ثلاث مرات ، ومن ناحية أخرى فإن وجود فوارق بين سكان الدول النامية وسكان الدول المتقدمة خاصةً فى مستويات المعيشة ، قد دفع العديد من الهيئات الدولية للإهتمام بتحسين الظروف المعيشية للريفيين فى الدول النامية .

٢- أسباب سياسية : وفى هذا المجال أوضح روجرز أن الإستقرار السياسى فى الدول النامية يعتمد بدرجة كبيرة على رأى عامة المجتمع فيما يتعلق بالريفيين ، ولقد أوضح روجرز أن القول بأن الريفيين محافظون يتميزون بالثبات هو أمر خاطئ يثير الشك ، حيث لعب الريفيون دوراً هاماً ورئيسياً فى أربعة ثورات رئيسية ، وهى الثورة المكسيكية عام ١٩١٠ ، والثورة الروسية عام ١٩١٧ بقيادة لينين ، والثورة الشيوعية الصينية بقيادة ماو والثورة الكوبية بقيادة فيدل كاسترو . ولذلك فإن النظرة إلى الريفيون يجب أن تتغير من جانب حكوماتهم حتى تتمتع الدول النامية بالإستقرار السياسى . (Rogers, 1969)

أما عن الإهتمام الخاص "بقضية الريفية " داخل علم الإجتماع فقد تمثل فى قيام فرع متخصص داخل علم الإجتماع أخذ على عاتقه دراسة المجتمعات الريفية ، هذا وقد أشارت كتابات أندرسون إلى أن نشأة علم الإجتماع الريفى فى الولايات المتحدة الأمريكية كان فى جزء منه حركة مضادة لعلم الإجتماع الحضرى وكان الغرض منه تحسين الحياة الريفية بهدف الدفاع عن الريفية فى مقابل الحضرية أو المدنية . ولقد أوضح Lerog Sims أن ظهور علم الإجتماع الريفى كان مرتبطاً بظهور التأثيرات الحضرية وإنعكاس آثارها على المجتمعات الريفية ، وكما يقول Sims فلقد ولد علم الإجتماع الريفى عندما أصبحت الحياة فى القرية يصعب التكيف معها .

مفهوم الريفية والقروية (أوجه التباين والتعريف) :

هناك خلط كبير بين المشتغلين فى مجال الإجتماع الريفى فيما يخص التفرقة بين مفهومى الريفية والقروية وفى هذا المجال يقول (ندا ، ١٩٨٤) عن Nels Anderson أن الأخير قد أوضح نقطة هامة وجوهرية فيما يتعلق بمصطلحات علم الإجتماع الريفى حيث ميز بين مصطلحى الريفية والقروية Peasantry and Rurality ذلك أنه جرت العادة على إستخدام هذين المصطلحين بنفس المعنى حيث غالباً ما يستخدم مصطلح الريفية كمرادف لمصطلح القروية . ولقد

أوضح أندرسون أن المصطلح Rural أى الريفى جاء مصاحباً لكلمة Peasant أى القروى . حيث أن مصطلح Rural ينطبق على طريقة فى الحياة موجودة فى الدول الصناعية المتقدمة ، بمعنى أن هذه المجتمعات التى إختفت منها الفروق بين الريف والحضر فإن مصطلح ريفى يُطلق على ساكن المناطق الريفية بها ، أما فى الدول النامية حيث تشتد الفروق بين الريف والحضر فإن ساكن المناطق القروية يطلق عليه Peasant . ويواصل أندرسون قوله أن القروية بمعناها التقليدى يصعب تواجدها فى المجتمع الصناعى الحضرى الحديث . وحتى يكون الفصل واضحاً بين القروية والريفية فإن الريفية تطلق على المناطق العاملة بالزراعة فى المجتمعات المتقدمة صناعياً أما القروية فإنها تطلق على نفس المناطق فى الدول النامية وسنتعرض فى الآتى لتعريف القروية من خلال بعض العلماء الذين تعرضوا للمفهوم .

١- مفهوم كروبر (Krober, 1946) للقروية : إن مفهوم كروبر عن القروية يتحدد فى كون هذه المجتمعات تشكل مجتمعات ذات ثقافة جزئية وهم أى القرويين دون شك ريفيون مازالوا يعيشون فى علاقات مع الأسواق فى المراكز الحضرية كما أنهم يشكلون قسطاً طبقياً رئيسياً لأعداد كبيرة من السكان أولئك الذين يشملون أيضاً مراكز حضرية ، ويتفق ريموند فرث Rymond Firth مع كروبر فى تعريفه للقروية إلا أن فيرث يشير إلى القروية على أنها ذات أساس إقتصادى وأن الزراعة هى الوسيلة المعيشية للقروى . ويتفق فوستر Foster على ما ذهب إليه كروبر فى أن القرويين لا يتميزون بالعزلة والإستقلال السياسى والإكتفاء الذاتى الذى تتميز به المجتمعات القبلية كما ذهب إلى ذلك ردفيلد .

٢- مفهوم جورج فوستر (Foster, 1976) للقروية : لقد أوضح فوستر أن هناك ملامح عامة وصفات رئيسية يشارك فيها القرويون فى شتى أنحاء العالم ولذلك فإن الكثيرين من علماء الإجتماع فى تعريفهم للقروية يعتبرون أن ممارسة الزراعة هى مدخل أو مفتاح القروية ، وفى الحقيقة فإن معظم القرويين فلاحون Farmers ولكن ليس كل المزارعين أو الفلاحون قرويون Peasants . كما أوضح فوستر أن القروية يجبأن تتم داخل إطار المجتمع القروى الكبير . ويوضح فوستر أنه بالرغم من أن المجتمعات القروية هى أساساً زراعية فإن معيار التعريف يجب أن يكون بنائياً Structural أكثر من كونه مهنياً .

- مفهوم روبرت ردفيلد (Robert Redfield, 1962) للقروية : لقد خصص ردفيلد العديد من مؤلفاته لوصف الحياة القروية ومن بين هذه المؤلفات كتابه المجتمع المحلي الصغير The little Community وفي هذا الكتاب أوضح الخصائص الأساسية للمجتمعات القروية في كونها تتميز بالصغر والعزلة والتجانس والإكتفاء الذاتي والأمن ، وفي مجال تعريفه للقرويين يقول " إنهم أناس ذو حضارة قديمة يحكمون في الأرض ويزرعونها بغرض الحصول على الغذاء وكجزء من طريقة تقليدية في الحياة وهم يتأثرون بسكان المدن الذين يتشابهون معهم في طريقة الحياة ، لكن طريقة الحياة في المدن أكثر تحضراً ، كما أن المدن تشكل بعداً آخر لوجود النسق القروي وهي مجتمعات جزئية ذات ثقافة جزئية .

ويشير Foster معلقاً على كتابات ردفيلد Redfield في مجال القروية قائلاً: إن التعريف الذي وضعه Krober قد أدى إلى ظهور سؤالين هامين هما : (١) ما هو المجتمع الكبير الذي يعتبر المجتمع القروي جزءاً منه ، (٢) ما هي الثقافة التي يعتبر المجتمع القومي جزءاً منها .

ولقد كتب ردفيلد عام ١٩٥٣ يقول إن كلمة Peasant تشير إلى نمط إنساني والقروي يحتاج إلى المدينة حتى تخرج القرية إلى حيز الوجود ولذلك لم يكن هناك قروية قبل ظهور المدن ، لذلك فإن المجتمع الكبير الذي يشكل القروي جزءاً منه هو المجتمع الحضري (Redfield, 1956) .

مفهوم فوللرز L. A. Follers للقروية في (Foster, 1976) : واصل فوللرز الإتجاه الأنثروبولوجي الذي بدأه كروبر وردفيلد من حيث نظرتهم إلى المجتمع القروي على أنه مجتمع تعتبر الوحدات الأولية المكونة له مجتمعات محلية تتميز بأنها شبه إستقلالية وتتميز بثقافات شبة مستقلة أيضاً ولذلك فإنه يمكننا أن نفرق بين المجتمع القبلي والقروي والحضري الحديث . ولقد أوضح فوللرز Follers أن تعريف كروبر للقروية هو أدق التعاريف ولقد أوضح أن مقولته أن القروية مجتمعات جزئية ذات ثقافة جزئية هي جوهر الموضوع ذلك أن ما يميز المجتمع القروي عن المجتمع القبلي هو أن المجتمعات القبلية تتميز بالتجانس والتشابه في الوحدات الأساسية أو الأقسام المكونة لها وخاصةً في البناء الإجتماعي الثقافي . أما المجتمعات القروية كما أشار كروبر فهي متنوعة ومتمايزة سواء من الناحية الإجتماعية أو من الناحية الثقافية ذلك أنه من

الممكن أن تكون القرى متشابهة ولكن هذه القرى ترتبط معاً مع المجتمع الكبير بأنواع من العلاقات البنائية المختلفة ، كما أن هذا المجتمع الكبير الذى ترتبط به القرى يتميز بوجود ثقافة عامة مختلفة متشابهة إجتماعياً وثقافياً إلا أن هناك تفاوت وإختلاف وتمايز وذلك يتوقف على نوعية العلاقات البنائية التى تربط القروية بذلك الشكل وهو المجتمع الكبير (Foster, 1976) .

ولقد إنتقد فوللرز Follers تعريف كروبر للقروية فى موضع آخر حيث أن التعريف لم يميز بين القروية والمجتمع الصناعى الحديث ذلك لأن الوحدات الأساسية البنائية المكونة للمجتمع الصناعى هى أيضاً مجتمعات جزئية ذات ثقافة جزئية ، ولقد أوضح " فوللرز " أن الإختلاف الهام بين القرية والمدينة يكمن أساساً فى طبيعة الوحدات المكونة لكل منهما فبينما الوحدة السكنية Household تشكل الوحدة الأساسية فى مجتمع القرية فإن البناء المهنى فى المجتمع الصناعى الحديث يصبح مركزاً هاماً للتمايز الثقافى والبنائى حيث أن التصنيع يلعب دوراً رئيسياً فى مجال التمايز وإستقلال الأبنية المهنية وهنا يمكن القول أن فوللرز أدخل تعديلات على تعريف كروبر .

ويلاحظ من هذه التعاريف الآتى :

١- إنشغل علماء الإجتماع بتعريف القروية كنمط مجتمعى ولم تبذل محاولات جادة تهدف إلى تحديد المصطلح نفسه حيث أن المصطلح يستخدم بطرق مختلفة من جانب علماء الإجتماع ويرجع ذلك إلى أن تنوع أنماط القروية داخل العالم الإجتماعى كانت عاملاً هاماً فى عدم الإتفاق على مفهوم واحد للقروية .

٢- يتفق كلاً من Ortiz, Woods, Soul فى أن أى تعريف للقروية يجب ألا يجمع معاً كل القرويين فى تصنيف واحد ذلك أن القرويين فى حد ذاتهم وفى داخلهم يمكن أن يكونوا متمايزين ومختلفين فى ضوء بعض المتغيرات البنائية الهامة ، ولذا فمن الممكن أن يكون بين القرويين أنماطاً متعددة تختلف طبقاً لمركزهم البنائى فى زمن معين ولذلك فنحن فى حاجة إلى محكات لكى نميز بين القرويين Peasants وبين الأناس الريفيين Other rural people .

٣- إذا إتفقنا على أن القروية فى عالم اليوم قد فقدت الكثير من خصائصها الرئيسية فما هى العناصر المحددة للقروية فى عالمنا اليوم ؟ إن من الواجب علينا أن نستخدم

شكلاً إجرائياً للمصطلح نستطيع أن نستخدمه فى قياس درجات القروية فى عالمنا الواقعى وهذا يعنى أحد أمرين :

(١) أن نحدد شكل واحد محدد يمكن أن يكون المعيار المحدد للقروية .

(٢) أو أن نحدد تعريف مركب حيث يكون مضمون المقياس ويكون لكل جزء من أجزائه وزن معين .

من هذا المنطلق فقد وضع (Shanin, 1971) تعريف محدد وشامل للقروية على النحو التالى :

إن المجتمعات القروية هي مجتمعات على درجة عالية من التعقيد خاصةً فى بنائها الإجتماعى ، كما أن لها تنظيمات رسمية وبدون فهم وإدراك القرويين ومجتمعاتهم على أنهم نمط معين من البناء الإجتماعى فإن أى دراسة فى هذا المجال تعتبر نوعاً من التخبط . إن تعريف القروية بعامل واحد هو تعريف قاصر وأن أى تعريف للقروية يجب أن يتضمن الأمور التالية :

(١) الأسرة القروية هى الوحدة الأساسية للتنظيم الإجتماعى القروى المتعدد الأبعاد والأسرة وحدها هى التى توفر العمالة فى الأرض ، كما وأن الأرض هى التى توفر الإحتياجات الإستهلاكية للأسرة وتمكنها من الوفاء بالواجبات نحو السلطة السياسية والإقتصادية والنشاط الإقتصادى متداخل مع العلاقات الأسريّة ودوام الأسرة والمزرعة وتفاعلهما المستمر يجعلها الوحدة الأساسية للتنشئة الإجتماعية والملكية .

(٢) الثروة الحيوانية هى أحد الوسائل الرئيسية للحياة المعيشية حيث أنها تمد وتوفر بطريقة مباشرة الجزء الأكبر من الإحتياجات المنزلية الإستهلاكية .

(٣) وجود قدر بسيط من التخصص .

(٤) وجود ثقافة تقليدية محددة ترتبط بطريقة الحياة فى المجتمعات المحلية الصغيرة ، كما أن الدخل القروى يتحدد فى ضوء الخبرة السابقة وإرادة الجماعة ، كما أن المكانة الإجتماعية لهذه المجتمعات وتحديدها بواسطة اخرون من الخارج هى أحد خصائص هذا المجتمع .

ولقد أوضح " شانن " أن هذا النمط لا ينطبق على كافة المجتمعات القروية ذلك أنه داخل المجتمعات القروية هناك إختلافات يمكن حسابها كمياً (عمال زراعة - حرفيين) وهذا يعنى أن الجماعات الهامشية داخل القرى لا يمكن أن تندرج تحت هذا النمط العام .

المبحث الثاني

علم الإجتماع الريفي - النشأة والأهداف

أسباب قيام علم الإجتماع الريفي ونشأته :

١- أوضح " كولب " (Kolb, 1946) أن الإهتمام الخاص داخل علم الإجتماع بظاهرة الريفية قد جاء مصاحباً وكنتيجة للإهتمام العام بالمجتمعات الريفية وفى رأى كولب" أن الأرض والعمل الزراعي والإنسان الريفي وتنظيماته يشكلون الأسس الرئيسية للحياة الريفية ، أما العنصر الإنساني فى الزراعة ويقصد به الريفي وأسرته وتنظيماته ، فلم يلقى نفس القدر من الإهتمام . ويؤكد " كولب " أن دراسة العنصر الإنساني فى الزراعة على درجة كبيرة من الأهمية تعادل أهمية الأرض والمحاصيل ، ومن ناحية أخرى وبالرغم من أن الريفية قديمة قدم الحضارة ذاتها وتشكل الجزء الأكبر من سكان العالم ، إلا أننا ما زلنا فى حاجة إلى أن نتعلم ونعرف الكثير عن الريفيين ، قيمهم ومشاكلهم وحياتهم العائلية .

٢- تتعرض المجتمعات المحلية حالياً لقوى التحديث والتحضر وأصبح هناك تأثيراً متزايداً للحضارة الغربية والتكنولوجيا الحديثة على حياة الريفيين وفى هذا المجال أوضح تيودور شانن (T. Shanin, 1971) أن إنتشار علاقات السوق والتوسع فى التبادل، وظهور إقتصاد النقد ، قد حول تدريجياً الأسرة القروية إلى الطبيعة الرأسمالية ، وقد تطلب ذلك إختفاء خصائص معينة وظهور خصائص أخرى كالتخصص وتقسيم العمل ، كما أن التحضر والتصنيع وزيادة المعرفة والثقافة العامة عن طريق وسائل الإتصال قد ساعد على تحطيم الخصائص الرئيسية التقليدية للثقافة الريفية وما تتميز به من خصائص ، وقد دفع ذلك علماء الإجتماع فى شتى أنحاء العالم إلى إجراء العديد من الدراسات التى تهدف أساساً إلى بيان نواحي التغير التى لحقت بالمجتمعات الريفية .

والواقع أن هذا الإهتمام العالمي بقضية الريفية قد وجد له صدى في المنطقة العربية بصفةٍ عامة وفي مصر بصفةٍ خاصة ، أما على المستوى العربي فقد أرجع عبد اللطيف لطفية (Lutfia, 1966) أهمية دراسة القرية في العالم العربي إلى الأسباب الآتية :

أ - إهتمام الدول المتقدمة بالحياة في القرية العربية ووجود شعور نامي لدى حكومات الدول العربية بأن القرويين يشكلون الغالبية العظمى من السكان ومن الممكن الإعتماد عليهم في الكثير من أمور التنمية .

ب - محاولة بعض الدارسين التعرف على أثر التكنولوجيا الغربية والفكر الغربي على المنطقة العربية .

جـ - ظهور إتجاه قوى وعام في الدول العربية يشجع البرامج التعليمية والدراسات العليا التي تهدف إلى دراسة المجتمعات الريفية ، وقد دعم من ذلك التوسع في إنشاء الجامعات ومراكز البحوث .

هذا وتجدر الإشارة إلى أن الإهتمام بالمجتمعات الريفية من جانب علم الإجتماع قد نمى منذ بدايات القرن العشرين . وفي الغرب فقد نشأ علم الإجتماع الريفي في الولايات المتحدة الأمريكية ، ولعل سوروكن وزيمرمان Zimerman ، Soroken من أبرز علماء الإجتماع الأمريكيين الذين ساهموا في نشأة هذا العلم المتخصص ، حيث أوضحا أن علم الإجتماع الريفي هو علم إجتماع من نوع خاص وأن المهمة الأساسية لعلم الإجتماع الريفي هي دراسة ووصف السمات والعلاقات العامة للعالم الإجتماعي الريفي كعالم متميز عن العالم الإجتماعي الحضري ، هذا وقد أوضح Sims أن مجال علم الإجتماع الريفي هو دراسة الرابطة بين الناس الذين يعيشون ويعتمدون على الزراعة أساساً . ولذلك فإن القرية وأنماط السلوك المرتبطة بها كشئ متميز عن المجتمعات الحضرية الكبيرة تشكل إهتمام علم الإجتماع الريفي .

أما " أندرسون " و " أشبورن " فقد جعلا ميدان علم الإجتماع الريفي دائماً محدداً بجماعة مهنية محددة وهم الزراع ، ولذا فإن علم الإجتماع الريفي دائماً ما يعقد مقارنات بين الزراع كجماعات مهنية ريفية وبين الجماعات المهنية الأخرى .

إن ظهور علم الإجتماع الريفي في واقع الأمر وتناوله للريفية بالدراسة يشبه علم الإجتماع العام فهو لا يركز الإهتمام على السمات المميزة لأى مجتمع فردى فى زمن ما ، ولكنه يركز على الخصائص والسمات والعلاقات التى تخص وتحدد العالم الإجتماعى الريفى بصفة خاصة كطابع مميز للحياة الريفية فى مقارنتها بالحياة الحضرية .

وفي ضوء ذلك ووفقاً لما ذهب إليه " سوروكن Soroken " فإن علم الإجتماع الريفى يتميز عن علم الإقتصاد الزراعى أو علم السياسة القروى ، وأى علم آخر من العلوم الإجتماعية التى تتعامل مع مشاكل القرية ، حيث أن علم الإجتماع الريفى لا يعزل الظاهرة موضوع الدراسة عن بقية الظواهر الأخرى فى المجتمع ، وإنما يدرس الظاهرة فى تفاعلها المستمر والدائم مع بقية الظواهر . هذا وقد أوضح " سوروكن " أن علم الإجتماع الريفى يجب أن يدرس كل الإختلافات الهامة الدائمة بين كلٍ من الريفية والحضرية كظواهر إجتماعية وذلك إلى جانب شرح وتفسير هذه الإختلافات .

والواقع أن " سوروكن " و " زيمرمان " قد حددا منذ البداية أن علم الإجتماع الريفى هو أساساً علم نظرى تطبيقى ، وأن إعادة بناء الحياة الإجتماعية فى القرية تشكل الهدف الرئيسى لدراسته ، وأن وصول علم الإجتماع الريفى إلى مرحلة النظرية والتطبيق يتم من خلال تكوين وتنمية نظرية علمية حقيقية حتى يصل إلى تكنولوجيا ريفية إجتماعية .

* هذا ويمكن تعريف علم الإجتماع الريفى بأنه العلم الذى يهتم أساساً بدراسة وصف وتحليل العلاقات القائمة بين الجماعات الإنسانية التى تعيش فى بيئة ريفية ، شأنه فى ذلك شأن أى فرعٍ آخر من فروع علم الإجتماع العام . كعلم الإجتماع العائلى والسياسى والدينى .... إلخ. ويمكن تعريفه أيضاً " أنه الدراسة العلمية للسكان الريفيين والعلاقات القائمة بينهم " أو بعبارة أخرى هو العلم المعنى بدراسة أهل الريف وما تربطهم من صلات وتلك التى تربطهم وغيرهم من السكان الريفيين . وكما أن علم الإجتماع الحضرى يتناول دراسة الجماعات الإنسانية والإنساق الإجتماعية الكائنة فى المجتمع الحضرى ، فإن مادة دراسة علم الإجتماع الريفى تتناول وصف وتحليل الجماعات المختلفة التى تعيش فى البيئة الريفية ، كذلك يمكن القول بأن علم الإجتماع الريفى هو فرع لعلم الإجتماع يتناول دراسة البنيان الإجتماعى الريفى .

تطور دراسات علم الإجتماع الريفى :

بالرغم من التطور السريع لعلم الإجتماع الريفى إلا أنه علم حديث النشأة ، ومن الناحية التاريخية فلقد تأصل هذا العلم فى الولايات المتحدة الأمريكية وإنتشر منها إلى بقية البلدان . وتُعتبر فترة الإستقلال فى المجتمع الأمريكى وهى الفترة من ١٨٩٠ - ١٩٢٠ وهى الفترة التى كان المجتمع الأمريكى يعانى فيها من فساد واضح ظهر نتيجة له تراث هام يصف ويحلل تلك المشكلات ومع أن هذا التراث لم يكشف عن ويصوغ قوانين تحكم حركة التنمية بالمجتمع الريفى إلا أنه عمل فى الوقت نفسه على خلق الشروط التى عملت على ميلاد علم الإجتماع الريفى .

ويعتبر تقرير تيودور روزفلت Theodore Rosevelt سنة ١٩٠٧ عن الحياة الزراعية بمثابة أول عمل له قيمة فى هذا الموضوع ، كما كانت هناك مجموعة من الأعمال العلمية التى قامت على دراسة المجتمع الريفى المحلى وخاصة مشكلات الحياة الريفية ، كما إهتم عدد من الباحثين كأفراد ببحث سوء التكيف فى الحياة الريفية . وكان هذا التراث بمثابة قاعدة قيام علم الإجتماع الريفى فى الولايات المتحدة الأمريكية . ولقد قامت لجنة بحوث الحياة الريفية بإشراف دين بايلى بإستيفاء ٥٠٠,٠٠٠ إستمارة إستبيان عن المزارعين والقادة الريفيون وصل منها ١٠٠,٠٠ إستمارة وعلى أساس هذا البحث قامت اللجنة بنشر نتائجها فى تقرير حاولت فيه تحليل ومناقشة عيوب المجتمع الريفى ومشاكله ، ويعتبر هذا التقرير وبحق أساس علم الإجتماع الريفى (سيد أحمد ، ١٩٨٤) .

ويقول (عودة ، ١٩٨٢) إن دراسات علم الإجتماع الريفى ظلت ومنذ بداية نشأته فى بداية هذا القرن تمثل إنعكاساً حقيقياً لواقع المجتمعات الأمريكية على أنه يمكن تصنيف عمل أصحاب هذا التيار تصنيفاً مبدئياً إلى أربعة نماذج من الإسهامات على النحو التالى :

١- دراسة جوانب المجتمع الريفى المستقرة والمتغيرة .

٢- التحليل التصورى والصياغات النظرية .

٣- تطوير مناهج البحث وتنميتها .

٤- الإسهام فى وضع سياسة عامة للحياة الريفية .

ولقد إحتل علم الإجتماع الريفى فى أمريكا مكاناً بارزاً خلال الثلاثين عاماً الماضية ونال إعترافاً واسعاً حتى أنه حظى بوضع متميز مقارنةً بغيره من العلوم حيث ولفترة طويلة ظل فرعاً داخل أقسام الإقتصاد الزراعى بكليات الزراعة . وفى أحيان أخرى تواجد مع علم الإرشاد الزراعى وفى مرحلة أخيرة ظهر كقسم منفصل فى كليات الزراعة ، كذلك فلقد إرتبط علم الإجتماع الريفى بأقسام الإجتماع داخل كليات الآداب .

ويمكن تصنيف دراسات علم الإجتماع الريفى فى أمريكا وفق ثلاث مراحل : (ندا ، ١٩٨٤)

١- المرحلة الأولى (١٩٢٦ - ١٩٤٥) : وهى التى عكست حقيقة إهتمامات هذا العلم حيث إنشغل العلماء فى ذلك الوقت بوضع الأسس المنهجية والمبادئ العلمية لدراسات هذا الفرع الإجتماعى الجديد ، ولذا فلقد حاولت كتابات كلاً من جون جيليت John Gillette عام ١٩١٢ وسوروكن وزيمرمان Sorokin, Zimerman عام ١٩١٩ وكارل تايلور Carl Taylor عام ١٩٣٣ ولينين سمث Lynn Smith عام ١٩٤٦ أن تعكس إهتمامات العلماء فى تلك المرحلة . وتجدر الإشارة إلى أن نشأة علم الإجتماع الريفى جاءت كرد فعل لنمو وإزدهار الحضرية والدراسات المرتبطة بها فى الغرب حيث كان فى بداية نشأته يركز ويهتم بسسيولوجيا الزراعة كمهنة أكثر من كونها كيان إجتماعى ، ولقد كان أهم ما يميز دراسات هذا العلم فى تلك المرحلة هو وصف وتحليل الخصائص العامة الرئيسية المميزة للبناء الإجتماعى الريفى ، ويلاحظ أن الفترة ما بين عامى ١٩٢٦ - ١٩٤٥ وهى فترة الأزمات والكساد الإقتصادى والحرب العالمية الثانية قد ترتب عليها مشكلات عديدة عانى منها المجتمع الريفى الأمريكى وأثرت فى إهتمام المتخصصين فى دراساته . وفى هذه المرحلة بالذات بدأ الإهتمام الفيدرالى والمنظم ببرامج البحوث الريفية ومشروعات العمل فى الريف .

٢- المرحلة الثانية (١٩٤٦ - ١٩٥٥) : ولقد شهدت هذه المرحلة نمو وإزدهار الدراسات الريفية السوسيولوجية خاصةً بعد تحول إهتمامات الأنثروبولوجيا الإجتماعية نحو هذه المجتمعات ، ولقد كان كروبر Krober من أوائل الأنثروبولوجيين الذين لفتوا الإنتباه إلى دراسة ظاهرة الريفية وإن كان قد أطلق عليها Peasantry وجعلها أحد الميادين الأساسية للدراسات الأنثروبولوجية الإجتماعية ولقد كان أهم ما يميز هذه

المرحلة أنها جاءت لتعكس واقع المجتمعات الريفية والتى شهدت تغيرات إجتماعية نتيجة لتعرضها لقوى التحديث والتأثيرات الحضرية . والمتتبع للتراث النظرى السوسيولوجي يمكنه للوهلة الأولى أن يبرر هذا الكم الوافر من الدراسات السوسيولوجية فى مجال عمليات التغير الإجتماعى التى شهدتها هذه المجتمعات ، ولعل من أبرز تلك الدراسات دراسة مارتن يانج M. Yang فى المجتمعات الريفية الصينية يونج John Young بالمجتمعات الريفية فى تايلاند ودراسات كلاً من أوسكارلويز Oscar Lewis وبيلز A. Boals وديوب S. C. Dube فى المجتمعات الريفية الهندية ودراسات جون إمبرى Embree فى المجتمعات الريفية فى اليابان ودراسات روبرت ردفيلد Rodfield بالمجتمعات الريفية فى الهند والمكسيك ودراسات إيفرت روجرز Evertt Rogers عن أثر التكنولوجيا بالمجتمعات القروية وفى المنطقة العربية تعتبر دراسات ريتشارد أنتون R. Antoon وعبد الله لطفية Lutfia فى الأردن ، فؤاد خيرى Khuri فى لبنان من أبرز هذه الدراسات . أما فى المجتمعات الريفية فى مصر فلقد كان كتاب " الأب عيروط " يمثل نوعاً من الدراسات الوصفية الأنثوجرافية للحياة الريفية فى مصر . أما الدراسة العلمية المنظمة للمجتمع الريفى المصرى فلقد جاءت مصاحبة لدراسات وأبحاث علماء الإجتماع المصريين "حامد عمار" و "عاطف غيث" و " فتح الله هلول" و "جامع" وهى التى تناولت عمليات التغير الإجتماعى التى تعرض لها المجتمع المصرى .

ولقد كان الإهتمام الأساسى لهذه الدراسات هو بيان نواحى التغير التى تعرضت لها هذه المجتمعات إلى جانب ذلك كله كان هناك إتجاه آخر من الدراسات السوسيولوجية يعمل على بيان أثر التكنولوجيا الحديثة .

٣- المرحلة الثالثة (١٩٥٦ -) : وهى تلك المرحلة التى صاحبت نمو وإزدهار الحياة الحضرية (خاصةً فى الغرب) وزيادة معدلات التفاعل والإندماج بين المجتمعات الريفية والحضرية .

ولقد إنعكست آثار هذا الوضع على دراسات كل من علم الإجتماع الريفى وعلم الإجتماع الحضرى والذى تمثل فى نمو ظواهر إجتماعية تمثل خليطاً من خصائص الريفية والحضرية بنسب متفاوتة ، تلك الظواهر هى ظاهرة تريُّف المدن وظاهرة تحضُّر الريف .

لقد لاقت ظاهرة تحضر القرية أو إكتساب المجتمع الريفى لخصائص حضرية إهتماماً كبيراً من جانب رواد علم الإجتماع الريفى خاصةً فى الولايات المتحدة وقد ساعد على نمو هذه الدراسات نمو وإزدهار الحياة الريفية ، وتعتبر أهم الدراسات التى تناولت هذه الظاهرة دراسات هوربرت جانز Hrbert Gans فى كتابه القرويون المتحضرون Urban Villagers ودراسات أندريه سيميك Andrei Simic ومن قبلها كانت كتابات لى تايلور Lee Taylor والتى تناولت المجتمع الريفى فى علاقته بالمجتمع المتحضر وذلك فى كتابه Rural Life and Urbanized Society كما أن ظاهرة " تريف المدينة " قد تناولها العديد من الدارسين نذكر منهم دراسات روبرت بريان Robert Bryan عن مدن القرويين Citics of Peasants ودراسات جانيت أبو اللغد عن ظاهرة تريف المدن فى مصر وخاصة فى مدينة القاهرة ;

وكما يقول عودة ، ١٩٨٢ ، إن المرحلة بين عامى ١٩٥٦ ، ١٩٦٥ تعكس مرحلة الإستقرار والرخاء الإقتصادى التى أثرت فى المجتمع الأمريكى ككل والزراعة المصنعة والزراعة لبعض الوقت ونمو الضواحى وإرتفاع مستوى المعيشة والتقلص الكبير لسكان المزارع .

وتعكس هذه المرحلة العلاقة بين علم الإجتماع الريفى من ناحية وعلم الإجتماع الحضرى من ناحيةٍ أخرى . إن المتتبع للتراث السوسيولوجى فى مجال تحديد خصائص معينة تتعلق بالأنماط الإجتماعية الرئيسية لكل من الريفية والحضرية يمكنه أن يميز ثلاث مراحل رئيسية مرت بها هذه الدراسات هى :

أ - المرحلة التى تميزت بسيطرة الريفية كطريقة فى الحياة وإنحصار حياة الحضر فى داخل عدد محدود من المدن المغلقة أو المسورة .

ب - المرحلة التى تميزت بنمو وإزدهار الحياة الحضرية وخاصة عند منتصف القرن الثامن عشر فى غرب أوروبا وأمريكا مما فتح المجال أمام علماء الإجتماع فى الغرب وظهور نظريات متعددة فى مجال التفرقة بين الريفية والحضرية تلك التى تبلورت فى نظريات النماذج المثالية Ideal types والثنائيات الإجتماعية Social Dichotomies خاصة كتابات لويز رث Lewis Wirth عن خصائص الحضرية كطريقة للحياة وكتابات روبرت ردفيلد Robert Kodfield عن خصائص المجتمع الشعبى القروى .

جـ - مرحلة نمـو وإزدهار الحياة الحضرية والإنفتاح المتبادل بين ظاهرتى الريفية والحضرية . ولقد إنعكس ذلك على نظريات علم الإجتماع وظهرت نظرية المتصل الريفى الحضرى وهى تلك النظرية التى ظهرت مصاحبة للإنتقادات الشديدة التى وجهت إلى نظريات النماذج المثالية والثنائيات الإجتماعية .

مجالات وأهداف علم الإجتماع الريفى : يقول (هلول ، ١٩٨٥) فـى محاولة لتحديد مجالات وأهداف علم الإجتماع الريفى أن هذا العلم يختص بدراسة الظواهر الإجتماعية المتكررة الناشئة عن العلاقات الإنسانية بالمناطق الريفية فهو يتناول دراسة الجماعات والمنظمات والمؤسسات والتجمعات والوحدات البيئية الريفية من حيث نشأتها وتطورها وكيفية تكوينها ووظائفها وعلاقتها بعضها ببعض كما يهتم هذا العلم بوجه خاص بدراسة التنظيم الإجتماعى والأنظمة الإجتماعية فى المجتمع الريفى وعلاقته المتبادلة مع المجتمع الحضرى والمجتمع العام ويتم ذلك عن طريق دراسة البيئة والثقافة والسلوك الإنسانى فضلاً عن الدراسات الديموجرافية التى لها مكانتها الهامة ، وهو كعلم أكاديمى يستهدف أساساً جمع المعارف المتعلقة بالظواهر أى إكتشاف الحقائق التى لا يراها الإنسان العادى بمجرد الملاحظة العابرة ويحاول الربط بين هذه الظواهر والتنبؤ بسلوكها تحت الظروف المعينة وذلك حتى يتيسر السيطرة عليها لغرض الصالح العام .

ويسعى علم الإجتماع الريفى كعلم تطبيقى إلى إكتشاف الحقائق المتعلقة بالمشاكل الإجتماعية الريفية وذلك رغبةً فى التوصل إلى حلول سليمة لتلك المشاكل ، ولقد أوضح كارل تايلور أهمية هذا الجانب التطبيقى بقوله " إن علم الإجتماع الريفى لم ينشأ أساساً عن رغبة فى إقامته كعلم أكاديمى ولكنه نشأ على أيدى مديرى برامج العمل الذين كانوا مقتنعين بأنهم فى حاجة إلى مزيد من المعارف المجتمعية التفصيلية لأجل أن يشجعوا ويوجهوا التقدم فى بعض المؤسسات الإجتماعية الأساسية . ويظهر هذا الربط بين الجانب الأكاديمى والتطبيقى فى أسلوب عمل هذا العلم داخل كليات الزراعة الأمريكية .

ويقول (غيث ، سيد أحمد ، ١٩٨٧) أن بونـز يحـدد موضوعـات علـم الإجتمـاع الريفى فى الآتى :

أ - أيكولوجيا القرية والتى تهتم بدراسة أنماط المناطق الريفية وأنماط المسكن ومناطق التجارة والمعاملات والخدمات .

ب- التركيب الديموجرافى للسكان الريفيين .

جـ- طبيعة الهجرة الريفية - الحضرية وأسبابها ومصاحباتها .

د- الفروق الريفية - الحضريـة مـع التركيز علـى الخصـائص السـكانية والعمليـات الحيوية كالمواليد والوفيات والذكاء والإتجاهات .

هـ- مستوى المعيشة داخل التدرج الإجتماعى الإقتصادى .

و- العلاقات الإجتماعية داخل المجتمع المحلى بما يحويه من جماعات إجتماعية .

ز- بناء النظم الإجتماعية كالتعليم والدين والسياسة .

ح- الأسرة والقرابة والزواج .

ط- الفروق المهنية والتدرج الإجتماعى .

ى- العلاقات الريفيـة الحضريـة وتـأثير زيـادة تحضـر المجتمـع الريفـى علـى مكوناتـه المختلفة .

ويقول نفس الباحثين أنه على الرغم من عدم وجود نظرية متميزة لعلم الإجتماع الريفى إلا أنه يمكن الإشارة إلى أن ما يتم إنجازه من دراسات وبحـوث يمكـن تصنيفها فى خمسة فئات :

١- مجموعة الدراسات التى إعتبرت الريفية متغير مستقل .

٢- الدراسات المقارنة للمجتمعات الريفية .

٣- دراسات كان الإهتمام فيها مركزاً على تحليل الأنساق الإجتماعية .

٤- دراسات إهتمت بالتغير الإجتماعى فى المجتمع الريفى .

٥- الإهتمام بالفروق الريفية الحضرية .

المبحث الثالث

الأسس النظرية والمنهجية لعلم الإجتماع الريفى

أولاً : الإتجاهات النظرية الأساسية التى ميزت دراسات علم الإجتماع الريفى

يعكس ما يحتويه أى علم من نظريات وقوانين مدى تقدم هذه العلم وتميزه عن غيره من العلوم ، ولقد حقق علم الإجتماع العلم رغم حداثته النسبية قدراً لا بأس به من التميز بين غيره من العلوم ، لذا فإن المشتغلين بعلم الإجتماع الريفى ونظراً لأن ميدان عملهم الأساسى هو القرية وهى نمط عالمى ذات بناء إجتماعى حاولوا صبغ دراساتهم بطابع نظرى وميدانى معاً وربط بحوثهم بنظريات علم الإجتماع العام ومحاولة الخروج بتعميمات من دراساتهم الميدانية وفى هذا المجال فلقد أوضح (Shanin, 1971) أن هناك أربعة إتجاهات رئيسية كان لها تأثيرها على إتجاهات الدارسين فى هذا العلم وهى:

١- النظرية الطبقية عند ماركس : حيث أن الفكر الماركسى فى تحليله الطبقى يتناول القرية فى ضوء علاقات القوة وربما يرجع ذلك إلى طبيعة نمط الملكية الزراعية خاصةً فى مرحلة ما قبل الرأسمالية حيث ينظر إليهم على أنهم المنتجون المكبوتون.

٢- النمطية الإقتصادية المحددة : وهذه النظرية ترتبط كذلك بالفكر الماركسى من حيث نظرته إلى أن العامل الإقتصادى هو الذى يشكل البناء الفوقى لأى مجتمع ، وإن كان يمكن تتبع آثار هذا الفكر أيضاً لدى بعض العلماء الآخريين مثل فاسيل شاكوف Vasil Chaicov وهذه النظرية تنظر إلى الريفية وبناؤها الإجتماعى على أنها محددة بنمط معين من الإقتصاد .

٣- الإتجاه الإثنوجرافى الثقافى : تُعد دراسة المجتمع الريفى من الملامح الأساسية لدراسات الأنثروبولوجيا فى القرن العشرين ولقد تحول الإهتمام فى الأنثروبولوجيا الإجتماعية منذ أوائل الخمسينيات من الدراسات البدائية إلى الدراسات الريفية وخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية والتى إهتمت إهتماماً شديداً ولأغراض سياسية أساساً بالبلاد الريفية التقليدية النامية . إن تيار الأنثروبولوجيا الريفية يمكن رده إلى أثر الأنثروبولوجيا الإجتماعية والثقافية والإتجاه الوظيفى منها وإلى تقاليد مدرسة شيكاغو التى بلورها روبرت ردفيلد ، ولقد خلص ردفيلد من دراساته للمجتمعات الريفية فى

أمريكا الوسطى إلى فكرة النموذج (Tgpology) التى يمكن أن يفسر بها عملية التطور الحضارى . وتُعرف هذه النظرية بإسم الإستمرار من البدائى إلى المدنية (Folk-Urban Contineus) حيث إتخذ من ذلك النموذج البدائى نقطة تبدأ منها عملية تطور الحضارات والمجتمعات الإنسانية .

وعندما إهتم الأنثروبولوجيين بالدراسات الريفية إتجهوا إلى دراسة الريفيين لا فى مضمونهم الإقتصادى أو التاريخى كما كان متبعاً من قبل فى كثير من الدراسات الريفية وإنما فى مضمونهم الثقافى الكلى متأثرين فى ذلك بإتجاهاتهم نحو الدراسة الكلية للثقافة أو المجتمع التى لا تعنى دراسة كل شئ وإنما تقصد دراسة أى شئ (كالسمة الثقافية أو النظام الإجتماعى مثلاً) فى ضوء علاقته بالأشياء الأخرى (غيث ، ١٩٨٧).

٤- الإتجاه الدوركايمى الذى طوره " كروبر " : نشأ هذا الإتجاه أساساً لدى دوركايم وهو يتمثل فى تلك الثنائية التى مثلها دوركايم ومن هم من جيله (تونيز ، ميد) حيث يقسمون المجتمعات إلى تقليدية وعضوية وذلك إعتماداً على مبدأ تقسيم العمل . وفى مرحلة لاحقة فإن كروبر Krober وضع المجتمعات الريفية فى مكانة متوسطة حيث إعتبرها مجتمعات جزئية ذات ثقافة جزئية حيث أن مجتمع القرية هو تقسيمات جزئية مفتوحة فى مجتمع المدينة أو المركز وقد تلى ذلك أن طور ردفيلد هذا الفكر وأصبح حجر الزاوية فى فهم هذه المجتمعات .

ثانياً : المناهج المستخدمة فى دراسة الريفية وخصائصها

يذكر (ندا ، ١٩٨٤) أن سوروكن وزيمرمان يُعدان من أبرز رواد علم الإجتماع اللذان تناولا موضوع المناهج المستخدمة فى دراسة الريفية حيث أوضحا أن الريفية والحضرية كظواهر إجتماعية هما ظواهر إجتماعية معقدة ومتشابكة ولذا فإن وضع تعريف أو مفهوم الريفية أو الحضرية إعتماداً على عامل واحد مثل حجم السكان أو كثافة السكان لن يعطى مفهوم واضح متميز ومعتدل علمياً حيث أن المفهوم الكامل يجب أن يضع فى الإعتبار ليس مجرد إختلاف خاصية واحدة ولكن ذلك يقتضى وجود عدد من العوامل التى ساهمت فى وجود هذه الإختلافات ولذا أكد سوروكن أنه يفضل إستخدام التعريف المركب والبعد عن التعاريف ذات السمة الواحدة ولقد عددت كتابات سوروكن وزيمرمان الأسس المنهجية فى دراسة الريفية مقابل الحضرية فى الآتى :

١- لما كانت دراسة المجتمع الريفي المحلي تتطلب من الباحث السوسيولوجي أن يتعامل مع كم هائل من العوامل والعمليات التي يتعرض لها المجتمع الريفي فعليه أن يكون محدداً منذ البداية عالماً العوامل والعمليات التي سيقوم بدراستها ، ذلك أن الباحث السوسيولوجي مهما كانت درجة إعداده وخبرته ليس مؤهلاً للتعامل مع كل هذه العوامل والعمليات بطريقة كافية .

٢- إن مراجعة التراث السوسيولوجي لهو على درجة كبيرة من الأهمية للباحث السوسيولوجي ولكن ليس معنى هذا أن نأخذ بالنظريات التقليدية أو الكلاسيكية في دراسات علم الإجتماع ، تلك النظريات التي كتبت منذ أكثر من نصف قرن حيث أن خصائص المجتمعات الريفية في الوقت الذي كتبت فيه هذه النظريات تختلف عن خصائصها الحالية فمثلاً كتابات ردفيلد عن المجتمعات الريفية لا تتفق وواقع هذه المجتمعات حالياً .

٣- إن طبيعة وخصائص المجتمعات الريفية المحلية حالياً تختلف عما ذهب إليه رواد علم الإجتماع الأوائل في كون هذه المجتمعات تتميز بالعزلة والثبات على العكس من ذلك فإن النظرة المنهجية إلى المجتمع الريفي تتفق مع ما ذهب إليه (Kloss & Arensberg, 1976) في النظر إلى المجتمعات الريفية المحلية على أنها وحدات أساسية تنظيمية إنتقالية داخل المجتمع الكبير وثقافته .

٤- إن أي محاولة تهدف إلى عرض ما يحدث حالياً للمجتمعات الريفية لا بد وأن تضع في الإعتبار المضمون الإجتماعي والإقتصادي الذي يشكل الإطار المرجعي الذي من خلاله يأخذ الريفي قراراته ، كما يجب أن يضع في الإعتبار الوسط الإعلامي وتدفق الأحداث على المستوى القومي والعالمي لتشكل في النهاية قوى حقيقية تؤثر على حياة الريفي وعلى وسائل المعيشة لديه ، كما أن فهم الريفية يتطلب عرضاً للوحدات الإنتاجية التي يوفر من خلالها الريفي وسائل المعيشة والظروف التنظيمية داخل المجتمع ونواحي الصراع الذي يتولد نتيجة الأدوار المتعددة التي يرتبط بها بقدر من الواجبات المتعددة كما أن فهم الريفية يتطلب فهم العلاقات الإقتصادية التي ترتبط بالعلاقات الإنتاجية .

٥- يتفق كل من (Beares, 1975 & Klass, 1978) على ألا تتم دراسة المجتمع الريفي في عزله عن مجتمعه القومي وعما يدور حوله ذلك أن الضغط الذي

يمارسه المجتمع الصناعي على جماعات الأرض الريفية وأثر إقتصاد السوق على إنتاج الريفي وعلى إستهلاكه وعمالته يجب أن نضمه في الإعتبار .

٦- يجب على الباحث السوسيولوجي أن يضع في الإعتبار الأحداث التاريخية التي يمر بها مجتمع القرية حيث أن التاريخ هو نتاج معقد لعدة ظواهر فهو يتضمن البيئة الطبيعية والعلاقات الإقتصادية في مجال الإنتاج والإستهلاك وتنظيم العلاقات والقيم داخل البناء الإجتماعي ، والأكثر من ذلك الأيديولوجيا السياسية التي ينظم الفرد حياته من خلالها ، ولقد أوضح فورمان Forman أن الأحداث التاريخية التي مرت بها المجتمعات الريفية في أمريكا اللاتينية (إستعمار - إقطاع - ثورات) تلعب دوراً أساسياً في تفسير طبيعة العلاقة التي تربط الريفي بالعديد من الأنساق الإجتماعية .

٧- أوضح (Foster, 1976) أن إكتساب المجتمع الريفي لخصائص جديدة يرتبط بنواحي تتعلق بالفرد الريفي ونواحي أخرى تتعلق بمجتمع القرية في علاقاته بالمجتمع القومي ولذا فعلى الباحث أن يضع في إعتباره النواحي الآتية :

أ- شخصيات أفراد المجتمع ونظرتهم إلى الظروف التي تحكم الحياة والطرق التي يستجيبون بها نحو الأحداث إلى جانب الأشكال الإجتماعية التي تقوم عليها علاقاتهم سواء بينهم وبين بعض أو بينهم وبين العالم الخارجي والمجتمع الكبير والأشكال الثقافية الأساسية التي تحدد القيم التي يتبعها السكان ولقد أطلق فوستر على كل هذا العوامل الإجتماعية الثقافية النفسية .

ب - البيئة الأيكولوجية للمجتمع الريفي والوسيلة الإنتاجية والدعم الأساسي والفرص المتاحة التي يوفرها المجتمع الكبير للقرية مثل المواصلات والخدمات الفنية والتسهيلات المصرفية والتعليم والصحة وهو ما أطلق عليه فوستر العوامل الإقتصادية والتكنولوجية .

ففوستر يركز على أن هناك مدخلين لدراسة إكتساب مجتمع القرية لخصائص حضرية ، المدخل الأول من خلال الفرد وهنا يركز فوستر على المجدد In[illegible]tor وهو الشخص الذى يبدأ لأول مرة في إستخدام جديد ، أما المدخل الثاني فهو من خلال الثقافة القومية حيث أن هذا المدخل يركز على العمليات

الديموجرافية الأساسية ومشاكل تراكم رأس المال والتصنيع والإدارة العامة التى تفرض نفسها على كل مجتمع .

٨- أشار (Oscar Lewis, 1975) من خلال دراساته الميدانية التى أجراها فى شمال الهند عام ١٩٥٢ والتى شملت ٣٠ قرية إلى أن هناك ١٥ عاملاً يجب أن يضعها الباحث فى الإعتبار عند دراسته لمجتمع القرية وأهم هذه العوامل من وجهة نظره هى التركيب المهنى وحجم السكان والموقع ومدى توافر التعليم ودرجة العزلة ومدى توافر الخدمات الصحية ومدى توافر الخدمات الحكومية إلى جانب الرى وهذا بالنسبة للقرية بصفة عامة ، أما بالنسبة للعاملين بالزراعة فلقد أشار لويس إلى أهمية دراسة حيازة الريفى من الأرض الزراعية ومشاكل الزراعة والميكنة الزراعية والحيوانات .

الفصل الثاني

الفروق الريفية الحضرية وملامح الحياة الريفية

المبحث الأول : المجتمع المحلي

لما كنا بصدد مراجعة التراث السوسيولوجي فيما يتعلق بنظريات علماء الإجتماع وكتاباتهم عن خصائص المجتمعات المحلية خاصةً نظريات النماذج المثالية والثنائيات الإجتماعية ونظرية المتصل الريفي الحضري فإن الأمر يتطلب أولاً البحث عن ماهية المجتمع المحلي .

وسنتناول فيما يلي عدداً من تعاريف المجتمع المحلي لمجموعة من علماء الإجتماع :

المجتمع المحلي

لقد حدد أندرسون (Anderson, 1965) خصائص المجتمع المحلي على النحو التالي :

١- جمع من الناس تم تنظيمهم في علاقات وظيفية هامة .

٢- المجتمع المحلي يحتل منطقة جغرافية معينة .

٣- العلاقات بين الأفراد قد تكون أولية قوية أو ثانوية غير شخصية أو مركب من الإثنين .

٤- أن خاصية المجتمع المحلي من الممكن أن تُحدد بواسطة عدد وأنماط الأفراد الذين يعيشون فيه واضعين في الإعتبار طرق معيشتهم ، ومهما كانت طرق المعيشة في المجتمع المحلي ، فإن السلوك الجمعي لكافة الأفراد من الممكن أن يتميز بأنماط الإعتماد المتبادل بطريقة كاملة ، وذلك لإشباع إحتياجات العمل والمعيشة .

٥- أن حياة ومعيشة وتنظيم المجتمع المحلي توفر العديد من الفرص للمشاركة الإجتماعية ، وأنماط أخرى من المشاركة ، كما أنه غالباً ما نفترض أن التنوع والتمايز يتزايد مع زيادة حجم المجتمع المحلي .

٦- أن المجتمع المحلي عبارة عن ظاهرة مستمرة خلال الزمن ، تتغير من خلال إستمراريتها ، وهو عبارة عن كل الخبرة ، والمعرفة ، والمهارة لدى الأفراد الذين يعيشون فيه .

إن أهم ما يميز مفهوم " أندرسون " عن المجتمع المحلي هو الموضوعية والواقعية والشمول ، فهو تعريف لم يقتصر على نمط محدد من المجتمعات المحلية مثل المجتمعات الريفية أو الحضرية وإنما كان مفهوماً شاملاً ينطبق على المجتمع المحلي الحديث وذلك في إشارته إلى أن العلاقات داخل المجتمع المحلي قد تكون أولية قوية أو ثانوية غير شخصية أو مركب من الإثنين . إلى جانب ذلك فقد أوضح أن خصائص المجتمع المحلي غير ثابتة ، وإنما هي متغيرة على مر الزمان خاصةً مع زيادة حجم المجتمع المحلي .

نقطة أخرى أوضحها كلٌ من " أندرسون " و " أشورارن " فيما يتعلق بمفهوم المجتمع المحلي ، وهي تتعلق بالعناصر المكونة للمجتمع المحلي ، وهي الناس أو الأفراد ، والتنظيم الخاص بهم وملكياتهم ، ولذلك فإن الأفراد بدون تنظيم لا يكونون مجتمعاً محلياً ، حيث أن ذلك من الممكن أن يكون نوعاً من الزحام كما أنه بدون الأفراد والتنظيم فإن الملكية لا معنى لها ، بمعنى آخر فإن المجتمع المحلي هو عبارة عن تصور كلي أو تصور جمعي في عقول الناس . بالرغم من أنه من الجائز أن يكون لكل فرد تصورة الخاص بالمجتمع ، المهم أن إجمالي هذه التصورات الفردية ، وإجمالي السلوك في المجتمع هي التي تجعل من الممكن إنتقال الخصائص الأساسية للمجتمع المحلي من جيل لآخر ، كما أن خصائص السكان في المجتمع المحلي تتشكل وتتحدد بدرجة كبيرة بواسطة البيئة الفيزيقية والموارد الطبيعية وبعض الأوجه الجغرافية الأخرى .

النقطة الهامة في هذا المجال أن كتابات " أندرسون " ، " أشورارن " فيما يتعلق بخصائص المجتمع المحلي قد جاءت لتؤكد أن الخصائص الأساسية التي تميز المجتمع الريفي المحلي ، هي أيضاً موجودة في المجتمع الحضري المحلي والإختلاف بينهم هو في التفاصيل فقط ، وبالرغم من أنه يمكن قبول ذلك إلا أنه في بعض الأوقات كان هناك إصرار بأن تنظيم المجتمع الحضري المحلي هو أكثر تعقيداً ، وسواء كان ذلك خطأ أو صواب فإنه يعتمد على ما هو مقصود بكلمة " تعقيد " . النقطة الهامة التي

أوردها " أندرسون " هو أن المجتمع المحلي الريفي لا ينقصه أي من العناصر التي تمكنه من إشباع إحتياجاته الأساسية ولذا فإن إختلاف خصائص المجتمع المحلي الريفي عن المجتمع الحضري هو إختلاف في الدرجة وليس في النوع .

أما مان (Mann. 1965) فلقد أفرد جزءاً كبيراً من كتابه " المدخل إلى علم الإجتماع الحضري " تناول فيه بالشرح والتفصيل خصائص المجتمع المحلي ، وقد أوضح أننا لا نستطيع بأي حال من الأحوال أن نزعم أن مصطلح المجتمع المحلي " قد تحدد تحديداً دقيقاً ، ويتعين علينا لكي نصل إلى فهم كامل لهذا التصور أن نجري المزيد من البحوث حول مضمون هذا المصطلح ، أو العوامل المكونة لما نطلق عليه "المجتمع المحلي" كما أنه من الضروري أن تكون المناهج المستخدمة في الدارسة أكثر دقة بحيث تكون قادرة على عرض الحقائق عرضاً منظماً ، وبحيث يعرف كل باحث ماذا يجب أن يفعل ، وكيف يستخلص نتائجه ، ويؤكد مان أن هذين الشرطين يمثلان مطلباً حيوياً للوصول إلى وضوح وفهم متكامل للمجتمع المحلي .

ويعرف مان المجتمع المحلي بأنه جماعات إنسانية مرتبة أو مصنفة وفقاً لمقاييس معينة أو محددة ، وبأن العامل السوسيولوجي المميز في هذه التفرقة هو التفاعل ، ويؤكد مان أن التفاعل يجب أن يكون الأساس الوحيد للتصنيف الإجتماعي للمجتمع المحلي . أما إذا إستخدمنا العامل الجغرافي أو العلاقات البيولوجية مثل السن واللون كأسس للتصنيفات الإجتماعية فإننا نفعل ذلك لأن هذه الخصائص على درجة عالية من الوضوح . ولقد أوضح مان أنه إذا ما أردنا أن ندرس المجتمعات على أنها جماعات يمكن التمييز بينها على أساس التفاعل الذي يتم بين أفراد هذه الجماعات فإننا يجب أن نتوقع أن التفاعل المشاهد بين الجماعات المختلفة هو في حقيقة الأمر أنماط مختلفة من التفاعل وعلى درجات مختلفة أيضاً .

أما لندبرج فيعرف المجتمع المحلي بأنه أي تجمع يتوافر فيه حد أدنى من التجانس الجغرافي ، وحد أدنى من التفاعل ، وأن المجتمع المحلي هو جمع له أبعاد (جغرافية ، تفاعلية ، زمنية) وهناك دور أساسي للبحوث في تحديد درجات هذه الأبعاد. أما ماكيفر فإنه يرى أن مصطلح المجتمع المحلي يشير إلى أي منطقة تسود فيها حياة مشتركة سواء كان قرية أو مدينة صغيرة ، بحيث تتحقق لها مجموعة خصائص تجعلها متميزة عن المناطق الأخرى ، ذلك أن حياة الأفراد معاً في إطار المجتمع المحلي ، تعمل على

تطوير خصائص متميزة تتمثل فى الطباع والتقاليد ، ولكن المجتمع المحلى هو دائماً جزء من مجتمع محلى أوسع . ولهذا فإن المجتمع المحلى مسألة درجة أو بعبارة أخرى أنه يعتمد إلى حدٍ كبير على درجة وكثافة الحياة المشتركة . وبالرغم من إختلاف تعريفى كلٍ من لندبرج ، وماكيفر إلا أنهما يتفقان على الآتى :

١- المجتمع المحلى يرتبط أساساً بمنطقة جغرافية .

٢- المجتمع المحلى يشير إلى جماعةٍ ذات حياة مشتركة ذات طابع معين .

٣- المجتمع المحلى لفظ نسبى ، حيث يُنظر إليه دائماً فى ضوء جماعات أخرى .

المبحث الثانى

الإتجاهات النظرية لدراسة الفروق الريفية الحضرية

وجه علماء الإجتماع إهتماماً ملحوظاً وبذلوا جهوداً ملموسة فى تحديد خصائص المجتمعات الريفية وتحليلها على أساس علمى ، وجدير بالذكر أن الإهتمام بخصائص المجتمع الريفى يبرز إلى الوجود الإهتمام بخصائص المجتمع الحضرى بإعتباره المقابل له ، ولذا إستعرض (عودة ، ١٩٨٨) الإتجاهات النظرية فى تحليل هذه الخصائص فى الآتى :

أولاً : النظريات الكلاسيكية ولقد قسمها إلى إتجاهين :

أ - نظريات المحك الواحد للتمييز بين الريف والحضر .

ب- ~~نظريات المحكات المتعددة.~~

١- **نظريات المحك الواحد :** يتصور أصحاب هذه النظريات أن هناك بُعداً واحداً يميز بين المجتمع الريفى والمجتمع الحضرى ولقد إتخذ بعضهم من حجم السكان محوراً لهذا التمييز ووفقاً لهذا التصنيف فإن ترديل Tisdale يشير إلى أن التحضر هو عملية التركز السكانى وهى عملية فى رأيه تتخذ طريقين ، الطريق الأول هو نمو مراكز حضرية متعددة ، أما الطريق الثانى فهو أن تضخم حجم السكان فى قرية من القرى جدير بأن يحولها إلى مدينة . ووفقاً لهذا الإتجاه يمكن تحديد القرية بأنها منطقة التخلخل السكانى بينما المدينة منطقة التركز السكانى .

ولقد أشار جيرتز Geartiz إلى أن سيتوارد Steward قد إتخذ المهنة بوصفها أساساً وحيداً للتمييز بين الريف والحضر وأن ويتفوجل Wittfogel قد إستند إلى

عنصر القوة أو السلطة ، ومع ذلك فإنه يُعد حجم المجتمع هو المحك الوحيد الذى يشيع إستخدامه بدرجة واسعة فى التمييز بين الريف والحضر بين أصحاب هذه النظريات .

٢- نظريات المحكات المتعددة : وسنتناولها من خلال ما قدم من إسهامات بعض علمائها :

١- يميز سوروكن وزيمرمان بين الريف والحضر وفق مجموعة من المحددات هى :

(١) الإختلافات المهنية .
(٢) الإختلافات البيئية .
(٣) حجم الموقع .
(٤) كثافة السكان .
(٥) تجانس السكان أو عدم تجانسهم نفسياً وإجتماعياً وثقافياً .
(٦) درجة الحراك الإجتماعى وإتجاهه .
(٧) إتجاه الهجرة .
(٨) شكل التباين الإجتماعى .
(٩) أنساق التفاعل الإجتماعى .

ويلاحظ أن سوروكن وزيمرمان لم يضعا فى إعتبارهما حجم المجتمع وطبيعة البيئة وإنما إرتكزا على العوامل الإجتماعية كالتجانس والتباين والتفاعل .

٢- أما ورث وردفيلد فلقد إعتقدا أن المدينة مسئولة إلى حد كبير عن وجود الحياة الريفية أوهى متغير رئيسى فى تفسير ظواهر إجتماعية معينة ومنها الفروق الريفية الحضرية ويتمثل إسهام ورث فى معالجته لموضوع الحضرية بوصفها أسلوب للحياة . وإذا ما قارنا بين أعمال ورث وردفيلد لوجدنا أن المدينة كانت محور الإهتمام الرئيسى لورث ولم يكن لديه المعلومات الكافية للحديث عن الشكل الإجتماعى الريفى أو الشعبى بينما كان إهتمام ردفيلد مركزاً على المجتمع المحلى الريفى البسيط ويرى ورث أن المدينة تتميز عن الريف بعدة خصائص منها :

(١)تتمتع بحجم سكانى كبير .
(٢)تزيد فيها شدة الكثافة السكانية .

(٣) تتميز بالنمو والتضخم الذى يصاحبه ظهور طابع علمانى وإنهيار النسيج المعيارى والأخلاقى .

(٤) المدينة غير متجانسة بمعنى أنها تضم نوعيات مختلفة من السكان والطبقات الإجتماعية والجماعات الفرعية والمستويات التعليمية والمهن .

(٥) تشيع فيها العلاقات الثانوية على حساب العلاقات القرابية وغيرها من أشكال العلاقات الأولية .

(٦) يسود فيها الضبط الإجتماعى الرسمى المتمثل فى القانون وأجهزته على حساب الضوابط الإجتماعية غير الرسمية كالعادات والعرف والأخلاق والمعايير وغير ذلك .

وهناك تقسيم آخر للنظريات التى تناولت الفروق الريفية الحضرية ودراسة المجتمع المحلى وهو تقسيمها إلى النماذج المثالية ، ونظريات الثنائيات الإجتماعية ونظرية المتصل الريفى الحضرى سنتناولها فيما يلى :

١- نظريات النماذج المثالية : تمثل نظريات النماذج المثالية إتجاهاً رئيسياً فى دراسات علم الإجتماع ، فيما يتعلق بخصائص المجتمع المحلى وقد جاء ذلك مصاحباً للتطور الذى طرأ على مناهج البحث فى علم الإجتماع ، والذى تمثل فى بداية الأمر فى تطوير نماذج مثالية ، والواقع أن الهدف من هذه النماذج التى إبتكرها ماكس فيبر Max Weber هو تحديد خصائص المجتمع المحلى ، والفرق بين النموذج المثالى والنموذج الواقعى يكمن ليس فقط فى دلالته المحددة ، ولكن فى تحديد تلك الدلالة ، بمعنى أن الباحث يقيم تلك النماذج المثالية من خلال تحديد خصائص الموضوع الذى هو بصدد دراسته . وبذلك يتمكن من فهم العالم الواقعى. والجدير بالذكر أن إستخدام النماذج المثالية كأداة للتحليل يرجع إلى ماكس فيبر الذى إستخدم فكرة النماذج المثالية بكثرة فى تحليله للظواهر الإجتماعية المختلفة .

كما أن مان (Mann, 1965) أوضح أنه فيما يتعلق بعالم الإجتماع فإنه من المفيد أن يصبح لديه نماذج مثالية بالنسبة للمجتمع المحلى تشتمل كافة العوامل المحددة له ، ومن هذا المنطلق فإن هناك أساس نستطيع من خلاله أن نجرى ملاحظاتنا على الواقع . أن الخطوة الأولى فى مجال بناء نموذج مثالى للمجتمع المحلى هو تحديد عوامل الحياة العامة . أو أشكال التفاعل ، وإذا ما إتفقنا على ذلك فإن هناك خمس

عناصر يجب أن تتوافر فى المجتمع المحلى، وذلك يعنى أن النموذج المثالى للمجتمع المحلى يجب أن يتوافر فيه هذه العوامل الخمس بنسبة ١٠٠٪ .

وبالرغم من الإنتقادات التى وجهت إلى نظريات النماذج المثالية ، إلا أنها من وجهة نظر " مان " يمكن الإستفادة منها عملياً فى الدراسات السوسيولوجية ، بل إنها تشكل الحجر الأساسى فى ظهور نظريات الثنائيات الإجتماعية ، ونظريات المتصل الريفى الحضرى وقد دلل " مان " على جدوى هذه النظريات بالمثال التالى :

إذا ما حددنا مسبقاً أن هناك خمسة عوامل يتكون منها النموذج المثالى الذى نحن بصدد البحث عنه ، وإذا ما كان لدينا مجتمعان محليان ، وأردنا أن نتأكد من مدى توافر هذه العوامل الخمس ، فإن مدى توافر العوامل الخمس يوضح مدى تطابق أي من هذين المجتمعين مع النموذج المثالى كما يتضح من الآتى :

مجتمع (أ)					مجتمع (ب)				
المقياس	صفر	٢٥	٥٠	١٠٠	المقياس	صفر	٢٥	٥٠	١٠٠
أ				x	أ			x	
ب				x	ب			x	
جـ			x		جـ		x		
د		x			د		x		
هـ	x				هـ	x			

إن المقارنة السابقة بين المجتمعين (أ) ، (ب) تشير إلى المجتمع (أ) هو قريب جداً من النموذج المثالى بطريقة تفوق المجتمع (ب) .

٢- نظريات الثنائيات الإجتماعية : إن ظهور نظريات النماذج المثالية فى الفكر السوسيولجى قد أتاح الفرصة أمام رواد علماء الإجتماع لإبتكار الثنائيات الإجتماعية التى تنطبق على مجتمعين محليين مختلفين فى الخصائص والسمات ، والجدير بالذكر أن " تونيز " إستخدم مصطلحين ألمانيين الأول هو الـ Gesellschaft والثانى هو Gemeinschaft وقد أوضح " مان " أن الإصطلاح الأول يعنى فى الإنجليزية "المجتمع المحلى " Community أما المصطلح الثانى فهو يعنى المجتمع Society ، ولقد إستخدم " تونيز " المصطلحين فى وصف نموذجين متقاربين للحياة الإجتماعية يمثلان قطبى متصل ويقول لوميس (Loomis, 1961) أن حجر الأساس لدى تونيز

عن المجتمع المحلى والمجتمع كنماذج مثالية تقوم أساساً على التفرقة بين الإرادة الطبيعية والإرادة العقلية . أما الإرادة الطبيعية فهى شئ مرادف للجسم البشرى أو مبدأ وحدة الحياة ، بينما الإرادة العاقلة هى نتاج الفكر ذاته وبالتالى تكسب وجودها من إنتمائها إلى شخص معين ، ويمكن تفسير الإرادة الطبيعية فى ضوء الماضى فقط ، أما الإرادة العاقلة فهى ترتبط بالتطور والنمو المستقبلى ، وبناءاً على ما سبق فإن تونيز يرى أن الأساس الحقيقى للوحدة والتكامل فى المجتمع المحلى ، وإمكانية وجود هذا الشكل من المجتمعات يعتمد فى المحل الأول على العلاقات القرابية أو علاقات الدم والتجانس الفيزيقى والتجانس العقلى كما أن الأسرة تشكل الأسس العامة للحياة فى المجتمع المحلى . وفيما يتعلق بالجماعة فإنها تتواجد فى ثلاث أشكال هى الحياة الأسرية ، وحياة القرية ، وحياة المدينة .

أما الأشكال الأخرى للمجتمع فهى حياة المدينة والحياة القومية والتشريع والحياة الحضرية الحديثة ، وقد أوضح " تونيز " أن حياة المجتمع المحلى تتميز بأنها خاصة وتآلفية . أما حياة المجتمع فهى عامة أو هى العالم ذاتة ، كذلك يرتبط المجتمع المحلى باللغة والطرائق الشعبية والعرف والمعتقدات ، أما المجتمع فإنه يرتبط بالمهنة والعلم أساساً وهكذا يجب أن نفهم المجتمع ككائن عضوى حى ، أما المجتمع فإننا ننظر إليه بالضرورة بوصفه مركب آلى أو شئ مصطنع .

ويمكن أن نوضح الفرق بين المجتمع المحلى والمجتمع كما حدده " تونيز " وبارسونز وكما قدمه بيتر مان (Mann, 1965) فى الآتى :

مسلسل	المجتمع المحلى	المجتمع
١	إرادة طبيعية	إرادة عاقلة
٢	الذات	الشخص
٣	المهنة	الثروة
٤	الأرض	المال
٥	القانون الأسرى	القانون التعاقدى
٦	التضامن عضوى	التضامن آلى
٧	حياة خاصة	حياة عامة
٨	أفراد مترابطون	أفراد منعزلون
٩	إقتصاد الاسرة	التجارة
١٠	إقتصاد القرية	الصناعة
١١	المدينة الصغيرة كنقطة للتقارب العقلى والدينى والفنى	الحياة العالمية والعلم أساس الرأى العام
١٢	مركز ومكانة موروثة	مركز ومكانة مكتسبة
١٣	أغراض عامة وغير محددة	أغراض خاصة ومحددة
١٤	إلتزامات عامة وغير محددة	إلتزامات يحددها العقد
١٥	الإثبات يقع على الشخص الذى يتخلص من الإلتزام	الإثبات يقع على الشخص الذى يطالب بتنفيذ الإلتزام
١٦	الإستعانة بإلتزامات المجتمع المحلى العليا للتخلص من الإلتزامات الأدنى	ليس هناك ترتيباً هرمياً للإلتزامات وإنما المهم هو بنود العقد
١٧	ترجع أهمية الأفعال فقط كتعبير عن الإتجاهات العميقة	الإتجاهات لا قيمة لها والأفعال فقط هى العوامل المهمة

إن فكرة الثنائية التى بدأها علماء الإجتماع الرواد ، قد إنتقلت إلى إثنين من رواد علم الإجتماع الريفى والحضرى فى النصف الأول من القرن العشرين ، وهى الثنائية الريفية الحضرية ، ذلك أن ردفيلد Redfield حدد خصائص المجتمع الشعبى لكى تقابل خصائص المجتمع الحضرى ، والمجتمع الشعبى لدى ردفيلد يتميز بالصغر والعزلة والتجانس والأمية ويربط بين أفراده إحساس قوى بالتضامن والسلوك فيه تقليدى وشخصى ، وفى هذا المجتمع يطغى كل ما هو مقدس على كل ما هو علمانى ،

كما أن الإقتصاد يعتمد على المكانة أكثر من إعتماده على السوق ، أما " لويزويرث " فلقد أوضح أنه كلما زاد عدد السكان وإرتفعت معدلات كثافتهم وعظم بنيانهم وإختلافهم فإن ذلك يعبر عن الخصائص المرتبطة بالحضرية ، تلك التى تتمثل فى ضعف الروابط القرابية وسيادة نمط العلاقات الثانوية ، بالإضافة إلى أن نمط العلاقات يتميز بالسطحية والإنتقالية والإنقسامية .

إن الوضع الحالي للمجتمعات المحلية خاصةً القروية منها والحضرية قد دفع إلى القول أنه لا يوجد أى مجتمع من الممكن أن يوصف بالحضرية الخالصة أو الريفية الخالصة وإن وجدت هذه التصنيفات حالياً فهى فقط أنماط مثالية حيث أن كل المجتمعات المحلية الإنسانية هى فى طريقها للتحول التدريجى من الريفية إلى الحضرية، فالريفية والحضرية لا يتواجدان فى فراغ ، ولكن الخصائص الأساسية لكل منهما من الممكن تواجدها مختلطة مع الخصائص الرئيسية للنمط الآخر . وهذا هو ما دفع ديوى (Dewey, 1960) للقيام بحصر (٤٠) عنصراً أو خاصية ذكرها العلماء فى مجال التفرقة بين خصائص الريفية والحضرية وأوضح أن العلماء لم يتفقوا إلا على عدد قليل من هذه الخصائص على نحو ما يتضح من جدول (١) .

نظرية المتصل الريفى الحضرى : فى محاولة للتغلب على نواحى القصور والنقص فى نظريات النماذج المثالية والثنائيات الإجتماعية ، ظهر إتجاه جديد فى مجال تحديد خصائص المجتمعات المحلية ، وهو الذى تمثل فى نظرية المتصل الريفى-الحضرى . إن الفكرة الأساسية فى هذا المتصل ، هو وجود تدرج مستمر بين المجتمعات فى درجة الريفية أو درجة الحضرية (تدرج مستمر من الريفية إلى الحضرية) . وعلى أساس هذا التدرج يمكن تصنيف ووضع كل المجتمعات الإنسانية على نقاط مختلفة على هذا المتصل حيث يصبح من اليسير تحديد أين يقع أى مجتمع إنسانى على نقطة معينة على هذا المتصل .

إن الفكرة الأساسية فى نظرية المتصل الريفى الحضرى ، أنه كلما زاد الإحتكاك بين المجتمع الريفى التقليدى ، والمجتمع الحضرى الحديث ، فإن ذلك يؤدى إلى إكتساب مجتمع القرية لخصائص حضرية ، وبالتالى فإنه يمكن ترتيب كافة المجتمعات المحلية طبقاً لدرجة ريفيتها أو تحضرها ، والجدير بالذكر أن " ردفيلد "

ساهم مساهمة كبيرة فى فكرة هذا المقياس المتدرج الذى يمكن تصوره على النحو التالى :

أ ب جـ د هـ و ز ح ط ى ك

(مجتمع ريفى) ———————————— (مجتمع حضرى)

-٥ -٤ -٣ -٢ -١ صفر +١ +٢ +٣ +٤ +٥

وتشمل النقطة الأولى من هذا المقياس وهى (أ) المجتمع الريفى ، كما تشمل النقطة (ك) المجتمع الحضرى ، أما النقاط التى تقع بين أ ، ك فهى تعبر عن آثار التغير الثقافى أو الحضرى ، وعندما تتوافر عوامل التحضر لمجتمع القرية ، فإن ما يحدث هو أن القرية تبدأ فى التحرك فى إتجاه القطب الحضرى مارةً بنقطة (صفر) ، تلك النقطة على المتصل التى يصعب عندها تحديد نوعية المجتمع (ريفى أو حضرى) ثم يبدأ بعد ذلك فى الحراك فى إتجاه القطب الحضرى ، وبالرغم من أهمية فكرة هذا المتصل إلا أن هناك بعض الإنتقادات التى وجهت إليه سواء كمقياس علمى أو فى كونه يحدد حدود فاصلة بين الريفية والحضرية فى الوقت الذى لم يتفق فيه العلماء إتفاقاً كاملاً على هذه الخصائص حيث إنتقد فؤاد خورى فكرة هذا المتصل وأوضح أن الخصائص المتعلقة بالحضرية كظاهرة إجتماعية ليست مرتبطة بها فقط ويستشهد فى ذلك بكتابات ديوى الذى قام بمقارنة (١٨) مرجعاً أساسياً فى مجال الخصائص الحضرية ، ولاحظ أن خاصية التنوع والتمايز وعدم التجانس هى الخاصية الوحيدة التى إتفق عليها (١١) مؤلفاً على أنها خاصة حضرية ولذلك فإن الفكرة الأساسية التى قامت عليها فكرة المتصل وهى وجود خصائص تتعلق بالريفية وأخرى تتعلق بالحضرية لم يُتفق عليها حتى الآن .

جدول (١) يوضح الخصائص الحضرية التى إتفق عليها العلماء

العالم / ـاصة حضرية	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨
ـم التجانس				x	x	x		x	x	x	x	x					x	x
ـلاقات غير شخصية			x	x	x					x	x						x	x
ـيم العمل				x					x		x				x		x	
ـدية	x		x					x	x								x	x
ـراك			x						x		x						x	x
ـار إنقسامية										x	x		x				x	
ـلاقات خفيفة								x									x	
ـكلات شرسة								x				x		x			x	x
ـية التريف									x								x	
ـر جديد للأسرة			x				x										x	
ـاط عمالة وظيفة			x				x								x			
ـالة أكثر للنساء			x				x						x					
ـدات سكانية متعددة			x				x						x					
ـنيوية						x												
ـاة غير زراعية		x							x						x			
ـوزموبولاتينية						x						x					x	x
ـلكية					x												x	x
ـعقيد												x					x	
ـباحة	x																x	
ـسطحية	x																x	
ـسوية منخفضة							x							x				
ـناهي	x																	x
ـجارة	x						x											
ـحررية							x											
ـذاتية													x					x
ـتعليم												x						
ـلخلق والإبداع													x					
ـتحوانية															x		x	

تابع جدول (١)

الخاصية الحضرية / العالم	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨
النمطية																	×	×
البقد																		
المنفعة																	×	
ضبط رسمي													×				×	
الإعتماد والتبادل							×										×	
نمو الشخصية																×		
مجال مهني مركز																×		
مشاركة إجتماعية							×											
التطور	×																	
الإستقلالية .	×																	
الموضوعية																		×
العملية																		×

(١) أدرسون ، (٢) بيرجل ، (٣) كارنبتر ، (٤) كول ، (٥) لسماس ، (٦) جمت ، (٧) جبرر كوين ، (٨) هودبيك ، (٩) لي ، (١٠) كوين و كارنتر ، (١١) كوين ، (١٢) رنفيلد ، (١٣) ريجنس ، (١٤) شفكي ، (١٥) بيجل ، (١٦) ستيوارت ، (١٧)وبرث ، (١٨) ولستون .

المبحث الثالث

التصنيف الريفى - الحضرى

يقيم سكان أى مجتمع فى نوعين رئيسيين من الوحدات البيئية تكون الأولى منها الريف والأخرى المدن أى الحضر . ويختلف سكان الريف عن سكان الحضر حتى وإن كانوا ينتمون إلى أصل واحد . وذلك لأن إختلاف البيئة يؤدى إلى تباين ملموس فى الخواص والمشكلات الإقتصادية والإجتماعية المميزة لكلا النوعين من المجتمعات. فسكان الريف لهم من العادات والقيم والتقاليد ما يخالف سكان الحضر ، كما أن البيئة الجغرافية التى يعيشون فيها تختلف عن المدن وهذه الإختلافات الثقافية والمادية الطبيعية بكلا المجتمعين قد صبغت السكان فى كل منها بصفات خاصة مميزة. على أنه رغم وجود هذه الإختلافات لكل من السكان الريفيين والحضريين فإنهم يشتركون فى وحدة اللغة والدين والمنظمات والمؤسسات الإجتماعية التى تكون نوعاً واحداً من الثقافة المميزة للمجتمع الكبير .

وإلى عهد قريب كانت قصة حياة الإنسان هى قصة الإنسان الريفى حيث كان الإنسان يعيش فى مجاميع صغيرة تعيش على موارد الغابة ومنتجاتها الزراعية . ومعظم المدن التى نراها حالياً لا يرجع تاريخها ونموها ووصولها إلى حجمها الحالى إلا إلى القرنين الأخرين وهذا يعطينا فكرة عن حداثة الحياة الحضرية بمقارنتها بالحياة الريفية التى ترجع إلى آلاف السنين .

وقد ظل الريف والحضر فى غالبية المجتمعات فترة طويلة من الزمن دون تحديد دقيق لكيان كل منهما حيث لم تكن هناك فوارق فى صفات وخواص الحياة الريفية والحضرية تتطلب ضرورة الأخذ بتعريف دقيق محدد المدلول للفصل بين الريف والحضر ، غير أنه بتطور المجتمعات وإزدياد تحضرها ظهرت الحاجة إلى ضرورة مثل هذا التعريف ومن الصعوبة بمكان الإتفاق على تعريف موحد المدلول يستخدم فى كافة الدول نظراً لإختلاف كل دولة عن الأخرى من النواحى الطبيعية والإقتصادية والإجتماعية ، على أن الوصول إلى مثل هذا التعريف يُعتبر بلا شك أمراً هاماً إذا ما أريد الوصول إلى تعميمات إجتماعية ذات قيمة .

ومن الملاحظ وجود إختلاف فى المعايير التى إتبعتها الدول المختلفة لتحديد المجتمعات الريفية وتمييزها عن المجتمعات الحضرية . ويمكن حصر بعض المقاييس المتبعة فى تصنيف الريف والحضر فيما يلى :

١- التصنيف الإحصائى

تُعتبر نظرية " لويس ويرث (Lewis Wirth, 1938) " من أهم النظريات التى تناولت خصائص الحياة الحضرية والتركيز على دور حجم السكان فى علاقته ببعض العوامل والعمليات السوسيولوجية الأخرى ، حيث أبرز " ويرث " إهتمامه بحجم السكان والكثافة الساكنية والتباين الإجتماعى . وبالرغم من أن ويرث حذر من إستخدام أي من هذه العوامل منفصلاً عن الآخر إلا أنه يمكن القول أن " ويرث " وضع وزناً كبيراً وإهتماماً بالغاً للعوامل الديموجرافية فى التحضر ، ولقد أوضح ويرث أنه منذ عهد أرسطو فإنه قد إتفق على أن زيادة حجم السكان فى مجتمع معين عن حدٍ معين فإن ذلك يؤثر على العلاقة التقليدية بين السكان والمكان الذى يعيشون فيه من خلال :

١- إن الأعداد الكبيرة من السكان تتطلب تنوع كبير وأن ذلك يعطى فرصة للتمايز بينهم وبالتالى تتنوع السمات والخصائص الشخصية والمهن والحياة الثقافية .

٢- إن زيادة حجم السكان عن حدٍ معين يؤدى إلى أن تصبح العلاقات فى المجتمع ذات طابع ثانوى بدلاً من العلاقات الأولية ، وفى هذا المجال فإن " ويرث " يشير إلى أن ماكس فيبر Max Weber أوضح أنه من خلال وجهة النظر السوسيولوجية فإن العدد الكبير للسكان وكثافة السكان العالية تغير من العلاقات السائدة بين الأفراد كما ذهب إلى ذلك Siminel أيضاً .

٣- ولقد أورد " ويرث (Lewis Wirth, 1938) " العديد من الأمثلة التى تشير إلى العلاقة بين حجم السكان وأنماط السلوك ، كما أن ويرث أوضح أن نفس القول ينطبق على كثافة السكان حيث أن التركز فى مكان محدد ينتج عنه خصائص تقترب من الحضرية ليستشهد فى ذلك بما ذكره " داروين " و " دوركايم " بأن الزيادة فى العدد مع ثبات المكان (الكثافة السكانية) ينتج عنها التمايز والتخصص حيث أن هذا هو السبيل الوحيد للمنطقة المحدودة كى توفر للأفراد إحتياجاتهم .

٤- كذلك فإن " أدنا ويبر (Adna Weber, 1972) " أوضحت أنه عندما يصل حجم السكان فى المجتمع إلى حجم معين فإن ذلك يتبعه ظهور إحتياجات وأهداف جديدة ذلك أن تطور حجم السكان من الصغر إلى الكبر يتطلب تغير الظروف المادية التى تحيط بالمجتمع .

٥- كما وأنه على مستوى المجتمع الريفى المحلى فإن زيادة حجم السكان المستمرة مع ثبات مساحة الأرض الزراعية سيؤدى إلى هروب القروى من مهنة الزراعة تلك التى تُعتبر خاصية من خصائص الحياة الريفية ، وفى رأى Adna أن هناك علاقة طردية بين الزيادة فى حجم السكان وبين إحتياجاتهم لذا فإن زيادة حجم السكان فى المجتمع الريفى المحلى تؤثر على الأسرة الريفية ووظائفها التقليدية ومع زيادة حجم السكان فى القرية فإن الأرض الزراعية تصبح عاجزة عن إشباع الإحتياجات الأساسية للأعداد المتزايدة من السكان ، لذا فإن من الضرورى البحث عن وسيلة أخرى غير الزراعة لإشباع هذه الإحتياجات وقد ينتج عن ذلك كما ذهبت Anda إلى أن نسبة السكان العاملين بالزراعة فى القرية والذين عليهم أن يكرسوا أنفسهم لإشباع الحاجات الأساسية تتناقص بدرجة كبيرة وقد يختفون تماماً.

وهناك نقطة هامة أوردها " دنكان Duncan " هى أن زيادة حجم السكان فى المجتمع المحلى يؤدى إلى تناقص نسبة العاملين فى الزراعة ، كما أن زيادة حجم السكان فى المجتمع الريفى المحلى يصاحبه إزدياد نسبة التعليم وإزدياد نسبة العاملين غير الزراعيين .

وفى النهاية فإن دنكان Duncan وهو بصدد تعليقه على نظرية المتصل الريفى الحضرى ذهب إلى القول بأن الطريقة الطبيعية لفهم المتصل الريفى الحضرى هو أن تصنف المجتمعات حسب حجمها ، وأوضح أن غالبية العلماء يركزون على أهمية حجم المجتمع المحلى ، بينما يتفق غالبيتهم على أن تحديد خاصية المجتمع المحلى على أنه حضرى على أساس حجم السكان فقط هو شئ خاطئ . إلا أن أى منهم لم يقترح أساساً علمياً لعوامل أخرى يمكن أن تؤخذ فى الإعتبار(Halt & Reiss, 1957).

٢- التصنيف المهنى

من رأى المهتمين بالتصنيف الريفى الحضرى إتخاذ مقاييس نوعية للفصل بين الريف والحضر ، ومن هذه المقاييس على سبيل المثال مهنة السكان إذ يعتقدون أنه إذا سادت مهنة الزراعة وهى مهنة إنتاج كل من الزروع النباتية والحيوانية فى منطقة فسوف يستتبع ذلك وجود فروق وظيفية وكمية بين المجتمع الريفى والمجتمع الحضرى. فالبناء المهنى الريفى التقليدى يتميز بأن الغالبية العظمى من السكان يعملون بالزراعة كمهنة أساسية ، أما العاملين بمهنة غير الزراعة فهم يمثلون نسبة ضئيلة (Mann, 1965) ونظراً لأن الغالبية العظمى من السكان تعمل بالزراعة فلقد ذهب سوروكن إلى إعتبار علم الإجتماع الريفى هو علم إجتماع المهن الزراعية، كما أن دنيال ثورنر Danial Thorner فى (Shanin, 1975) وهو بصدد وضع محكات يمكن على أساسها تحديد نوع الإقتصاد فى مجال التفرقة بين الريفية والحضرية أوضح أنه حتى يكون الإقتصاد ريفياً فإنه يجب أن يكون أكثر من نصف السكان يعملون بالزراعة حيث أن الريفية تعنى أن الإقتصاد يجب أن يكون زراعياً . ولقد ترتب على إشتغال أغلب السكان بالزراعة الآتى :

١- أصبح التجانس المهنى هو الخاصية الأساسية للإقتصاد والبناء المهنى الفردى وكان هذا التجانس يتمثل فى تشابه الأنشطة الرئيسية فى مجتمع القرية إلى جانب ذلك فإن خاصية التجانس المهنى هى الخاصية المميزة للبناء المهنى الأسرى ولقد أرجع سوروكن هذه الخاصية للأسباب الآتية :

أ - الزراعة هى العمل الرئيسى لغالبية السكان والإشتغال بالزراعة هو العامل الأساسى فى الإنتاج .

ب - إن مهنة الزراعة يتوارثها الأبناء عن الآباء ولذا فإن العاملين بالزراعة يكونون طبقة تتميز بدرجة عالية من توارث المهنة .

٢- إن خاصية التجانس المهنى بمجتمع القرية والأسرة الريفية قد أدت إلى خاصية أخرى وهى قلة الحراك والتى [illegible] بإرتفاع نسبة الأمية وعدم إنتشار التعليم وعزلة المجتمع القروى . ولقد أوضح مان Mann [illegible] الخاصية [illegible] التى تميز المجتمعات الريفية التقليدية فإن فرص الحراك الجغرافى والمهنى والإجتماعى

تكاد تكون منعدمة . وإذا توخينا الدقة فإنه يمكن القول أن إشتغال الغالبية العظمى بالزراعة فى القرية التقليدية قد أوجد خاصية التجانس المهنى الذى نتج عنه قلة الحراك المهنى .

إن إنعدام الحراك فى ظل البناء المهنى الريفىالتقليدى قد دفع سوروكن إلى تشبيه العاملين بمهنة الزراعة من أهل القرية بسكان عمارة بدون سلالم حيث حركتهم إلى أعلى أو أسفل مستحيلة أو صعبة المنال .

٣- لقد أدى التجانس المهنى فى مجتمع القرية إلى إنعدام التخصص وتقسيم العمل وقلة أو إنعدام الصناعات التحويلية حيث الزراعة هى العمل الرئيسى وهى العامل الأساسى فى الإنتاج بالمجتمع .

٤- إن البناء المهنى الريفى التقليدى يتميز بضعف مشاركة الإناث فى النشاط المهنى ودورهم أساساً هو الأعمال المنزلية .

وأخيراً يجدر التنويه أن الإشتغال بالمهن غير الزراعية فى ظل البناء المهنى الريفى التقليدى يتميز بالخصائص الآتية :

أ- يمثل نسبة صغيرة جداً من البناء المهنى .

ب- هناك عائلات متخصصة داخل القرية فى المهن الزراعية هى فى الغالب ليست أصلاً من أبناء القرية وهذه المهن يتوارثها الأبناء عن الآباء .

جـ- أن المهن غير الزراعية هى من الناحية البنائية على درجة عالية من الأهمية .

ومن أوجه القصور فى هذا المقياس هو أنه حدثت تغيرات كثيرة فى مهن السكان خاصةً فى السنوات الأخيرة نتيجة للتقدم العلمى والتكنولوجى فى الزراعة ولو طُبِّق هذا المقياس لأصبحت الكثير من المناطق الريفية حالياً خاصةً فى الدول المتقدمة مناطق حضرية لأن غالبية المشتغلين بها لا يعملون بالزراعة بل ربما يصبح الشطر الريفى فى بعض الدول صغيراً للغاية . هذا فضلاً عن أن إستخدام عدد المشتغلين بالزراعة وبغير الزراعة كمقياس للفصل بين الريف والحضر سوف يعطى إهتماماً للناحية العددية أى لتجمعات الأفراد أكثر من الإهتمام بالنظام الإجتماعى نفسه الذى فى ظله يعيشون .

٣- التصنيف الإجتماعي

هناك وجهة النظر الإجتماعية التي تعطي إهتماماً خاصاً لنوع وخواص العلاقات الإجتماعية القائمة بين الأفراد حيث إتخذ البعض منها وسيلة للتفرقة بين الريف والحضر وفي هذا المجال يشير تايلور (Lee Taylor, 1964) إلى أن البناء الإجتماعي الحضري هو نمط متكامل من التنظيم يميل إلى كسر الحدود والفواصل بين المناطق المختلفة إجتماعياً ولذلك فإن الإختلافات الريفية الحضرية تخف تدريجياً ، ويتفق تايلور في أن التطيم يلعب دوراً أساسياً في هذا المجال ، أما الخصائص الحضرية المتعلقة بالبناء الإجتماعي الأسري التي أوردها " تايلور " فهي إحلال العلاقات الثانوية محل العلاقات الأولية ، كما أن أنماط الأسرة تدعم من المادية والنجاح والتحصيل . أما لويس ويرث فلقد أوضح أن أهم ما يميز البناء الإجتماعي المتحضر هو إحلال الإتصال والتفاعل الثانوي محل التفاعل الأولي ، وإختفاء روابط القرابة وإضمحلال المعنى الإجتماعي للأسرة وإختفاء علاقات الجوار .

أي أن إكتساب الأسرة الريفية لخصائص حضرية إيكولوجية وإقتصادية يصاحبه تحضر البناء الإجتماعي الأسري وأن أهم مظاهر التحضر هو حدوث تغيرات أساسية في بناء القوة التقليدي وإحلال العلاقات الثانوية محل العلاقات الأولية والتحرر من القيود القرابية وإختفاء روابط القرابة وظهور إتجاه يتمثل في الإقبال على التعليم حيث أن هناك قيمة للحراك والنجاح والتحصيل ذلك الذي يُدعم من الفردية .

ويعطي الإجتماعيون للتباين في العلاقات الإجتماعية بين الريف والحضر أهمية كبرى حيث أنهم يرون أن كبر المدينة وإزدحامها وعدم تجانس السكان فيها يؤدي إلى أن تصبح العلاقات بين سكانها ذات صفة ثانوية أي غير شخصية وعابرة وسطحية ونفعية في أغلب الأحيان بعكس المجتمع الريفي الذي يتسم بالعلاقات الشخصية والوثيقة والعميقة أي ذلك النوع من العلاقات الذي يُطلق عليه علاقات أولية، ويؤدي هذا إلى الإعتماد على أدوات الضبط الإجتماعي الثانوي وبمعنى أخر تصبح المدن معتمدة على القانون والشرطة لحماية المجتمع بينما تعتمد القرى على التقاليد والعادات والعرف (سيد أحمد ، ١٩٨٧) .

ولئن كان هذا المقياس الإجتماعي يتفق إلى حد ما مع ما تتصف به عادة الحياة الإجتماعية في الريف والحضر من صفات إلا أن من أهم عيوبه صعوبة تطبيقه إذ

لا يوجد وسيلة دقيقة يمكن بواسطتها قياس مدى قوة العلاقات الإجتماعية بين الأفراد ولا مقدار الضبط الإجتماعى السائد بمنطقةٍ ما بحيث يمكن أن توصف بكونها ريفية أو حضرية . هذا بالإضافة إلى أنه ما وجدت علاقة إجتماعية قوية وشخصية فى منطقة بحيث يمكن وصفها على أنها منطقة ريفية فإنه سرعان ما يتبين أن مثل هذه العلاقة موجودة أيضاً فى بعض المناطق المتعارف عليها على أنها مناطق حضرية . وعموماً فإن نوعية العلاقة الإجتماعية السائدة بين الناس فى المناطق المختلفة لم توضع بعد فى صورة مقياس للفصل بين الريف والحضر فى أى دولة من الدول .

٤- التصنيف الإدارى

أخذت بعض الدول فى إعتبارها عند تحديدها للريف والحضر بها الوضع الإدارى بالمنطقة فعرفت الحضر على أنه المدن والريف على أنه القرى المعتبرة وحدات إدارية . وفى الغالب أن مبررات إتخاذ هذا المقياس إنما ترجع إلى ما تتصف به عادة البلدان المعتبرة وحدات إدارية من خواص نتيجة تركيز مختلف أوجه النشاط الإدارى والتجارى والصناعى والسياسى بها بحكم كونها عواصم إدارية . ففى كندا يُعرف التعداد السكانى الحضريين على أنهم أولئك السكان الذين يقيمون فى المدن وفى القرى المعتبرة وحدة إدارية والسكان الريفيين هم أولئك السكان المقيمون فى غير هذه المناطق . فالتصنيف إلى ريف وحضر فى كندا يُحدده وضع المنطقة من الناحية الإدارية وليس عدد السكان المقيمين بها . ونظراً لإختلاف القوانين الإدارية من محافظة لأخرى فإن مناطق بعض المحافظات قد تُعتبر حضراً بينما مثيلاتها فى محافظات أخرى قد لا تعتبر كذلك .

وقد درجت الهند على إعتبار سكان القرى سكاناً ريفيين وسكان المدن سكاناً حضريين . على أن هناك إختلافات كبيرة بين المناطق المختلفة فى الهند بشأن ما يمكن إعتباره قرية وما يمكن إعتباره مدينة فما تُصنف على أنها قرى فى بعض المناطق قد يطلق عليها مدناً فى مناطق أخرى .

وفى مصر ظلت التعدادات السكانية حتى عداد ١٩٤٧ خالية من أى إشارة إلى الريف والحضر أو أى تقدير لسكان كل منهما . وربما يُعتبر السيد صبرى أول باحث مصرى إهتم بهذا الشأن فقد وضع عام ١٩٣٥ تعريفاً للحضر والريف مؤداه أن الحضر هو عواصم المراكز والبلدان المفروض عليها عوائد مبانى أما الريف فكل ما

عدا ذلك بمعنى أن الوحدة البيئية السكانية أى البلدة تكون وحدة حضرية إذا إستوفت أحد الشرطين المذكورين أو هما معاً . وقد إستند إلى هذا التعريف فى تحليل نتائج التعدادات السكانية المصرية من ١٨٩٧ إلى ١٩٢٧ حيث أحصى البلدان الحضرية وقدّر عدد السكان الحضريين والريفيين من واقع أرقام كل تعداد .

وتتبع مصلحة الإحصاء والتعداد فى تصنيفها للريف والحضر فى ١٩٦٠ تعريفاً مؤداه أن الحضر عبارة عن محافظات القاهرة والإسكندرية وبور سعيد والإسماعيلية والسويس والبحر الأحمر والوادى الجديد (الصحراء الجنوبية) ومطروح (الصحراء الغربية) وسيناء . وعواصم باقى المحافظات والبنادر وعواصم المراكز ، أما الريف فعبارة عن القرى وتوابعها . وقد تعدل هذا التعريف فى تعداد ١٩٧٦ ليصبح المقصود بالحضر فى مصر المدن والمقصود بالريف القرى وتوابعها .

المبحث الرابع
خواص الحياة الريفية

يمكن التعرف بسهولة على الخصائص المميزة للحياة الريفية بمقارنتها بالحياة الحضرية وكما يبدو واضحاً فإن الطابع الثقافى المميز لأهل المدينة يختلف فى الكثير منه عن الطابع المميز لأهل الريف . إلا أننا نجد هناك عاملين هامين يربطان كلا المجتمعين مكونان بذلك المجتمع الكبير . العامل الأول هو اللغة والآداب والعلوم والفلسفة والدين والتاريخ المسجل ، والعامل الثانى هو أن كلاً من المجتمعين الريفى والحضرى يشتركان فى المؤسسات الخمسة الأساسية ألا وهى الأسرة والتعليم والدين والسياسة والإقتصاد .

ولكن من ناحيةٍ أخرى نتيجة لعوامل التغير الثقافية والإجتماعية المؤثرة على كل من المجتمعين الريفى والحضرى فلقد ظهرت إختلافات واضحة ومميزة لكل منهما. فالبيئة المهنية والجغرافية بالمدينة مختلفة تماماً عن تلك الخاصة بالريف فالإختراعات والمبتكرات الحديثة لها تأثير مختلف بالنسبة للمجتمع الريفى والمجتمع الحضرى .

وإلى جانب عوامل أخرى هامة فإن هناك عاملين رئيسيين يؤديان إلى إختلاف النمط الثقافى المميز للحياة الريفية عن ذلك الذى يطبع الحياة الحضرية وهما المهنة وكثافة السكان وسيتم تناول هذين العاملين بالتفصيل فى الآتى :

أولاً : مهنة الزراعة

رغم أن هناك بعض السكان الريفيين الذين يعملون فى مهن أخرى غير الزراعة ، إلا أن الزراعة تعتبر هى المهنة الرئيسية للغالبية العظمى من السكان الريفيين وبذلك فهى تضفى على الحياة الريفية طابعاً خاصاً مميزاً عن الحياة الحضرية منها :

١- البيئة التى يعمل بها الفلاح : هناك إختلافاً كبيراً بين البيئة المحيطة بالفلاح وعمله الزراعى عن تلك المحيطة بغيره من أهل الحضر والمهن الأخرى التى يرتزقون منها . ففى الزراعة يعمل المزارع فى الحقل كمالكه وعلى إتصال مباشر بالبيئة الطبيعية بينما يعمل أصحاب المهن الأخرى فى المصانع أو داخل مكاتبهم بعيداً عن البيئة الطبيعية . وعلى ذلك نجد الفلاح على إتصال مباشر مع الأرض والكائنات الحية – وعمله روتينى وموسمى طبقاً للتغيرات الحيوية . كما أن عمله مرتبط بالظروف الجوية وما قد تجلبه من خسائر ومضار فى بعض الأحيان مما يجعله يؤمن بالقدر والنصيب وبعض المعتقدات والتخاريف .

٢- المعارف والمهارات المطلوبة : والمعارف والمهارات التى تحتاجها الزراعة أكبر من المعارف والمهارات التى تحتاجها أى مهن أخرى منفردة فالزراعة الفنية التقدمية الناجحة تحتاج إلى معرفة بأنواع الأرض وخصوبتها وطرق إصلاحها .

٣- الزراعة طريقة للحياة : من الخصائص الأخرى التى تميز الحياة الريفية أن الزراعة بإعتبارها المهنة الرئيسية الغالبية تعتبر طريقة للحياة أكثر من كونها طريقة للتكسب. فالأسرة الريفية يجمعها عامل مشترك واحد وهو أن معظم أفرادها يشتغلون فى نفس العمل وهو الزراعة . وهذا يجعل ثقافة الأسرة الزراعية واحدة مما يؤدى إلى قوة الرابطة بين أفرادها .

٤- الغالبية تعمل فى الزراعة : كذلك من آثار المهنة على إختلاف الثقافة الريفية عن الحضرية هو أننا نجد مجموعة كبيرة من الناس فى الريف تعمل فى نفس المهنة

وهى الزراعة ، ففى المجتمع الريفى حوالى ٦٥٪ من سكانه يعملون بالزراعة بينما فى الحضر لا نجد نسبة كبيرة من الناس يعملون فى مهنة واحدة .

ثانياً : كثافة السكان

إن كثافة السكان من الأمور الهامة التى تؤثر على ثقافة الناس فى كل من الريف والحضر . وتُقاس كثافة السكان على أساس عدد السكان لكل ميل مربع أو كيلومتر مربع من الأرض المشغولة . ومن الملاحظ أن السكان أقل كثافة فى الريف عن الحضر وخاصةً بالنسبة لنظم الإقامة الريفية بالبلاد الأوروبية والأمريكية ورغم إزدحام السكان بالقرية الريفية فى الدول الزراعية إلا أنها تُعتبر أقل كثافةً من المدينة . وإختلاف كثافة السكان يتبعه إختلاف فى نوع الحياة ونوع المهن السائدة ونوع الخدمات وغير ذلك من الخصائص الإقتصادية والإجتماعية المترتبة على ذلك العامل ومنها :

١- العلاقات الإجتماعية : فمثلاً من حيث تأثير كثافة السكان على العلاقات الإنسانية نجد أنها فى الريف تكون علاقات متينة وقائمة على أساس شخصى بعكس الحال فى المدن فهى وإن كانت أوسع نطاقاً من العلاقات بين الأشخاص فى الريف إلا أنها علاقة سطحية غير شخصية .

٢- المؤسسات والمنظمات الإجتماعية : المنظمات الإجتماعية فى المناطق الريفية عادةً تكون صغيرة الحجم وعدد المشتركين فيها قليل نسبياً كما أن الخدمات التى تقوم بها عادةً تكون خدمات عامة وغير متخصصة . فمثلاً المدارس فى المناطق الريفية عادةً ما تكون إمكانياتها فقيرة وغالباً يكون مدرسوها أقل تأهيلاً وتخصصاً من أقرانهم بالمدينة . ونفس الوضع بالنسبة للمؤسسات الإجتماعية والإقتصادية الأخرى مثل الجوامع والكنائس والمستشفيات والجمعيات التعاونية .

٣- التخصص : من الملاحظ أنه بإرتفاع الكثافة السكانية يزيد التخصص وعلى العكس من ذلك فبإنخفاض كثافة السكان يقل أو ينعدم التخصص إذ نجد أن الشخص الواحد يعمل فى أعمال مختلفة أما فى حالة إنخفاض الكثافة السكانية فإن الحرفة الواحدة لا تغنى بدخل شخص معين إذا أراد التخصص فيها ولذا فهو يعمل فى أعمال أخرى لزيادة دخله .

٤- مركز الشخص الإجتماعي : لكثافة السكان أثرٌ علي تحديد مركز الفرد الإجتماعي فهو كثيراً ما يُحدد الصفات الشخصية للفرد وكذا مهنته . فنتيجةً لقلة الكثافة السكانية في الريف فإن السكان يعرفون بعضهم البعض معرفة شخصية لكثرة إختلاطهم ببعض ونتيجةً لذلك فإن المراكز الإجتماعية للأفراد في مثل هذه المناطق القليلة الكثافة السكانية تحددها إلى درجة كبيرة الصفات الشخصية للفرد ، لأن معظم السكان في مثل هذا المجتمع يعرفون عن قرب الصفات الشخصية لكل منهم، بعكس الحال كلما زادت الكثافة السكانية قلت أهمية الصفات الشخصية وأثرها علي المركز الإجتماعي للفرد ، فمثلاً نجد للصفات الشخصية أهمية كبرى في تحديد القادة الريفيين .

٥- قوى الضبط الإجتماعي : إن قوى الضبط الإجتماعيّ السائدة في الريف هي ما يمكن وصفه بالنوع غير الرسمي الذي يعتمد أساساً على العرف والعادات والتقاليد وهذه عادةً ما تكون ذات قوة كبيرة نظراً لقلة الكثافة السكانية وكذا فإن العلاقات القائمة بين أفراد المجتمع علاقات متينة وشخصيةٍ في معظمها بينما نجد أنه بزيادة الكثافة السكانية تصبح العادات والتقاليد قليلة الأهمية وذات أثر ضعيف على سلوك الأفراد بالمجتمع كما نجد ذلك واضحاً في المجتمع الحضري حيث سيادة النوع الرسمي من قوى الضبط الإجتماعي وذلك بتطبيق القانون والنظام والبوليس والمحاكم هي التي تفصل فيما يُعرض عليها من خلافات ومنازعات وجرائم . ومما يوضح ذلك ما نلمسه في قله نسبة المنحرفين في المجتمع الريفي عن الحضري .

٦- مستوى المعيشة : توجد علاقة كبيرة بين كثافة السكان والمستوى المادي للمعيشة ، فكلما زادت كثافة السكان في منطقة من المناطق كلما أمكن إلى حدٍ كبير توفير بعض الإمكانيات المادية للمجتمع المحلي كالمدارس والمستشفيات والكهرباء والمياه النقية لأن زيادة عدد المنتفعين بهذه المشروعات يقلل من تكاليفها ويمكن من قيامها خاصةً في المجتمعات الرأسمالية حيث نجد شركات مستقلة تقوم بمثل هذه المشروعات .

٧- التباين الإجتماعي : بينما يتميز مجتمع المدينة بوجود تباين إجتماعي كبير بين الجماعات المكونة له من حيث تحددها وتعقدها نجد مجتمع القرية يمتاز بوجود نوع من التجانس بين أهله والجماعات المكونة له .

٨- التدرج الطبقي : إن مبادئ التطابق الإجتماعي تعمل بطريقة مختلفة في المجتمع الريفي عنه في المجتمع الحضري إذ يوجد على الأقل أربعة إختلافات عامة بين البناء الطبقي في كلٍ من المجتمعين هي : (١) عدد الطبقات الإجتماعية أقل في الريف منها في الحضر . (٢) قمة الهرم الطبقي لا تبعد كثيراً عن القاعدة في المجتمع الحضري . (٣) الطبقات الإجتماعية في الريف يغلب عليها الطبقة المتوسطة أو بالأحرى الطبقة الدنيا المتوسطة . (٤) الحركة من طبقة إلى أخرى أسهل في المجتمع الحضري عن المجتمع الريفي .

٩- الحراك الإجتماعي : أعضاء المجتمع الريفي غالباً ما يكونون مرتبطين بقوة بمركزهم الإجتماعي وعلى العكس من ذلك في المناطق الحضرية يتحرك الأفراد بسهولة وبصورة متكررة من مركز إجتماعي إلى آخر ، فبينما الإستقرار والثبات النسبي هي الخاصية المميزة للريف نجد أن التحرك هو الخاصية المميزة للحضر. ففي المدينة نجد حركة أفقية من مهنة إلى أخرى بين سكانها دون أن يعني ذلك حدوث أي تغيير في المركز الإجتماعي للشخص بينما نجد تغيير المزارع لمهنته نادراً ما يحدث بل وتتعاقب الأجيال في وراثة مهنة آبائهم وأجدادهم ، ومن الواضح أن الحراك الرأسي مرتبط إرتباطاً وثيقاً بظاهرة التمدن أو التحضر ، ومن العوامل المسئولة عن ذلك ما يلي :

(١) المدارس والجامعات والمراكز الدينية والسياسية والإقتصادية والصناعية والتجارية كلها مركزة في المدينة وهذه تخدم بدورها كقناة أو وسيلة إلى إرتقاء أو هبوط السلم الإجتماعي .

(٢) حيث أن مجال التطابق الإجتماعي في الريف ليس كبيراً فإن أهل الريف ليس لديهم فرصة كبيرة للإنتقال من طبقة إلى طبقة إجتماعية أخرى .

(٣) تفاوت في درجة الخصوبة وخاصةً في الطبقات العليا عنها في الطبقات الدنيا في كلٍ من الريف والحضر ولكون هذا التفاوت أكبر بكثير في الحضر عن الريف فإن ذلك يخدم في ترك مجال أو فراغ في قمة الهرم الإجتماعي الحضري يسهل من عملية إرتقائه .

(٤) التغيرات الإجتماعية والثقافية البيئية تؤثر على الحراك الرأسى ومثل هذه التغيرات أكبر فى حالة المجتمعات الحضرية . وبالإضافة إلى ذلك فإن الإنتماء الأسرى أقوى أثراً فى الريف عن الحضر حيث أن الوراثة تُقرر المركز الإجتماعى وعلى هذا فإن الحركة من طبقة إلى أخرى تكون محدودة.

١٠- التفاعل الإجتماعى : من الواضح أن عدد الإتصالات أعظم بكثير فى الحضر عنها فى الريف ، وأساس ذلك طبيعة النظام المهنى وتعدد المهن فى المدينة ، علاوةً على الإتصال غير المباشر عن طريق الراديو والتليفزيون والجرائد فمعظم طرق الإتصال بين أهل الريف تتم عن طريق أفراد الأسرة الواحدة ، وأهم الإختلافات تنحصر فيما يلى :

(١) منطقة الإتصال بالنسبة للقروى أضيق بكثير من مثيله الحضرى . سواء كان الإتصال بغيره من الجماعات أو المنظمات .

(٢) معظم الإتصالات بالنسبة للريف مباشرة ووجهاً لوجه . فرجل المدينة له إتصالات عديدة وإن كانت غير مباشرة وثانوية .

(٣) الإتصالات فى الريف شخصية بينما نجدها فى معظمها غير شخصية فى الحضر.

(٤) الإتصالات فى الريف قوية ودائمة وشخصية بينما هى سطحية وظاهرية فى الحضر

١١- التماسك الإجتماعى : هناك إختلاف رئيسى بين سكان الريف وسكان الحضر من حيث قوة الرابطة التى يتميز بها سكان الريف عن الحضر ففى المجتمع الريفى يوجد وحدة مبنية على أساس التشابه بين الناس نتيجة وجود صفات مشتركة وأهداف وخبرات واحدة . بينما فى المجتمع الحضرى الوحدة قائمة على أساس الإختلافات الناجمة عن تقسيم العمل والتخصص والإعتماد المتبادل بين الأفراد .

الفصل الثالث

نظم الإقامة بالمناطق الريفية *

تمهيد :

تختلف النظم التى يتبعها السكان من حيث إقامة مساكنهم إختلافاً كبيراً من منطقة لأخرى . ففى بعض المناطق يتركز عدد كبير من السكان فى وحدات تسمى بالمدن ، حيث تعلو المساكن وتمتد الشوارع المرصوفة بشكل منتظم ، وتتنوع المرافق والمؤسسات والهيئات ، وتبدو الحياة فيها معقدة لتنوع نواحى النشاط الإقتصادى والإجتماعى والصناعى والتجارى وغيرها . وفى مناطق أخرى يقيم السكان فى وحدات صغيرة نسبياً تسمى بالقرى ، حيث تُقام فيها المساكن المتلاصقة قليلة الإرتفاع والشوارع الضيقة والأزقة والطرقات التى لا تخضع لتخطيط معين . فضلاً عن عدد قليل من المرافق والمؤسسات والمنظمات الصغيرة الحجم . وتبدو الحياة بسيطة . على أن ثمة مناطق أخرى تنتشر فيها نظم إقامة المساكن فى وحدات أصغر تسمى بالعزب، وهى تجمعات لأعداد محدودة من السكان فى منطقة جغرافية صغيرة كما يسود فى مناطق أخرى نظام إقامة المساكن المتفرقة على المزارع المتناثرة .

وبالنسبة للمناطق الريفية عموماً فإن النظامين الرئيسيين السائدين حول العالم هما نظام الإقامة فى قرى وعلى مزارع متناثرة ، أما نظام الإقامة فى عزب فإنه لا يوجد كنظام رئيسى فى الوقت الحاضر ولكنه عادةً ما يكون مصاحباً لنظام الإقامة فى قرى أو الإقامة على المزارع المتناثرة .

ولما كان علم الإجتماع الريفى يهتم بدراسة التجمعات الإنسانية الريفية من حيث نشأتها وتطورها وتركيبها ووظائفها ، لذا فهو يتناول بالدراسة نظم الإقامة بالمناطق الريفية لأنها جزء هام من مكونات المجتمع الريفى .

* يعتمد هذا الجزء بصفة أساسية على كتابات أ. د. فتح الله سعد عليان مؤسس قسم المجتمع الريفى بكلية الزراعة جامعة الإسكندرية

المبحث الأول

أولاً : نظم الإقامة على قرى

يعتبر نظام الإقامة فى قرى زراعية من أقدم أنظمة الإقامة التى عرفها الإنسان، حيث بدأ منذ زمن بعيد مصاحباً للحضارة فى العالم القديم ، فقد كان منتشراً فى الهند والصين منذ العصور القديمة ، كذلك وجد فى جهات متفرقة فى أوربا . وقد أوضح المؤرخون الذين تتبعوا هذا النظام وجوده فى برارى روسيا وأقاليم البلطيق ، وفى كثير من مناطق المانيا وفرنسا والجزر البريطانية وفى دول البحر المتوسط ونهر الدانوب . كما وجد فى فترة معينة فى بعض المناطق بالولايات المتحدة الأمريكية .

وهناك آراء كثير حول نشأة نظام الإقامة فى قرى ، حيث يعتقد أن القرية كانت تتكون فى البداية من جماعة من الأقارب قد تكون أسرة مركبة وقد تتضمن مجموعة من الأسر ذات أصل قرابى واحد تعيش مع بعضها البعض فى شكل جماعى تحت رئاسة رئيس Chief منتخب . حيث يقال أن نظام العشائر الذى ساد فى ظل نظام الرعى أخذ طريقه إلى الإنحلال وأخذت العشائر تنقسم إلى أسر أى بدأت علاقة القرابة تضعف فى الوقت الذى بدأ نظام الإقامة فى الظهور ، فالقرية عملت على أن تكون جماعة تحفظ وتماسك الأسرة بدلاً من علاقات الدم . وبمعنى آخر حلت المنطقة المشتركة محل الدم المشترك كأساس للتنظيم الإجتماعى على أن وجود ملجأ ومستقر دائم والإهتمام بملكية الأرض الذى صاحب ذلك كانت من عومل الإستقرار والأمن بالنسبة للجماعات الإنسانية ، فأصبحت الأسرة المستقلة معروفة وتأكد وجودها فى القرية . ومن ثم يمكن القول أن نشوء الإقامة فى قرى لا يشير فقط إلى بداية الحضارة والزراعة ولكن أيضاً بداية النظام الإجتماعى الذى يؤكد الأسرة الخاصة والحرية الشخصية فى ظل ظروف تؤكد أمن الجماعة .

ونظام الإقامة فى قرى زراعية هو النظام الرئيسى للإقامة بالريف المصرى ، ولو أنه لا يُعرف بالضبط متى بدأ هذا النظام إلا أنه من المعتقد أنه بدأ منذ زمن بعيد لأن نشأة الزراعة وقيام الحضارات بوادى النيل ترجع إلى زمن وتاريخ بعيد . ويصاحب هذا النظام نظام إقامة بعض السكان فى عزب فعادةً ما يحيط بالقرى والعزب الحقول من مختلف الجهات . فالقرية يقيم فيها غالبية السكان الريفيين وفيها يدور معظم نشاطهم وتتحدد بدرجة كبيرة طريقة حياتهم ومستوى معيشتهم وسعادتهم ورفاهيتهم

أو مشاكلهم . ولا بد من الإشارة إلى أن البيانات والمعلومات العلمية عن نظم الإقامة بالريف المصرى قليلة بحيث لا يمكن الوصول إلى معرفة دقيقة لنشأتها وتطورها .

والموقع الجغرافى للقرية له آثاره الطبيعية والإقتصادية والإجتماعية الهامة ، فبعض القرى تقع فى مناطق قليلة الموارد الطبيعية ولا تتوفر بها الأراضى القابلة للزراعة مع ندرة مصادر المياه . وما من شك فى أن وجود القرية فى منطقة غنية بالموارد الطبيعية سوف يساعد على إعطاء الفرصة لسكانها لتحقيق مستوى معيشة لائق . فالقرية التى توجد فى مناطق تتصف أراضيها بدرجة عالية من الخصوبة ويتوافر فيها طرق جيدة للصرف ومصادر المياه والظروف الجوية المناسبة لديها فرصة أفضل لتحقيق إنتاج زراعى أوفر من القرى التى لا تتوفر فيها مثل هذه الظروف الطبيعية .

ولموقع القرية آثار إقتصادية هامة على حياة سكانها ، فقرب القرية من الأسواق العامة يخفض تكاليف تسويق السلع والخدمات اللازمة لسد إحتياجات سكانها كما يسهل تصريف المنتجات الزراعية وغير الزراعية . هذا فضلاً على ما للموقع من آثار قد تكون مباشرة على نوع النمط المزرعى السائد فى المنطقة فالقرى البعيدة عن الأسواق قد لا تستطيع إنتاج زروع معينة كالخضر والفاكهة نظراً لأن مثل هذه المنتجات عادة قابلة للتلف بسرعة ومن ثم يلجأ المزارع إلى إنتاج زروع نباتية حقلية أخرى يمكن تخزينها ونقلها أينما سمحت الفرصة دون أضرار إقتصادية جسيمة .

كذلك فإن القرى التى تقع بالقرب من المدن الكبيرة يحظى سكانها بدخول عالية نسبياً نتيجة إنتاج أنواع الزروع التى يمكن تسويقها بأسعار عالية فى تلك المدن كذلك فإن عدد غير قليل من سكانها يعملون بمهن غير زراعية إضافية مما يزيد من دخولهم ويعود على تلك القرى برواج إقتصادى نتيجة زيادة النشاط التجارى . بالإضافة إلى إرتفاع قيمة الأراضى الزراعية عن غيرها من القرى التى تقع فى مناطق نائية بعيدة عن العمران ، وكذا فإن للموقع الجغرافى للقرية آثار بالغة على الحياة الإجتماعية بها إذ يؤثر على طبيعة العلاقات الإجتماعية القائمة بين سكانها وسكان البلدان المحيطة ، فمن الملاحظ أن السكان فى القرى القريبة من بعضها كثيراً ما تنشأ بينهم روابط إجتماعية قوية على نطاق واسع بالمقارنة بتلك التى تنشأ بين سكان القرى البعيدة عن بعضها .

وموقع القرية كثيراً ما يكون أيضاً عاملاً محدداً لمقدار ما يتمتع به سكانها من ثقافة ، فالقرى القريبة من بلدان حضرية توجد بها الكثير من المنظمات الإقتصادية والإجتماعية كانت أوفر حظاً عن غيرها من حيث إمكان إقتباس العديد من الثقافات والحضارات السائدة بتلك البلدان الحضرية بما فى ذلك بعض القيم والعادات والتقاليد . ومن الجدير بالذكر أن عدم وجود طرق مواصلات سهلة بين القرى المصرية وبعضها وبين المدن الحضرية القريبة كان ولا زال عاملاً هاماً من عوامل تخلف القرية المصرية وسبباً رئيسياً للكثير من المشاكل الإقتصادية والإجتماعية والتعليمية والصحية والترويحية وغيرها .

ولعل من الأهمية التاريخية والإجتماعية معرفة العوامل الطبيعية والإقتصادية والإجتماعية التى أدت إلى نشوء القرى فى المواقع الجغرافية التى توجد بها حالياً ، ولئن كانت البيانات المتاحة فى هذا الشأن قليلة إلا أنه من المرجح أن السكان الأوائل عندما فكروا فى إقامة مساكنهم الدائمة فى وادى النيل والدلتا إختاروا الأماكن المرتفعة التى لا تصل إليها الفيضانات حيث كانت قدرة الإنسان محدودة فى السيطرة على الظروف الطبيعية وتوجيهها ، بعكس ما هو حادث الآن حيث تُقام السدود والخزانات .

ومن المحتمل أن السكان القدماء عندما بدأوا فى الإقامة الدائمة والإستقرار فى مكان معين أقاموا مساكنهم فى مناطق قريبة من مجرى النيل وفروعه حيث إستغلال مياهه فى الزراعة أو صيد الأسماك ، كما كان النيل وفروعه من أهم طرق المواصلات لفترة طويلة . ويؤيد هذه الظاهرة ما نلاحظه فى الوقت الحاضر من إرتفاع كثافة السكان فى القرى القريبة من المناطق الخصبة عن تلك الكثافة فى المناطق التى تبعد عن النيل فكلما بعُدنا عن النيل تظهر الأراضى الصحراوية التى يصعب زراعتها إما لعدم خصوبة أراضيها أو لعدم توفر مياه الرى والطرق الممهدة التى توصل إليها .

ولما كانت مساحة الأراضى الخصبة الممكن إخضاعها للزراعة صغيرة نسبياً فقد دعى ذلك إلى التجمع فى قرى بل وزراعة الأراضى فى بعض الأحيان بطريقة مشتركة . هذا وقد كانت صعوبة المواصلات فى هذا الوقت عاملاً هاماً حمل الأفراد على البقاء قريباً من المكان الذى يزاولون فيه نشاطهم الزراعى .

أشكال القرى :

تأخذ القرية أشكالاً متباينة تختلف بإختلاف الظروف الطبيعية والإقتصادية والإجتماعية السائدة ، فقد تكون القرية ذات شكل غير منتظم أو قد يكون شكلها مستطيلاً أو مستديراً .

١- القرى غير المنتظمة الشكل : ومن أمثلة ذلك العديد من القرى المصرية والتى يبدو أنها كانت فيما مضى تميل لأن تكون شبه دائرية . ففى الأزمنة الماضية كان الأمن غير مُستتب مما جعل السكان يقيمون مساكنهم فى شكل دائرى يسمح بإقامة بوابات على الحوارى تُغلق فى المساء وتُفتح فى الصباح . وحالة عدم التنسيق والتنظيم التى تعانى منها القرية المصرية فى الوقت الراهن إنما ترجع من الناحية التاريخية إلى العصور القديمة ، فلم تكن المساكن سوى مبانى صغيرة مكدسة ولم تكن الطرق سوى أزقة وحوارى ضيقة ، أما مبانى المرافق العامة فلم يُراعى فيها أن تكون بالضرورة فى المواقع المناسبة بالقرية .

على أنه بقيام الحكومات المنظمة لقد أخذت على عاتقها مسئولية حماية الأرواح والممتلكات ، فما لبث السكان الريفيون أن بدأوا فى الإقامة خارج النطاق القديم للقرية .

وللقرى غير منتظمة الشكل مساوئ عديدة من أهمها : عدم وجود المرافق العامة فى أنسب موقع بالقرية ، فضلاً عن صعوبة إجراء تعديلات على نظام المبانى والطرق والمرافق لعدم خضوعها لخطة تنظيمية معينة الأمر الذى يزيد من تعقيد المشاكل الصحية والسكنية وغيرها .

٢- القرى المستطيلة : هناك بعض القرى تأخذ شكلاً مستطيلاً نتيجة للجوء السكان إلى إقامة مساكنهم فى مواجهة المجارى المائية . والقرى التى تأخذ هذا الشكل عادةً ما يرتبط سكانها بطريق رئيسى . كما أن عرض القرية يكون ضيق وطرقها قصيرة نسبياً. ومثل هذه القرى المستطيلة شائعة الإنتشار بالريف الفرنسى والأمريكى حيث يوجد نماذج منها فى وادى نهرى سانت لورنس والمسيسبى .

ولهذا الشكل بعض المميزات ، حيث سهولة الإتصال بالقرية ، كما أن ضيق عرض القرية وقصر طرقها يسهل من إمكان إدخال بعض التحسينات [illegible] أضرار كثيرة . بالإضافة إلى أن إمتداد الحقول خلف القرية يقلل من البعد بين المساكن

والحقول ، ومن ثم فإن هذا الشكل يجمع بين بعض مميزات نظام الإقامة فى قرى والإقامة فى مزارع متناثرة .

٣- القرى المستديرة : وفيها تُقام المساكن على شكل دائرى ، وتتركز المؤسسات والمنظمات وغيرها من المرافق العامة فى وسط القرية تقريباً ، ويربط المؤسسات والمنظمات طريق دائرى تمتد منه طرق فرعية منتظمة . ومثل هذا الشكل من القرى له العديد من المزايا منها وجود المؤسسات والمنظمات فى المواقع المناسبة بالقرى ، كذلك إنتظام الطرق ، هذا إلى جانب أن وجود الحقول حول محيط القرية يقلل المسافة بين محل الإقامة والعمل . وهذا الشكل عادةً ما ينشأ وفقاً لخطة تنظيمية ومن أمثلة القرى الدائرية تلك الموجودة فى قرية فلسطين .

أنواع القرى :

كثيراً ما توصف القرى وفقاً لنوع النشاط الإقتصادى السائد بها ، على أنها قرى تجارية أو صناعية أو تعدينية أو سياحية أو صيدية أو نقلية إلى غير ذلك . ويمكن القول أن القرى بالريف المصرى هى أساساً قرى زراعية حيث أن النشاط السائد بها هو النشاط الزراعى . وتلك القرى هى مقر إقامة السكان الزراعيين الذين ينتقلون بآلاتهم الزراعية وحيواناتهم يومياً ذهاباً وإياباً للعمل فى الحقول المحيطة بها . هذا على عكس القرى الزراعية فى الولايات المتحدة وبعض دول غرب أوربا حيث تعتبر القرية مركزاً تجارياً للسكان المقيمين بالمزارع المنفردة أو المتناثرة حيث يتم فيها بيع المنتجات الزراعية وشراء المنتجات غير الزراعية والحصول على الخدمات الإقتصادية والإجتماعية والثقافية .

المرافق العامة والمنظمات الإقتصادية والإجتماعية بالقرى :

يوجد بالقرى عدد من المرافق العامة والمنظمات الإقتصادية والإجتماعية والتعليمية والدينية والصحية وغيرها . وتختلف هذه المرافق والمنظمات فى عددها ونوعها وحجمها وفقاً لعوامل كثيرة من بينها الكثافة السكانية والظروف الطبيعية والإجتماعية والإقتصادية للقرية . إلا أنه من الصعب وضع قاعدة عامة لعدد ونوع المنظمات والمؤسسات التى توجد بالقرية إلا أن قرب القرية أو بعدها عن المدن وسهولة أو صعوبة وسائل الإنتقال والإتصال يؤثر على عدد ونوع هذه المنظمات .

فسكان القرى القريبة من المدن يعتمدون عليها إلى حد كبير في الحصول على إحتياجاتهم وتسويق منتجاتهم الزراعية مما يترتب عليه قلة عدد المنظمات والمرافق في القرى المتاخمة للمدن فضلاً عن صغر هذه المنظمات والمرافق وضعف خدماتها إن وجدت . وعموماً يمكن القول أن القرى المصرية لا تتضمن إلا عدداً محدوداً من المرافق العامة والمنظمات الإقتصادية والإجتماعية وأنها في حاجة ماسة إلى إقامة الكثير منها لتوفير مختلف الخدمات لسكانها وسكان العزب المجاورة لها .

وإقامة المرافق وإنشاء المنظمات بالقرى يتأثر بعوامل أخرى من بينها المستوى الإجتماعي والإقتصادي والثقافي للسكان الريفيين هذا إلى جانب ما للسياسة العامة للدولة من آثار هامة في هذا الشأن .

وظيفة القرية :

القرية إلى جانب كونها مكانا لإقامة السكان الريفيين تقوم بعدة وظائف إدارية وإقتصادية وإجتماعية . فالوظيفة الإدارية للقرية تتمثل في توفير الأمن والعدالة لساكنيها، ويقوم بتلك الوظيفة نظام الإدارة المحلية الذي يتمثل في العمدة والمشايخ والخفراء ونقطة الشرطة إن وجدت . ومهمة هذا النظام حماية الأرواح والممتلكات وفض المنازعات والعمل على تلافي الخلافات وتنفيذ القوانين . كما تقوم القرية بوظائف إقتصادية إنتاجية وإستهلاكية ، فمن الناحية الإنتاجية تعتبر القرية والأراضي الزراعية التابعة لزمامها المسرح الذي يدور عليه عمليات إنتاج المحاصيل النباتية والحيوانية لمقابلة إحتياجات السكان الريفيين . وربما يوجد في عدد قليل من القرى المصرية بعض الصناعات التحويلية غير أن هذه الصناعات بسيطة للغاية وتقوم عادةً على تصنيع بعض المنتجات الزراعية المحلية . ومن الناحية الإستهلاكية تتضمن توافر السلع والخدمات الإقتصادية التي يتطلبها السكان فهي بمثابة مركز تجاري لسكانها وسكان العزب المجاورة لها . وتقوم القرية بهذه الوظائف عن طريق مختلف المنشآت الإقتصادية والتجارية التي يدور نشاطها حول توريد وتسويق السلع المنزلية والزراعية كالمحلات والأسواق وغيرها .

وعلى الرغم من تحسن طرق الإنتقال في العصر الحالي فإن القرية لا زالت المكان الذي يأمل السكان الريفيون أن يجدوا به الكثير مما يحتاجون إليه من السلع والخدمات إذ أن علاقاتهم بالمدينة لا تزال محدودة . على أن القرية المصرية تختلف

عن نظيرتها فى المجتمعات الغربية فالأخيرة إلى جانب كونها أساساً مركزاً تجارية إلا أنه يقيم بها المحامين والأطباء والمهنيين والحرفيين .

وتتضمن الوظيفة الإجتماعية القرية توفير الخدمات التعليمية والدينية والصحية والترويحية وغيرها . وتقوم القرية بهذه الوظيفة عن طريق المنظمات الإجتماعية كالمدرسة والمسجد ووحدات العلاج الصحى والنوادى الإجتماعية والرياضية وغيرها. والقرية من خلال ما يسود بها من علاقات ونشاط إجتماعى تقوم بتوفير البيئة الإجتماعية التى تُنمى شخصية الفرد ، فالبيئة الإجتماعية تلى الأسرة فى إكساب المواطن الريفى الكثير من الخواص الإجتماعية . كما أدت إلى ظهور القادة الذين يعملون على إقامة المنظمات الإجتماعية والتى تعتبر بدورها مجالاً هاماً للتنشئة وإعداد وتدريب قادة جدد كما تعتبر وسيلة هامة لتدريب أعضائها على الديموقراطية .

العلاقات الإجتماعية بالقرية :

من أهم ما تتصف به الحياة فى القرية تلك العلاقات الإجتماعية القوية التى توجد بين سكان القرية . ومن العوامل التى تُعزى إليها قوة تلك العلاقات إقامة السكان الريفيين لمساكنهم بجوار بعضهما البعض فى منطقة جغرافية ضيقة ، إذ بحكم الجيرة يقضون معظم أوقاتهم سوياً يتبادلون الحديث عن كل ما يتعلق بشئونهم وشئون غيرهم. وليس غريباً فى ظل صغر عدد السكان أن تصبح نواحى كثيرة من حياة الأفراد معروفة لكل ما يحيط بهم من جيران ، ولذا يصعب الإحتفاظ بسرية الكثير من الأمور حتى النواحى المنزلية والعائلية الخاصة . ومن ثم أصبح تبادل المنفعة أمراً يسيراً بالنسبة للعديد من النواحى المنزلية والمزرعية على السواء .

ومما زاد من قوة هذه الروابط الإجتماعية بين السكان لجوئهم إلى الزواج من بعضهم البعض ولذا أصبح من الصعب خاصةً فى القرى الصغيرة أن يوجد فرد لا تربطه صلة قرابة بعدد كبير من أفراد القرية ، الأمر الذى جعل العلاقات الإنسانية بين السكان قوية وشخصية . وجدير بالذكر أن هذه العلاقات الإنسانية تقل تدريجياً بزيادة حجم القرية حيث تقل بالطبع قوة العلاقات الإجتماعية بالقرى الكبيرة عنها فى المتوسطة والصغيرة نتيجة لكبر عدد السكان . أما فى المدينة فتسود العلاقات السطحية التى تقوم غالبيتها على أسس غير شخصية .

مميزات نظم الإقامة في القرى :

لنظم الإقامة في قرى عدة مميزات بعضها إقتصادية والأخرى إجتماعية منها :

١- يُعتبر أفضل الأنظمة التي تناسب المجتمعات التي تتسم بالكثافة السكانية العالية وضيق الرقعة الزراعية ، إذ أن نظام الإقامة على مزارع لا يكون مناسباً . فإقامة السكان الريفيين على مزارع ضئيلة السعة قد تتضاءل سعتها أحياناً إلى عدة قراريط أمر غير مقبول حيث يعوق إقامة مساكن المتناثرة على تلك المزارع إمكان إستغلالها دون خسائر إقتصادية فادحة . وفي مصر يكون هذا النظام غير مناسباً في ضوء المعدلات السكانية العالية ، وربما يكون ذلك من العوامل التي أدت إلى إتباع نظام الإقامة في قرى بالمناطق الحديثة الإستيطان مثل مديرية التحرير ومنطقة أبيس وغيرها .

٢- ومن المميزات الإقتصادية الهامة الأخرى لنظام الإقامة في قرى إمكان تقليل تكاليف توصيل الخدمات للسكان الريفيين المقيمين في قرى عنها بالنسبة للسكان المقيمين على مزارع متناثرة . فمتوسط تكاليف ما يخص الساكن القروي من إنشاء المرافق والخدمات لو أمكن تحقيقها سوف يكون أقل عنها في ظل نظام الإقامة في المزارع المتناثرة ، فضلاً على أن بعض هذه الخدمات من المتعذر توفيرها في ظل النظام الأخير .

٣- كذلك من مميزات الإقامة في قرى قرب مراكز التسويق من محل إقامة السكان القرويين مما يقلل من تكاليف تسويق المنتجات الزراعية وبالتالي زيادة دخول طائفة الزراع .

٤- ومميزات الإقامة في قرى لا تقتصر على كونها إقتصادية فحسب بل إجتماعية أيضاً ومن أهمها تلك العلاقات الإجتماعية القوية التي تسود بين السكان القرويين . كما ينشأ بينهم جوٌ من التعاون المتبادل خاصةً وقت الكوارث أو الأزمات . كما أدت إلى تكوين الكثير من العادات الإجتماعية وطرق التفكير والسلوك بما في ذلك السلوك التعاوني .

ولما كانت الزراعة في ظل الظروف السائدة بالمناطق التي يزدحم بها السكان على رقعة ضيقة من الأراضي الزراعية يكتنفها الكثير من المشاكل الإنتاجية

والتسويقية فإن السلوك التعاوني أصبح أمراً لا مناص من التعود عليه للخلاص من بعض هذه المشاكل . لذلك فإن المعيشة في قرى كان لها آثارها على تيسير حل المشاكل الزراعية عن طريق العمل الجماعي المشترك .

٥- يُعتبر الأمن الإقتصادى والإجتماعي الذى يشعر به السكان الريفيون الذين يقيمون فى ظل النظام القروى من أهم مميزات هذا النظام ، فالساكن القروى يستمد الكثير من الطمأنينة الإقتصادية والإجتماعية من قوة الروابط الإجتماعية ومن كونه عضواً فى جماعة سكانية تشارك بعضها البعض مخاطر الحياة ومتاعبها وأحزانها وسعادتها. هذا بالمقارنة بالإقامة فى المدينة إذ يشعر الفرد بعزلة إجتماعية نتيجة قلة أو عدم وجود الأقارب والأصدقاء بالإضافة إلى قلة عطف هؤلاء عليه نسبياً إن وُجدوا .

٦- هذا وقد مكّن نظام الإقامة فى قرى من إنشاء المنظمات الإقتصادية والإجتماعية ومختلف المرافق العامة كالمحلات التجارية والجمعيات التعاونية والنوادى والمدارس والمساجد وغيرها من المنظمات والمرافق التى تعمل على توفير الخدمات الإقتصادية والإجتماعية والتعليمية والصحية والدينية والإرشادية والإنتقالية وغيرها . كما ساعد كثرة السكان على تقليل متوسط تكاليف ما يخص الفرد من إقامة وإدارة مثل هذه المنظمات والمرافق .

وإذا كانت القرية المصرية فى الوقت الحاضر لا يوجد بها الكثير من المنظمات والمرافق والخدمات فإن ذلك لا يعد عيباً من عيوب الإقامة فى القرى قدر ما يعتبر عجزاً فى إستغلال ميزة هامة من مميزات إقامة السكان فى تجمعات كبيرة نسبياً وهى ميزة لا تتوفر للمقيمين على مزارع متناثرة .

عيوب نظام الإقامة فى قرى :

على الرغم مما لنظام الإقامة فى قرى من مميزات إلا أنه لا يخلو من العيوب الإقتصادية والإجتماعية أيضاً ومنها :

١- عدم إتاحة الفرصة للسكان القرويين الزراعيين لإحداث توسع أفقى كبير فى سعة المزارع التى يحوزونها ، حيث يتركز أعداد كبيرة من السكان فى منطقة محدودة بالإضافة إلى وجود الحقول حول القرية جعل إمكانية التوسع أمراً عسيراً . كما

أدى إلى إرتفاع أثمان الأراضى الزراعية نتيجة زيادة الطلب عليها . وبإفتراض وجود الأراضى التى تسمح بإمكانية توسيع سعة المزارع أفقياً فإن هذا يعنى زيادة بُعد هذه المزارع عن القرية .

٢- معظم السكان الزراعيون القرويون يحتفظون بحيواناتهم وآلاتهم الزراعية معهم فى القرية وينقلونها يومياً إلى المزارع ، فبُعد هذه المزارع عن محل الإقامة يعنى زيادة التكاليف المزرعية نتيجة المجهودات والوقت الضائع فى الذهاب والإياب لمسافات بعيدة .

٣- إن المزارع صغيرة السعة والتى عادةً ما تصاحب نظم الإقامة فى القرى لا تسمح كثيراً بإستخدام الآلات الميكانيكية فى أداء العمليات الزراعية والتى يُعتبر إستخدامها فى الوقت الحاضر أمراً ضرورياً من أجل زيادة الإنتاج .

٤- لنظام الإقامة فى قرى آثاره على النمط المزرعى ، فالسكان القرويون أحياناً ما يحجمون عن زراعة وإنتاج زروع معينة كالخضروات والفاكهة مع أنها أكثر ربحية حيث أن بعد القرية عن المزرعة يتطلب نوعاً من الحراسة وإلا تعرضت المزرعة للسرقة ونظراً لصغر حجم الحيازة الزراعية فإن تكاليف الحراسة تُعد عالية إلى الحد الذى لا يبرر إنتاج مثل هذه الزروع ، بإستثناء القرى القريبة من المدن حيث تُسوّق هذه المنتجات بأسعار مرتفعة مما يزيد من صافى الدخل المزرعى .

٥- نظام الإقامة فى قرى له آثاره أيضاً على تقليل عدد الحيوانات المزرعية الممكن للزراع الإحتفاظ بها ، حيث يتم إيواء هذه الحيوانات فى نفس المنازل التى يقيمون بها مما يجعل من العسير إمكانية التوسع فى المرافق الخاصة بتلك الحيوانات . بالإضافة إلى صعوبة نقل هذه الحيوانات يومياً من وإلى المزرعة . ولذا يبتعد غالبية الزراع عن تربية أعداد كبيرة من الحيوانات تفادياً للمتاعب ، فضلاً عن نقص الأعلاف والأيدى العاملة وغيرها .

٦- عادةً ما يصاحب تربية الحيوانات بمنازل الزراع آثار صحية غير مرغوبة فالمنازل الريفية صغيرة السعة مرافقها الداخلية غير منظمة ولا يتوفر فيها عادةً الشروط الصحية الضرورية ، فتربية الحيوانات داخل المنازل زاد من هذه المشكلة

الصحية إذ تنبعث رائحة الروث الكريهة في شتى أرجاء المنزل . فكثيراً ما تتلوث مياه الشرب نتيجة قرب الحظيرة من آبار طلمبات المياه مما يؤدى إلى إنتشار الأمراض بسهولة .

ولقد أصبحت ظاهرة إحتفاظ السكان القرويين بحيواناتهم داخل المنازل أمراً عادياً لأنهم لم يألفوا غيره من الأنظمة وربما يفضلونه وذلك لأنه من وجهة نظرهم أن الحيوانات جزءاً من رأس مالهم المزرعى فلن يطمئن لهم بال إلا إذا كانت حيواناتهم قريبة منهم يوالونها بالتغذية والعناية ويسهل عليهم حلبها وحراستها . على أن كبار الزراع الذين يحوزون أعداداً كبيرة من الحيوانات عادةً ما يقيمون لها الحظائر ويوفرون لها الحراسة الخاصة .

٧- إعتاد المزارعون القرويون على وضع بقايا الزروع النباتية على أسطح المنازل المتلاصقة ولقد كان لهذا الفعل آثار جسيمة من حيث نشوب الحرائق التى أحياناً ما تكبد القرية خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات . ومما يزيد من سوء تلك الحالة وجود الأفران داخل المنازل ومما يزيد من هذه المشكلة عدم وجود نظام محلى لإطفائها وكذا بُعد القرى عن مصادر المياه ومراكز إطفاء الحريق الموجودة عادة فى عاصمة المركز أو المحافظة ، فضلاً عن صعوبة إنتقال هذه المراكز إلى القرى مما كان له الأثر الكبير فى إنتشار الحرائق فى وقت قصير مما يتعذر مقاومتها . وبالرغم من الندامات التى توجهها بعض هيئات الإرشاد الزراعى عن ضرورة إبعاد بقايا تلك الزروع عن أسطح المنازل إلا أنه يبدو غريباً تمسك القرويين بهذه العادة السيئة . ومن وجهة نظرهم أن وضع بقايا الزروع فى مكان بعيد عن المسكن يجعل من الصعب الحصول عليها من آن إلى آخر لإستخدامها كوقود ، هذا بالإضافة إلى أنها تُعتبر واقياً لهم من الأمطار الشديدة إذ أن غالبية تلك المنازل من الطوب الأخضر الذى يتلف سريعاً من الأمطار إن لم يكن هناك مادة عازلة . ومما يزيد من تمسك القرويين بوضع بقايا الزروع النباتية على أسطح المنازل خوفهم من أن تمتد إليها يد الغير بالسرقة أو إشعال النيران فيها كوسيلة للكيد أو الإنتقام . كذلك فالقدرة الإقتصادية لغالبية القرويين ضعيفة فيتعذر عليهم الإعتماد على الكيروسين أو الغاز كمصدر للوقود لذا فهم يستخدمون بقايا

للزروع كوقود مع وضعها علـى أسطح المنـازل رغم مـا قد ينجم عن ذلك من أضرار بالغة .

٨- ومن العيوب الإجتماعية لنظم الإقامـة فى قرى مـا ينشأ عـادةً بين الجيران من مشاكل وإشتباكات عديدة لأسباب تافهة وكثيراً ما يتطور الأمر إلى منازعـات على جانب كبير من الخطورة . وبـالرغم من الضبط الإجتمـاعى القوى بـالقرى الذى يُعتبر عاملاً هاماً فى الكثير من التنظيمات الإجتماعية إلا أن شدة هذا الضبط كثيراً ما تكـون عائقاً فـى سبيل إحداث بعض التغيرات الإجتماعيـة المرغوبـة ، فـالقيم والعادات والتقاليد القوية بالقرى تجعل من الصعوبة على الأفراد أن يسلكوا سلوكاً لا يتفق والعرف السائد حتى ولو كان هذا السلوك لا غبار عليه . ومن ثـم فـالضبط الإجتماعى القوى يُعد عاملاً محدداً لحرية الأفراد فى الإبتكار وإقتبـاس الجديـد من الثقافـات والحضـارات والإقـلاع عن القديم مـن ضـروب السـلوك غير المرغـوب ونتيجةً لذلك لا يبدو غريباً أن تصبح الحياة فى بعض المجتمعـات القرويـة المحليـة راكـدة ، كمـا تصبـح آراء وإتجاهـات الأفـراد جـامدة محـددة وفـرص التغيير قليلـة وصعبة خاصةً فى المجتمعات المحلية شبة المكتفية ذاتياً .

٩- بالرغم من أن نظـام الإقامـة فـى قـرى سمح بإمكـان إقامـة المنظمـات الإقتصاديـة والإجتماعية اللازمة لخدمة القرويين إلا أن عدم تنسيق تلك المرافق العامـة صعـب الإستفادة منها بل إنه فى بعض الأحيان كان سبباً فى تشويه شكلها العـام . فالغالبيـة العظمـى مـن القـرى لا تخضـع لخطـة تنظيميـة تُحدد موقـع المنـازل وإمتداداتهـا والمنظمات والمؤسسات والمرافق العامة الحالية ومـدى إمكانيـة إقامـة الجديد منهـا مستقبلاً . فقد توجد المدارس والمساجد فى أطراف القرية فى الوقت الذى توجد فيه المقابر بالقرب جداً من المنازل أو توجد داخل القرية .

ولا زال عدداً غير قليل من القرى فـى حاجـة ماسـة إلـى ميـاه الشـرب النقيـة ، وعلى الرغم من إنشاء مشروعات مياه فى عدد كبير من القرى إلا أن تلك المياه توجد فى صنابير عامة حول القرية وليست ممتدة داخل المساكن . أما المجارى والمراحيـض فهى غير موجودة بالغالبية العظمى من القرى .

إزاء كل ما سبق وفى غياب التنظيم والتخطيـط الهندسـى والإجتمـاعى أصبحـت القرية عبارة عن مجموعة من المبـانى الطينيـة التـى يتخللهـا حـوارى وشـوارع ضيقـة

ويتناثر فى أرجائها بعض المنظمات والمرافق العامــة فى أماكن غالباً ما تكون غير مناسبة كما تخلو من الكثير من المرافق العامة الضرورية لتحقيق مستوى لائق ، كما أصبح إعادة تخطيطها وتنظيمها أمراً عسيراً للغاية .

المبحث الثانى

ثانياً : نظم الإقامة على عزب

تُعرف العزبة من الناحيـة الإحصائية على أنها البلدة الريفيـة التى يقل عدد سكانها عن ٢٥٠ نسمة ، ويشكل هذا النمط من نظم الإقامة مع القرى الزراعيـة النمط السائد فى الريف المصرى .

والحقيقة أن عدد العزب وتوزيعها الجغرافى لم يتأثر فقط بالظروف الطبيعيـة الإقتصادية والإجتماعية بل تأثر أيضاً بسياسة الدولة الخاصة بالتوسع الزراعى الأفقى وسياسة تعمير المناطق المستصلحة . هذا فضلاً عن أن إستتباب الأمـن كـان من شأنه أن يشجع بعض الملاك على الإنتقال من القرى والإقامة فى عزب قريباً مـن الأراضـى التـى يزرعونها . ومن المرجح أن العزبـة نشأت أصلاً كمزرعة أو مجموعـة مـن المزارع يقيم عليها مالكها أو ملاكها ومستأجروها وعمالها الزراعيون . ونظراً لأن هذه العزب نشأت على مساحات ومناطق واسعة فكان من الطبيعى أن تكون مساحة المزارع بها أكبر من نظيراتها فى القرى . وهذا يرجع إلى نشأتها فى أماكن حديثة الإستصلاح حيث أثمان الأراضـى رخيصة نسبياً مما دفع بعض الملاك إلى حيازة مساحات واسعة منها . وكثيراً ما فكر كبار الملاك المقيمون بالقرى فى إقامة عزبة حتى يكونوا هـم ومستأجروهم وعمالهم الزراعيون قريبين من أراضيهم وكذا حفظ المواشى والآلات الزراعية ، رغم إستمرار إقامتهم بالقرى أو فـى المـدن القريبـة والإنتقال من آن لآخر إلى هذه العزب لمباشرة أعمالهم الزراعية .

وتقع مساكن العزبـة علـى مساحة صغيرة نسبياً مـن الأرض ولا تختلف تلك المساكن كثيراً من حيث حالة مبانيها وما تتضمنه من تسهيلات سكنية عن نظيرتها بالقرى . أما عن مساحة العزب فما من شك فى أن العزب تتفاوت عن بعضها الآخر فى مساحة زمامها وربما تكون بعضها " خاصة الحديث منها " مثل العزب الواقعـة فـى

المناطق الإستزراعية الجديدة فى شمال الدلتا وبعض المناطق بمحافظة البحيرة والشرقية ذات سعات حيازة أكبر من تلك التى تقع فى وسط الدلتا .

وتُعتبر العزبة من وجهة النظر الإجتماعية مجموعة صغيرة من الأسر تقوم معاً فى منطقة جغرافية محدودة تسود بينهم الروابط الإجتماعية القوية ويشعرون بكيان ذاتى محلى ويعتمدون فى معظم إحتياجاتهم الإقتصادية والإجتماعية على القرى المحيطة بهم.

ولا يوجد بالغالبية العظمى من العزب منظمات إقتصادية وإجتماعية ولا مرافق عامة إلا القليل إن وجدت . فقلة الكثافة السكانية لا تسمح بإمكان إقامة مثل هذه التنظيمات ، ولا يمكن تمويل مختلف الخدمات وتوصيلها دون تحمل أعباء مالية فادحة. وتسود العلاقات الإجتماعية القوية ذات الطابع الشخصى بين سكان العزبة ولا ترجع قوة هذه العلاقة إلى قلة عدد السكان أو صغر المنطقة فحسب بل إن العزبة ربما تكون أسرة واحدة يربط أفرادها عامل الدم والقرابة وإنقسمت فيما بعد إلى أسر صغيرة . وربما تُعتبر قوة الروابط الإجتماعية بالعزبة من أهم العوامل الإجتماعية المؤدية إلى زيادة الشعور بالأمن والإستقرار والطمأنينة حيث يشعر سكان العزبة أنهم أسرة واحدة كبيرة ولو لم تربطهم علاقة الدم المشترك ، وربما ساعد على ذلك قسوة الظروف الطبيعية والإجتماعية والإقتصادية وما تتطلبه من تعاون وتضامن لتحقيق الأهداف المشتركة .

ومن مميزات نظام الإقامة فى العزب أن سكانها لا يشعرون بتلك العزلة الإجتماعية التى يشعر بها السكان الريفيين المقيمين على مزارع متناثرة ويتمتعون فى نفس الوقت بوجودهم على مقربة من محل عملهم الأمر الذى قلما يتوافر بالنسبة للسكان الريفيين المقيمين بالقرى . ومن ثم فالإقامة فى عزب تجمع بين مميزات الإقامة فى قرى وعلى مزارع متناثرة . إلا أن هذا النظام له أيضاً بعض العيوب أهمها بُعد سكان العزب عن مراكز الخدمات . وتتبع العزبة إدارياً القرى القريبة منها ويوجد ببعض العزب الكبيرة شيخ عزبة وواحد أو أكثر من الخفراء ، ولقد أدت التبعية الإدارية إلى إستمرار تردد سكان العزب على القرى التابعين لها والتى أصبحت بمثابة مراكز خدمات لهؤلاء السكان . ولا يُعتبر نظام الإقامة فى عزب نظاماً مستقلاً فهو إما يصاحب الإقامة فى قرى أو نظام الإقامة على مزارع منفردة أو متناثرة . ففى الريف

المصرى يُعتبر نظام الإقامة فى قرى هو النظام الرئيسى للإقامة . أما فى الولايات المتحدة الأمريكية فإن نظام الإقامة على مزارع متناثرة هو النظام السائد وإن كانت نسبة قليلة من السكان الريفيين يقيمون فى بلدان ريفية صغيرة أشبه ما تكون بالعزب إزاء كل ما تقدم يتبين أن العزب كوحدات بيئية سكانية جديرة بالإهتمام بحكم كثرة عددها وبحكم الدور الهام التى تقوم به فى البنيان الإجتماعى والإقتصادى الريفى

المبحث الثالث

ثالثاً : نظم الإقامة على مزارع

نظام الإقامة على مزارع متناثرة أحد أنظمة الإقامة التى يعيش فى ظلها الكثير من السكان الريفيين بمختلف دول العالم . ويتضمن هذا النظام إقامة الأسرة الريفية لمسكنها ومرافقها المزرعية على جزء من أرض المزرعة وإستغلال الجزء الباقى فى إنتاج الزروع النباتية والحيوانية . ولقد نشأ هذا النظام نتيجة لمحاولة الإنسان تكييف نفسه مع الظروف والعوامل الطبيعية والإقتصادية والإجتماعية فى البيئة التى يعيش فيها . فقد أدى وجود مساحات كبيرة من الأراضى الزراعية بالولايات المتحدة الأمريكية إلى إتساع متوسط حجم الحيازة المزرعية وكان من الأمور الطبيعية أن تقيم الأسر الزراعية على المزارع قريباً من مكان العمل حيث صعوبة الإقامة فى قرى لأن ذلك يعنى إبتعاد محل الإقامة بالقرية كثيراً عن محل العمل .

وقد كان لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية فى عام ١٨٤١ الخاصة بتجزئة الأراضى إلى مساحات تبلغ حوالى ١٥٠ فداناً وإعطاء أحقية الشراء لمن إستزرعها لعدة سنوات متتالية وأقام عليها مسكنه أهمية بالغة لإنتشار نظام الإقامة على مزارع ، وكذلك كان للرغبة الشديدة من جانب السكان المهاجرين فى بداية إستيطان الولايات المتحدة فى الإستيلاء على أكبر سعة للحيازة المزرعية أثرها فى تشجيع نظام الإقامة على مزارع ، هذا بالإضافة إلى أن صعوبة المواصلات من وإلى محل العمل إضطرت الزراع إلى الإقامة قريباً من محل العمل إذ يتطلب نظام الإقامة فى قرى وجود طرق ممهدة بين القرى والمزارع . وقد كان للإضطهاد الإقتصادى والإجتماعى الذى عاش فى ظله السكان الريفيين المهاجرين من أوربا قبل النزوح إلى الولايات المتحدة أثره فى إتجاههم نحو التطلع إلى الحرية الفردية الإقتصادية والإجتماعية فى

العالم الجديد . فضلاً عن أن إندفاع المهاجرين فى صورة غير من منتظمة إلى الولايات المتحدة وإقامتهم فرادى فى أى أماكن تبدو مناسبة لهم كان سبباً فى عدم إمكان إقامة نظام قروى لأن النظام القروى يتطلب توفير عوامل عديدة منها وجود مجموعة من السكان متجانسة نسبياً فى الخواص الإجتماعية ، ولم يكن هذا الأمر متوافراً فى السكان الجدد الذين ينتمون إلى جنسيات مختلفة ويتكلمون لغات مختلفة ويدينون بمختلف الديانات ويختلفون فى تفكيرهم وإتجاهاتهم الإقتصادية والإجتماعية والسياسية وغيرها .

على أن نظام الإقامة على مزارع لم يكن النظام الذى بدأ فى ظله إقامة السكان المهاجرين إلى الولايات المتحدة حيث إنتشر فى السنوات الأولى نظام الإقامة فى قرى زراعية وهو النظام الذى كان يعيش فى ظله السكان الجدد فى موطنهم الأصلى ونقلوه معهم إلى الوطن الجديد ، إلا أن هذا النظام القروى لم يلبث أن إنقرض وحل محله نظام الإقامة على مزارع متناثرة عندما إستتب الأمن نوعاً ما . وفى بعض الحالات إما أن يكون النظام الأساسى هو الإقامة فى قرى أو أن يكون النظام السائد هو الإقامة على مزارع متناثرة ، على أنه من الملاحظ فى بعض المناطق وجود نظام الإقامة فى قرى وعلى مزارع متناثرة فى نفس الوقت .

ويأخذ نظام الإقامة على مزارع عدة أشكال منها نظام يُطلق عليه المزارع المنعزلة حيث يقيم كل مزارع مسكنه وحظائره على أى جزء من أرضه الزراعية كيفما يروق له ومن ثم تبدو المساكن متناثرة بعيدة عن بعضها البعض . وفى بعض الدول خاصةً المناطق الحديثة الإستصلاح يخضع نظام بناء المساكن لخطة يُراعى فيها أن تأخذ شكلاً منتظماً مع إستمرار كل مزارع على مزرعته ويُطلق على هذا النظام بالمزارع المنعزلة المنتظمة .

مميزات نظام الإقامة على مزارع :

لنظام الإقامة على مزارع متناثرة بعض المميزات الإقتصادية والإجتماعية ومن هذه المميزات :

١- أن الزراع الذين يقيمون على مزارعهم يمكنهم أن يبدأوا عملهم اليومى فى وقت مبكر ويستمرون إلى وقت متأخر مما يؤدى إلى توفير الوقت والجهد الضائعين فى الإنتقال بين محل الإقامة ومحل العمل وبالتالى تخفيض تكاليف الإنتاج المزرعى .

٢- يتمكن المزارع من المواظبة على مباشرة الزروع النباتية والحيوانية لقرب محل الإقامة من محل العمل مما كان له أثره فى زيادة الإنتاج والرقابة المزرعية .

٣- ساعد هذا النظام على إمكان إتباع الزراع نمطاً مزرعياً معيناً إذ يمكنهم تربية أعداداً كبيرة من الحيوانات المزرعية دون مشقة حيث تسهل عمليات الرعاية والتغذية . كما يمكن إنتاج الفاكهة والخضروات دون ما حاجة إلى حراسة خاصة .

٤- من مميزات هذا النظام تلك الحرية الشخصية التى يتمتع بها السكان الزراعيون فى سلوكهم وإتجاهاتهم ، فبُعد السكان بعضهم عن بعض أتاح فرص الإبتكار والتجديد وقلل من المشاكل والمنازعات التى تحدث بين الجيران .

٥- ساعد هذا النظام على إمكان فصل المسكن عن المبانى المزرعية كحظائر الحيوانات مما كان له أثره فى تلافى الكثير من الأضرار الصحية الناجمة عن تربية الحيوانات داخل المنازل .

٦- ساعد هذا النظام على إمكان إجراء تحسينات فى المبانى المزرعية دون صعوبة نظراً لوجود متسع من الأرض الفضاء حول تلك المبانى ، كما أمكن إجراء الكثير من التغيرات التنظيمية والتسويقية التى يصعب عادةً إجراؤها فى القرية نتيجة تركز المبانى فى منطقة محددة .

عيوب نظام الإقامة على مزارع :

١- أدى بُعد المزارع عن المراكز التسويقية إلى إرتفاع تكاليف توريد السلع والخدمات الزراعية وغيرها وإرتفاع تكاليف تسويق المنتجات الزراعية . فقد كان على السكان أن ينتقلوا من آن لآخر إلى المراكز التجارية للحصول على ما يحتاجون إليه من سلع وخدمات وهذا يعنى إستنفاذ جزء كبير من الوقت والجهد . وقد أدى بُعد المزارع عن بعضها إلى صعوبة القيام بالكثير من أوجه النشاط الإقتصادى والإجتماعى التعاونى ، فعلاقات السكان المقيمين على مزارع بعضهم ببعض علاقات أقل متانة عن نظائرها بين السكان المقيمين فى قرى إذ أن هناك عزلة إجتماعية نسبية تعيش فى ظلها الأسرة .

٢- ومن عيوب هذا النظام صعوبة إقامة الكثير من المنظمات والمؤسسات الإقتصادية والإجتماعية والصحية والتعليمية وغيرها وإرتفاع تكاليفها نتيجة إنخفاض كثافة السكان ، إذ أن إنخفاض كثافة السكان أدى إلى عدم توافر العدد الكافي من الأفراد في سن التعليم في منطقة جغرافية مناسبة بما يسمح بإمكان إقامة مدرسة كبيرة تمكن من توفير كافة التسهيلات الكفيلة برفع مستوى التعليم الريفي بها وتخفيض تكاليفه .

٣- عدم إمكان إقامة بعض المرافق العامة مع إرتفاع تكاليف إنشائها وإدارتها في حالة قيامها . فلا شك أن هذا النظام مثلاً لا يكفل توفير مياه شرب ذات درجة عالية من النقاوة ولنفس الظروف يصعب توصيل المجارى العمومية . أما الخدمات العامة الأخرى كالكهرباء والطرق المرصوفة والخدمات التليفونية فإن تكاليف إنشائها وتوصيلها لسكان المزارع المتناثرة تكون ولا شك عالية بمقارنتها بتكاليف توصيلها إلى السكان المقيمين في قرى .

ومن الجدير بالذكر أن هذا النظام رغم ما يكتنفه من عيوب يُعتبر من وجهة نظر السكان الريفيين الذين يعيشون في ظله هو النظام الطبيعي للإقامة بالمناطق الريفية ولا يرون له بديلاً في ظل الظروف السائدة ، ولعل من أسباب مثل هذا الإتجاه أن هؤلاء السكان يتمتعون في ظل هذا النظام بمستوى مرتفع من الدخول نتيجة لكبر سعة حيازتهم المزرعية مما جعل نظام الإقامة على مزارع متناثرة محتملاً بالرغم مما يكتنفه من عيوب .

وأخيراً فإن N. L. Smis من رأيه أن الحياة في تجمعات كانت هي الطريقة الطبيعية لنظم إقامة الزراع حتى الأجيال الأخيرة . وأن هذه النظم هي أنجح الطرق وأكثرها قبولاً لدى زراع الأرض . وأن طريقة الحياة الريفية الأمريكية المنعزلة تُعتبر من المتغيرات غير المستقرة والتي ثبت عجزها بالنسبة للأوضاع الإجتماعية ، كما يرى أن المجهودات والمشروعات التعاونية لا غنى عنها لأحل حياة ريفية مرضية وهذه تنشأ وتنتشر بيسر حيث يقيم الناس ويعيشون مع بعضهم في تجمعات ، ومن ثم فهو يرى أن إعادة بناء المجتمع الريفي الأمريكي على شكل تجمعات أو مجتمعات محلية قروية يُعتبر أمراً مرغوباً .

تلك هى نظم الإقامة الرئيسية الموجودة بالمناطق الريفية المختلفة حول العالم ، على أنه تجدر الإشارة أن إتباع أي منها يتوقف على العوامل الطبيعية والاقتصادية والإجتماعية السائدة . فإنتشار نظام الإقامة فى قرى بجمهورية مصر العربية وكذلك إنتشار نظام الإقامة على مزارع بالولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من البلدان إنما يرجع إلى تباين الظروف الطبيعية والإقتصادية والإجتماعية فى كل منها مما أدى إلى إستجابات مختلفة من جانب السكان الريفيين لتلك العوامل . ومن هنا لا يبدو منطقياً أن تقلّد منطقة ريفية نظام الإقامة السائد فى منطقة ريفية أخرى ما لم تكن الظروف الطبيعية والإقتصادية والإجتماعية متشابهة فى كل منها .

الفصل الرابع

البناء الإجتماعي الوظيفي

مفهوم البناء الإجتماعي :

إن أي دارس للبناء الإجتماعي بصفة عامة لا بد وأن يتناول أعمال عالم الإجتماع الأمريكي تالكوت بارسونز عن النسق الإجتماعي، حيث أن النقطة الجوهرية التي تقوم عليها فكرة النسق الإجتماعي هو أن هناك توجيهاً للفاعل يتمثل في ميل أعضاء النسق إلى الإشباع الأمثل لإحتياجاتهم ، وحالات التفاعل الإجتماعي المستقرة هي التي تشتمل على الإستجابات المتبادلة بين الفاعلين ، والعلاقة بين الفاعلين هي جوهر النسق الإجتماعي (Parsons, 1951) .

ويرى بارسونز أن مهمة التحليل البنائي الوظيفي تتمثل في أداء الأبنية لوظائفها والتحليل المنهجي لمكانات الفاعلين وأدوارهم في صلتهم بالموقف الإجتماعي ثم دراسة الأنماط التنظيمية وهي مجموعة النظم التي تمثل وحدات بنائية داخل النسق الإجتماعي فالنظم هي بؤرة التحليل السوسيولوجي .

ووفقاً لآراء بارسونز فإن النسق يواجه مجموعة متطلبات أساسية لابد من تحقيقها حتى يكتب له البقاء . وأن أعضاء النسق في محاولتهم لتحقيق هذه الإحتياجات يدخلون في علاقات إجتماعية لا بد وأن تكون مستقرة مع بعضهم البعض فلابد عند محاولة تحليل النسق من تناول محورين على جانب كبير من الأهمية هما : (١) المتطلبات الوظيفية (٢) العلاقات الإجتماعية لأعضاء النسق .

فبالنسبة للمتطلبات الوظيفية وهي ما تهمنا هنا يرى بارسونز أن أي نسق إجتماعي لابد له أن يحقق مجموعة من المستلزمات أو الإحتياجات لأعضائه هي : (١)التوافق مع البيئة بمعنى إشباع الحاجات الفيزيقية لأعضائه حتى يكتب له البقاء ، (٢) تحقيق الهدف أي لابد من توافر الترتيبات البنائية التي سوف تحقق الغايات المطلوبة . (٣) تدعيم النمط وضبط التوتر بمعنى الإلتزام بقيم المجتمع وضبط توترات الأعضاء أثناء التفاعل الإجتماعي ، (٤) التكامل فلكي يحافظ النسق على وجوده لا بد وأن يحقق درجة من التنسيق والضبط بين مختلف المكونات الداخلية للنسق .

ويرى بارسونز أن المتطلبات الأربعة الرئيسية التى سبق تناولها تتحقق من خلال (١) النسق الإقتصادى الذى يشكل هو ومنظماته ذلك الجزء من النسق الإجتماعى الذى يناط به الإمداد بالموارد المادية وتوزيعها (٢) النسق السياسى ومنظماته ووظيفته إختيار أهداف المجتمع وحفز الأفراد على تحقيق الأهداف (٣) النظم القرابية وعليها دعم نظم التفاعل الإجتماعى والمعاونة على مراقبة التوترات الشخصية من خلال عملية التنشئة الإجتماعية وتأكيد إلتزام أعضاء المجتمع بنسق القيمة المحورى (٤) النظم الثقافية مثل الدين والتربية والإتصال الجماهيرى وتتولى مهمة تحقيق التكامل بين مختلف عناصر النسق الإجتماعى .

ولكى تتضح وجهة نظر بارسونز فيما يتعلق بالمقومات البنائية للمجتمع يمكن القول أن المجتمع يتكون من مجموعة من الأنظمة العامة مثل القرابة والدين والسياسة والإقتصاد والتربية وكل نظام عام يتكون من نظم فرعية مثل الأسرة والزواج والمدارس والمنظمات الدينية والصناعية ويتكون كل نظام فرعى بدوره من مجموعة من الأدوار هى الأنماط المتوقعة للسلوك ، فالأم والأب والتلميذ والمدرس والموظف والعامل هى أمثلة لهذه الأدوار – والمعايير الموضوعية هى التى تحدد إلتزامات الأدوار ، وهى ترتكز على نسق القيمة المحورى الذى يميز مجتمعاً من المجتمعات . وللمجتمعات أنساق مختلفة للقيمة تكون مسئولة عن ظهور أنماط مختلفة للبناء الإجتماعى (محمد ، ١٩٨٤) .

بينما يرى لوميس وبيجل Loomis and Beegle أنه يمكن تحليل النسق الإجتماعى على أساس كل العناصر البنائة أو العمليات الرئيسية للنسق حيث حللا النسق الإجتماعى على أساس سبعة عناصر بنائية وأربعة عناصر رئيسية بحيث أصبح النموذج كالآتى :

أ- عناصر الأنساق الإجتماعية : (١) الغايات والأهداف Goolor objective ، (٢) المكانة Status ، (٣) القوة Power ، (٤) المنزلة الإجتماعية Rank ، (٥) الجزاءات Sanction ، (٦) التسهيلات Facilities ، (٧) المعايير Norms .

ب- العمليات الهامة المتضمنة فى الفعل الإجتماعى :(١) الإتصال Communication ، (٢) إتخاذ القرارات Decision making ، (٣) الحفاظ على الحدود Boundary Maintationonce ، (٤) الترابط النسقى Systemic Linkage . وسيتم فى الآتى تناول أهم النظم التى تميز البناء الإجتماعى الريفى كما تناولها بارسونز وهى نظام القرابة (الأسرة) ، النظام الإقتصادى ، النظام التربوى (التعليم) .

المبحث الأول
خصائص البناء الأسرى الريفى

تعريف الأسرة وظائفها :

يمكن تعريف الأسرة بأنها جماعة قرابية ذات مسئولية أساسية نحو تنشئة أطفالها وكذلك تحقيق إحتياجات أخرى معينة فهى تتكون من مجموعة من الأفراد تربطهم ببعضهم صلة الدم أو الزواج أو التبنى ويعيشون معاً لفترة زمنية غير محدودة. وللأسرة وظائف كثيرة منها (١) التناسل وتنظيم السلوك الجنسى ، (٢) الرعاية والحماية ، (٣) التنشئة الإجتماعية ، (٤) تحديد الوضع الإجتماعى والمكانة الإجتماعية، (٥) توفير الأمن الإقتصادى . وهناك تباينات كثيرة يأخذها بنيان الأسرة من ثقافة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر بل وداخل نفس المجتمع بين الريف والحضر وسنتعرض فى الآتى إلى أهم خصائص البناء الأسرى الريفى :

أولاً : النمط الأسرى السائد

تُعتبر الأسرة الممتدة هى الخاصية التقليدية المميزة للبناء الأسرى الريفى فى غالبية المجتمعات الريفية التقليدية فى شتى أنحاء العالم . والعائلة الممتدة تمثل " وحدة إجتماعية إقتصادية " تشمل مجموعة من الأفراد يرتبطون بربلط الزواج والدم ويكوّنون وحدة معيشية Household ويتفاعلون مع بعضهم البعض بالرجوع إلى أدوارهم الإجتماعية كأزواج وزوجات ، أب ، أم ، إبن ، بنت و أخت ومن خلال ذلك يتم المحافظة على الثقافة العامة . وهذا النمط الأسرى يتكون من الأجداد وأبنائهم المتزوجين وأحفادهم وقد يشمل الجيل الرابع (Anderson, 1964) بمعنى آخر فإن العائلة الممتدة تتكون من مجموعة من الأسر النووية تربطهم علاقات من عدة أجيال ويعملون معاً كوحدة متكاملة إقتصادياً وإجتماعياً أما عن الخصائص العامة لهذا النمط الأسرى فلقد أوضحتها كتابات أرنست بورجيس (Ernest W Burges) فى (Anderson, 1964) حيث إعتبر الأسرة الريفية مرادفة لمصطلح الأسرية Familism وهى تتميز بالخصائص الآتية :

١- شعور أفراد هذا النمط بالوحدة Unity .

٢- تكامل تام بين الأفراد فى العمل والذى يتصف بخاصية الجمعية

٣- إن الإنتاج من كل العمل هو ملك الأسرة .

٤- إستعداد أفراد الأسرة أن يدعم كل منهم الأخر ضد الأخرين أى أن هناك تكاملاً إجتماعياً .

ولقد أوضح سعد الدين إبراهيم (Saad Ibraheem, 1977) الخصائص الإجتماعية التقليدية لهذا النمط الأسرى كالآتى :

١- الأسرة الممتدة هي مؤسسة تأمين إجتماعي وإقتصادى .

٢- السلطة داخل هذا النمط توزع بين الذكور والإناث حسب النوع .

٣- سلطة كبار السن تفوق سلطة صغار السن .

٤- سلطة الذكور تفوق سلطة الإناث .

٥- إنتشار ظاهرة الزواج المبكر لكل من الذكور والإناث .

٦- الزواج من داخل النسق القرابى والذكور عندما يتزوجون فإنهم يعيشون مع والديهم.

٧- التعليم من خلال الأسرة وهو ثابت ويمجد الماضى .

كما أن البعض يرى أن من ضمن خصائص هذا النمط الأسرى :

١- قوة الروابط الأسرية .

٢- خضوع الأبناء والزوجات لسلطة رب الأسرة خضوعاً مطلقاً .

٣- الأسرة وليس الفرد هو الوحدة الإقتصادية .

٤- إنجاب أكبر قدر من الأبناء حيث أن من أهم الوظائف الأساسية للأسرة الريفية إنجاب الأطفال .

ويمكن القول أن من أسباب وجود هذا النمط الأسرى :

١- أن المشاركة الكلية فى حيازة الأرض الزراعية تساعد على نشأة الأسرة الممتدة .

٢- الإقامة المشتركة والأنشطة المشتركة .

ثانياً : حجم الأسرة

يتميز حجم الأسرة الريفية بالكبر النسبى إذا ما قورنت بالأسرة الحضرية ويرتبط ذلك بالآتى :

١- أن كثرة عدد الأفراد داخل الأسرة الممتدة يعمل على توفير العمالة اللازمة للأرض من داخل الأسرة وهذا يحقق الإكتفاء الذاتى .

٢- أن كبر حجم الأسرة فى المجتمع الريفى يرتبط بالمكانة حيث أن مكانة الفرد فى المجتمعات الريفية هى مكانة نسبية ترتبط بأسرته .

٣- أن الأسرة كبيرة الحجم توفر الأمن والأمان لأفرادها فى المجتمعات الريفية حيث أنها توفر الحماية لأعضائها .

ثالثاً : الزواج

إن الخصائص التقليدية المرتبطة بالزواج فى المجتمعات الريفية تعكس أحد الخصائص الرئيسية الريفية كطريقة للحياة وهى " الإعتمادية " والخضوع للسلطة التقليدية وعدم توافر فرص الإختيار وأهم الخصائص التقليدية المرتبطة بالزواج هى :

١- الزواج واجب إجتماعى دينى له هدف إقتصادى : فهو من الناحية الإجتماعية الطريق السوى لتكوين أسرة وهو جواز المرور من مرحلة اللامسئولية النسبية التى تتعلق بصغار السن إلى مرحلة المسئولية الكاملة ، كما أن إستمرارية الأسرة وأجيالها يتم من خلال الزواج حيث أن الممارسة الجنسية قبل الزواج ممنوعة أو نادرة الحدوث. ومن الناحية الإجتماعية فقد أوضح يانج أن الشخص المتزوج له مكانة فى المجتمع الريفى تفوق الشخص غير المتزوج ومن الناحية الإقتصادية فإن الزواج هو السبيل الوحيد لإنجاب اليد العاملة التى تحتاجها الأسرة فى الزراعة .

٢- الزواج من داخل النسق القرابى فى إتجاه الأب : حيث أجمعت الدراسات على أن النمط العام للزواج فى المجتمعات الريفية فى منطقة الشرق الأوسط هو الزواج من داخل النسق القرابى فى إتجاه الأب والزواج المفضل هو بنت العم وهذا هو ما أوضحه هانى فاخورى (Fakhori, 1972) فى دراسته بقرية كفر العلو بمحافظة الجيزة حيث أن الخاصية الأساسية هى الزواج من بنت العم . إن إختيار الطرف الأخر فى الزواج من داخل النسق القرابى فى المجتمع الريفى يؤدى أغراضاً إجتماعية وإقتصادية .

٣- الزواج فى سن مبكرة للذكور والإناث : يعتبر الزواج فى سن مبكرة من الأسباب الأساسية لكبر حجم الأسرة الريفية والواقع أن الزواج المبكر لدى الريفيين يستهدف إنجاب أكبر قدر من الأيدى العاملة فى الزراعة ذلك إلى جانب كون الأبناء يشكلون دعماً إجتماعياً للأسرة .

٤- إختيار الطرف الآخر فى الزواج هو من شأن العائلة : ويرجع ذلك إلى أن السلطة فى ظل الريفية التقليدية تتركز فى يد كبار السن من الذكور ولما كانت مسألة الزواج هى من شأن الأسرة فإن إختيار الطرف الآخر فى الزواج سواء بالنسبة للولد أو البنت هو شئ من إختصاص الأسرة ككل ولقد أوضح سوروكن أن عملية الزواج لا بد وأن تتشكل وفقاً لإهتمامات الأسرة ولذا فإن الأسرة تفرض واجبات الزواج على أفرادها كما أنها تحدد الطرف الآخر فى الزواج كما أنها تحدد الظروف التى سيتم فيها الزواج . وقد نتج عن ذلك أن الفرد عند الزواج لا يراعى إهتماماته ولكن عليه أن يضع فى الإعتبار إهتمامات الأسرة ، أما " سيميك " فلقد أوضح أن عدم نمو الفردية والإستقلالية فى المجتمعات الريفية كانت وراء هذه الخاصية .

رابعاً : العلاقات العائلية

تتميز الأسرة الريفية بتركز السلطة فى الذكور من كبار السن ، ولما كانت طبيعة الحياة الأسرية تتميز بالجمعية الإعتمادية فإن العديد من الأمور التى تخص الأفراد هى من سلطة رب الأسرة إذ أن إعتماد الأبناء على الآباء يبدأ منذ الولادة وحتى بعد الزواج .

الخصائص المؤثرة فى البناء الأسرى التقليدى فى الريف :

تتحدد هذه الخصائص من خلال :

١- الجمعية : والمثال على ذلك هو أن الأمور المتعلقة بزواج الأبناء هى مسألة تخص الأسرة بأجمعها ، كما أن الفرد يستمد مكانته من الأسرة بأجمعها ولذا فإن المكانة نسبية جماعية وليست فردية تحصيلية .

٢- التبعية : تتركز السلطة فى يد الأسرة "كبير العائلة " كما أن خضوع الأفراد للسلطة التقليدية يدعم منه وضع قيود على حرية الأفراد ، ذلك أن رب الأسرة هو الذى يحدد الأمور التى تتعلق بالأفراد فى مجال العمل والزواج وأن خروج الأبناء عن هذه السلطة هو مظهر سيئ لا يلقى القبول .

٣- الإعتمادية : تتميز الأسرة الريفية بإعتماد الأبناء على الآباء لفترة طويلة تبدأ منذ الولادة وتستمر حتى بعد الزواج والإعتمادية هنا تأخذ مظهرين الأول هو الإعتمادية

الإقتصادية ، أما الثانى فهو الإعتمادية الإجتماعية ذلك إلى جانب الإعتمادية النفسية التى تتمثل فى أن الأسرة توفر لأفرادها الأمن والحماية .

٤- التجانس : إن أحد خصائص الأسرة الريفية هى كونها مؤسسة إقتصادية إجتماعية تعليمية وأخلاقية تدرب الأبناء منذ الصغر بحيث يتشابهون مع الأباء ، بمعنى آخر فإن عملية التنشئة الإجتماعية تعمل على إيجاد نمط ثابت من الشخصية ينتقل من جيل الأباء إلى جيل الأبناء وأن هذا هو الذى أدى إلى إنعدام الحراك المهنى الإجتماعى .

٥- تقييد الحرية : ولقد نتج ذلك نتيجة لإنتشار الجمعية والخضوع والإعتمادية والتجانس حيث أن هذه الظواهر مجتمعة تقيد من حرية الفرد داخل الأسرة كما أنها تؤدى إلى إنعدام الفردية التى تمثل بداية الطريق فى مجال إكتساب الأسرة الريفية التقليدية لخصائص حضرية إجتماعية ومن المتفق عليه أن الإستقلالية تقلل من الخضوع والإعتمادية ، كما أنها تؤدى إلى عدم التجانس وهذا يعنى قدراً من التحرر يدعم من الفردية .

ويمكن فى الآتى تناول بعض مظاهر التحضر النامى فى الأسرة الريفية (ندا ، ١٩٨٤) :

١- حدوث تغيرات أساسية فى بناء القوة التقليدية .
٢- إحلال العلاقات الثانوية محل العلاقات الأولية .
٣- التحرر من القيود القرابية وإختفاء روابط القرابة .
٤- الإقبال على التعليم .
٥- زيادة فرص الحراك .
٦- إزدهار ونمو الأسرة النووية .
٧- إتجاه حجم الأسرة نحو الصغر .
٨- إستقلالية الفرد بعد الزواج .
٩- الفردية وإختيار الطرف الأخر عند الزواج .
١٠- تأخر سن الزواج للذكور والإناث .

المبحث الثاني
خصائص النظام الإقتصادى

تعريف النظام الإقتصادى :

النظام الإقتصادى هو ذلك النظام المسئول مسئولية مباشرة عن إنتاج وتوزيع واستهلاك السلع والخدمات التى تستلزمها معيشة ورفاهية أعضاء المجتمع. ويتباين هذا النظام من مجتمع لآخر بل ويتباين داخل نفس المجتمع الواحد بين ريفه وحضره وسنستعرض فى الآتى أهم ملامح النظام الإقتصادى الريفى :

١- الإرتباط الشديد بالأرض :

لقد ركزت العديد من الدراسات السوسيولوجية على العلاقة القوية التى تربط الفلاح بالأرض الزراعية فعلى سبيل المثال إعتبر "كولب" الأرض أحد العناصر الثلاث التى تتكون منها ظاهرة الريفية كظاهرة إجتماعية حيث أن الإنسان الريفى وتنظيماته إلى جانب الأرض يشكلون المكونات الأساسية لهذه الظاهرة. ولذلك فإن الأرض هى جوهر الريفية وتوافرها يعد عاملاً هاماً فى إحتفاظ الريفية بخصائصها التقليدية. إن المتتبع للتراث النظرى السوسيولوجى يمكنه أن يتبين مدى إهتمام علماء الإجتماع بالعلاقة بين الريفى والأرض والعمل الزراعى كما يتضح من الآتى :

أ- أوضح كالين Bernard Callin فى (Petter, 1976) فى مقال بعنوان القيم الصينية تجاه الأرض أن الثقافة فى المجتمع الصينى تنظر إلى الأرض فى كونها :

(١) مجال العمالة الوحيد للأسرة .

(٢) الوسيلة الآمنة لمعيشة الأسرة .

كما يتفق يانج مع كولب (Yang, 1946) فى أن أهمية الأرض بالنسبة للريفى تتمثل فى الآتى :

(١) بدون الأرض فإن الأسرة لا يمكن أن يكتب لها الإستقرار والطمأنينة .

(٢) عندما يُقال أن الأسرة تحطمت أو فقدت مكانها فإن هذا يعنى أن أرض الأسرة قد ضاعت .

(٣) الأرض بالنسبة للأسرة فى أهميتها تماثل أهمية الأبناء حيث أن الأرض والأبناء مصدر الأمان والطمأنينة .

أولا القيادة الاوتوقراطية

ركزت النظريات الكلاسيكية أو التقليدية للادارة على انه ينبغى انجاز العمل المحدد وفقا للطريقة او الاسلوب الذى سبق تحديده ، لذلك تتم الرقابة بدقة للتحقق من ان العامل يؤدى العمل وفقا للطريقة المفروضه . وحيث تتم الرقابة من خلال السلطة ويعبر ما سبق عن مفهوم القائد الاوتوقراطى ولقد استخدم هذا الاسلوب فى عهد الثورة الصناعية حيث كان ينظر الى العمال كسلعة وفى نفس الوقت لم يكن العمال على درجة عالية من التدريب .

لهذا المدخل بعض المزايا . فالكثير من الافراد من حيث التربية والنشاة أو من خلال التجربة معهم - تعودوا على السؤال حول ما يقومون به وكيفية انجاز ذلك ويفضلون هذا المدخل اى أن تقول لهم ما يقومون به وسوف يتبعون التعليمات فى النهاية . فاذا ما تركت لهم تقرير ما يقومون به وكيفية انجاز ذلك فان النتيجة هى الفشل ، فمثل هذا النوع من الاساليب تلائم هذه الفئة ، كما يتميز بسرعة اتخاذ القرار بما يتلائم والموقف بدون أى منازعات او مخاطر طالما أن السلطة مركزية . أما عندما يكون مركز العمل أو الوظيفة فى قمة الهيكل فان أحد أفراد الادارة المتوسط الكفاءة يمكنه فرض القواعد وتحقيق الأهداف المحددة .

ثانيا : القيادة الابوية

نتيجة رد الفعل تجاه النقابات بعد الحرب العالمية الاولى ، طبقت الادارة الاسلوب الابوى أو الاتجاه التسامحى فى التعامل مع الافراد واتجهت لدفع اجور أفضل ، وتحسين ظروف العمل ، وصممت مختلف البرامج لتنمية فئة العمل . من منطلق ان ذلك يرجع الى الاحساس بان هذا الاسلوب هو الافضل للتعامل مع الافراد من استخدام مدخل القوة كما يتم فى المدخل الاوتوقراطى . ووفقا لذلك حصل العمال على كثير من المزايا لتحقيق

ب - زراعة المحاصيل الإستهلاكية :

وهذه الخاصية مرتبطة بالخاصية الأولى حيث أن تحقيق الإكتفاء الذاتى للأسرة الريفية يرتكز على زراعة المحاصيل الإستهلاكية التى توفر الغذاء للأسرة والحيوان . وفى غالبية الدول النامية فإن زراعة القمح والذرة تشكل أولوية أساسية لدى الفلاحين خاصةً ذوى الحيازات الزراعية الصغيرة حيث أن الأمان المطلق والطمأنينة لدى الأسرة الريفية يتحقق من خلال زراعة هذه المحاصيل ، كما أن زراعة المحاصيل لدى الفلاح يسير وفق خطة معينة كالآتى :

(١) زراعة المحاصيل الإستهلاكية اللازمة للمزارع وأسرته ويُعتبر القمح والذرة من المحاصيل الإستهلاكية الرئيسية وفى الهند فإن الذرة العويجة هى المحصول الإستهلاكى الأول وفى تايلاند فإن الأرز هو المحصول الإستهلاكى الرئيسى وفى الصين أوضح يانج أن القمح هو محصول إستهلاكى له قيمة إجتماعية كبرى حيث أنه الغذاء المفضل .

(٢) إلى جانب زراعة المحاصيل الإستهلاكية التى توفر الطعام على مدار السنة فإن المزارع يخصص جزء من الأرض لزراعة محاصيل تُستخدم فى غذاء الحيوان وفى مصر فإن البرسيم هو المحصول الأساسى لغذاء الحيوان .

(٣) ما يتبقى من الأرض فإن الفلاح يستخدمه فى زراعة محصول نقدى يمكنه من إستخدام العائد المالى نتيجة زراعة هذا المحصول فى تسديد ديونه أو شراء إحتياجات الأسرة من السوق أو إستخدام هذه النقود فى مناسبات معينة .

جـ - السوق والتجارة :

إن حرص الفلاح على تحقيق الإكتفاء الذاتى لأسرته وحيواناته قد قلل من إعتماده على السوق خاصةً وأن أحد خصائص الأسرة الريفية هو القيام ببعض الصناعات المنزلية التى تقلل من الإعتماد على السوق ولذلك فإن تعامل الفلاح من السوق يتميز بالآتى :

(١) إن السلع التى يتم تداولها فى السوق هى سلع تقليدية محددة .

(٢) تعامل الفلاح مع سوق القرية أساساً وهذا يحدث أسبوعياً فى الغالب .

(٣) إن النشاط التجارى فى القرية التقليدية محدود جداً وينحصر فى بعض الأنشطة التجارية البسيطة مثل تجارة الخضار والبقالة .

والسوق يعتبر المصدر الذى يحصل منه القروى على المال حيث من خلاله يتعامل القروى مع عدد من التجار يمكنه الإقتراض منهم على مدار السنة ويتم تسديد هذه الديون من المحصول ، كما أن الفلاح يمكنه سحب مبلغ وبضائع بنظام الأجل على المحصول ، وإلى جانب القيمة الإقتصادية للسوق بمعنى أنه المكان الذى يلتقى فيه الأقارب للإطمئنان على بعضهم البعض ، فإن السوق هو مكان يلتقى فيه القادة غير الرسميين لمناقشة مشاكلهم .

د - أدوات الزراعة :

البساطة هى أحد خصائص المجتمع الريفى التقليدى وهذه الخاصية تمتد لتشمل العديد من جوانب الحياة فى مجتمع القرية ، ولقد ترتب على ذلك أن أصبحت غالبية أوجه الثقافة المادية ومنها أدوات الزراعة تتميز بالبساطة والبعد عن التقليد وأما عن الخصائص التقليدية لأدوات الزراعة فهى :

(١) البدائية : إذ أن السائد هو إستخدام أدوات بدائية .

(٢) تعتمد هذه الأدوات البدائية الزراعية على المجهود البشرى والحيوانى .

(٣) أن هذه الأدوات تُصنع محلياً كما أن صيانتها تتم بواسطة عدد معين من العائلات فى القرية التى إتسمت بالعمالة غير الزراعية .

(٤) إن إعتماد أدوات الزراعة على القوة التقليدية ينفى عنها أى مظهر من مظاهر الميكنة والتحديث وقد ظلت هذه الأدوات تُستخدم لفترة طويلة دون أن يصيبها أى تغيير جوهرى .

هـ - القوة الحيوانية :

المعروف أن الزراعة التقليدية تعتمد على عناصر ثلاث هى القوة البشرية والأدوات الزراعية والقوى الحيوانية ، إلى جانب ذلك فإن الحيوان له منزلة عالية عند الفلاح حيث أنه يُعتبر أحد وسائل الإنتاج الزراعى التقليدى وإلى جانب إستخدام الحيوان فى العمليات الزراعية المختلفة فإن الفلاح يعتمد عليه فى غذائه .

و - العمالة الزراعية :

إن أهم الخصائص التقليدية التى تُميز العمالة الزراعية التقليدية الآتى :

(١) إن كل عائلة مكتفية ذاتياً من حيث العمالة المطلوبة .

(٢) فى حالة عدم كفاية العمالة من داخل الأسرة فإن الفلاح يستفيد ببعض الأقارب من خلال النسق القرابى أو ببعض الجيران (التعاون غير الرسمى)

(٣) العمل الزراعى قاصر على الذكور خاصةً الشباب ومتوسطى السن ومساهمة النساء محدودة .

(٤) توافر العمالة الزراعية بأجر سواء داخل القرية أو القرى المجاورة .

ز - الزراعة لكل الوقت :

إن أحد الخصائص التقليدية للعمل الزراعى هو الزراعة لكل الوقت حيث يعمل القروى فى مهنة الزراعة فقط وهى المهنة المتوارثة عن الآباء وبالرغم من أن العمل الزراعى لم يكن يستغرق عمالة الفلاح طوال العام إلا أن الفلاحين كانوا شديدى الإرتباط بالأرض والعمل الزراعى وكان من النادر إستغلال وقت الفراغ لديه فى أى أعمال أخرى .

ح - التعاون فى العمل :

تُعتبر ظاهرة التعاون غير الرسمى بين القرويين فى شتى جوانب الحياة الإجتماعية والإقتصادية أحد الخصائص التقليدية للمجتمعات الريفية ولقد أجمعت الدراسات السوسيولوجية الريفية على تعدد أشكال هذه الظاهرة فى المجتمعات الريفية وإلى جانب التعاون فى العمليات الزراعية فإن هذه الظاهرة تشمل جوانب أخرى من الحياة الإجتماعية للريفيين .

ط - الإلتزام :

ويقصد به شكل التعاون الملزم بين العائلات داخل البدنة الواحدة ذلك أن وجود البدنة فى القرية يعتبر فى حد ذاته أمراً محدداً للتعاون بين العائلات فى الحياة الإقتصادية .

ى الزمال

ويقصد بها ظاهرة التعاون غير الملزم وهي إحدى خصائص القروى التقليدية ولقد أشارت إليها ساثي (Gilavanus Tathy 1981) في دراستها لإحدى القرى في محافظة المنوفية حيث أوضحت أن ظاهرة التعاون هذه تتمثل في تبادل العمالة والخدمات والسلع بين الريفيين وأهم خصائص الزمال التقليدى هى :

(١) هى نوع من التعاون المشروط حيث أن تقديم المساعدة يتطلب أن تحدد هذه المساعدة بنفس العدد كما وكيفا

(٢) أن الزمال يشمل النواحى الإقتصادية إلى جانب النواحى الإجتماعية مثال ذلك فى أوقات جنى القطن أو حصاد القمح أو تقطيع الذرة أو حتى فى حالات بناء المنازل.

(٣) الزمال ليس قاصرا على الرجال بل يشمل النساء أيضاً .

(٤) بالرغم من أن الزمال كان يتم فى ضوء نوع من الواجبات الملزمة إلا أنه كان يتم فى صورة يغلب عليها طابع الود والمحبة والتعاون

ك الوظيفة الإنتاجية للأسرة

من المتفق عليه أن أحد الخصائص التقليدية للإقتصاد الأسرى التقليدى هو قيام الأسرة ببعض الوظائف الإنتاجية وهذه الخاصية ترتبط بخاصية الإكتفاء الذاتى ومن أمثلة الوظائف الإنتاجية للأسرة صناعة وإنتاج الخبز منزلياً ومنتجات الألبان وتربية الطيور ويمكن فى الآتى تناول بعض خصائص الزراعة المتحضرة (ندا ، ١٩٨٤) :

١- إنتشار التعليم بين القرويين العاملين بالزراعة

٢- معدلات عالية من حراك الناس والسلع والخدمات

٣- معدل دخل عالى من الإنتاج الزراعى

٤- قلة عدد العاملين بالزراعة

٥- نمو علاقات السوق والتجارة

٦- إستخدام الميكنة والعلم الحديث .

المبحث الثالث

النظام التعليمى الريفى

تعريف التعليم ووظائفه :

لا يمكن لأى مجتمع إنسانى أن تقوم له قائمة دون أن يتعلم أفراده الجدد المعايير والقيم الإجتماعيـة والأهداف المتعلقة بهذا المجتمع ، ويتم هذا الدور أساساً فى أى مجتمع من خلال نسق التعليم الفرعى والذى يمكن تعريفه بأنه نظام من المراكز والأدوار المتصلة ببعضها والتى تضمن إنتقال القيم والإتجاهات وأنماط السلوك والمهارات والمعارف الخاصة بمكانة مجتمع معين من جيل إلى آخر تالى له ، وللتعليم وظائف متعددة منها :

(١) نقل القيم والإتجاهات وأنماط السلوك ، (٢) نقل المهارات والمعارف فضلاً عن تعليم القيم والإتجاهات وأنماط السلوك المناسب لمجتمع معين ، (٣) تحديد المركز الإجتماعى ، (٤) إعطاء الفرصة للأفراد التفاعل مع مدرسيهم وأقاربهم ، (٥) الوظيفة الإبتكارية حيث تقوم المعاهد التعليمية بتشجيع الإبتكار العلمى الخلاق . ويتباين النظام التعليمى بين الريف والحضر داخل نفس المجتمع وسنتناول فى الآتى أهم الخصائص التقليدية للتعليم فى المجتمعات الريفية .

١- الخصائص التقليدية للتعليم فى المجتمعات الريفية :

لقد أبرزت أدبيات علمى الإجتماع والإجتماع الريفى أن النمط العام للتعليم فى المجتمعات الريفية هو التعليم الدينى وفى هذا المجال فلقد أوضحت دراسات فورمان فى المجتمعات الريفية فى البرازيل أن الوسيلة الوحيدة للتعليم فى القرية البرازيلية هى "ڤاجا" Vaga وهو مكان يشبه الكتّاب فى مصر يقوم من خلاله رجل الدين بتعليم أبناء القرية النواحى الدينية إلى جانب تعليمهم أصول اللغة ومبادئ الحساب. وفى إيران قام إنجليش (English, 1966) بدراسة فى المجتمعات الريفية بمنطقة كيرمان توصل من خلالها إلى أهمية التعليم الدينى حيث يرسل الآباء أطفالهم إلى " المكاتب " حيث يتعلمون التعليم الدينى . وفى تركيا أوضحت دراسات بول ستريلنج Paul Strilling (Shanin, 1964) فى قرية إلباس أن التعليم الدينى يمثل مكانة عالية داخل القرية وفى

المجتمعات الريفية فى مصر فلقد أوضحت دراسات "حامد عمار" و "عاطف غيث " أن الكتّاب يمثل النسق التقليدى للتعليم فى مجتمع القرية المصرية .

ولقد عدد (ندا ، ١٩٨٤) الخصائص التقليدية المرتبطة بالتعليم فى المجتمعات على النحو التالى :

(١) التعليم الدينى من خلال الكتّاب هو النمط السائد .

(٢) الأولوية فى التعليم الدينى للذكور .

(٣) هناك إتجاه سلبى نحو تعليم الإناث .

(٤) إنتشار الأمية ووجود قيم إجتماعية لا تؤكد على التعليم .

(٥) قلة عدد المؤسسات التعليمية الحكومية مع وجود إتجاه سلبى نحوها .

٢- الخصائص الحضرية النامية فى مجال التعليم :

لقد أوضح " سوروكن " (Sorokin, 1922) أن أحد خصائص المجتمع الحضرى هو إرتفاع نسبة التعليم وإرتفاع نسبة المتعلمين فى المراحل المتقدمة من التعليم بطريقة تفوق المناطق الريفية ، أما المجتمعات الريفية فهى تتميز بإنتشار الأمية بطريقة تفوق معدلاتها فى الحضر كذلك فإن دوبرولسكى Dobrowolski (Shanin, 1971) قد أوضح أن التعليم الحكومى الرسمى يعتبر عاملاً هاماً فى تحديث المجتمعات الريفية فمعرفة القراءة والكتابة يؤدى إلى التخلى عن الخصائص التقليدية وتقبل الخصائص الحضرية الحديثة .

ولقد أوضح (ندا ، ١٩٨٤) دور التعليم فى إكتساب المجتمع الريفى المحلى لخصائص حضرية فى الآتى :

أ - أن التعليم هو السبيل إلى تخلى القرويين عن بعض خصائصهم الثقافية والتقليدية وفى هذا المجال فلقد أوضح أسيبوف (Osipov, 1969) أن من الأسباب الهامة التى تدعو إلى إعادة بناء المجتمع بطريقة حضرية هو النمو الثقافى والتعليمى للقرويين فى روسيا . ولقد نتج عن إنتشار التعليم بين القرويين فى المزارع الجماعية ظهور نمط جديد من القرويين الحاصلين على التعليم الثانوى والجامعى.

ب- أن التعليم هو الوسيلة التى تؤدى إلى التمايز المهنى داخل القرية ونظراً لعدم كفاية الأرض الزراعية فإن التعليم اصبح ذا قيمة عالية ولقد أوضح جانز

Gans أن القروى الإيطالى لا يكتفى بقدر بسيط من التعليم وإنما يحرص على تعليم أبنائه حتى أعلى المستويات وذلك حتى يمكن أبنائه من الحصول على أعلى الوظائف

جـ- إن دخول الصناعة فى المجتمعات الريفية فقد دفع بالحاجة إلى التعليم ، ولما كانت العمالة فى المصنع بديلاً عن العمل الزراعى فإن ذلك قد دفع الأباء فى قرية Kondogram إلى تشجيع أبنائهم للحصول على قدر من التعليم للحصول على المهارات التى يتطلبها العمل فى الوظائف العليا فى المصنع حيث أن التعليم ينمى المهارات الفردية ويدعم من الإتجاه نحو تقبل الأفكار الجديدة ويقلل من التباينات بين خصائص الحياة القروية وخصائص الحياة الحضرية

بسم الله الرحمن الرحيم

التمارين العملية

التمرين الأول

١ ـ عرف علم الاجتماع .

٢ ـ ماهي خطوات المنهج العلمي في علم الاجتماع .

٣ ـ اختر احدى المشكلات في مجتمعك المحلي وحاول تطبيق خطوات المنهج العلمي لعلم الاجتماع في دراستها .

٤ ـ كلما تقدم العلم كلما ازداد مايحتويه من نظريات وقوانين .
وضح هذه العبارة مع بيان أهمية النظرية .

٥ ـ ماهي عناصر علم الاجتماع . في رأيك هل تختلف هذه المكونات عن مكونات أي علم آخر . من العلوم الطبيعية .

٦ ـ وضح بالرسم عناصر علم الاجتماع وكيف تنتقل من عنصر لآخر .

٧ ـ حاول دور كايم تفسير عملية الانتحار خلال مجموعة من العبارات العلائقية ماهو شكل النظرية المناسب لهذه العبارات . وهل يمكنك ؟ وهل يمكنك وضع هذه العبارات في شكلها المناسب ؟

٨ ـ وضح بالرسم الشكل السببي للنظرية الاجتماعية مع محاولة التحليل ببعض المتغيرات المتطلبة من عندك؟

التمرين الثاني

١ ـ عرف ما يلي :ـ

الثقافة ـ الحضارة ـ المعتقد ـ القانون ـ العادات الاجتماعية ـ التقاليد ـ العرف .

٢ ـ عرف القيم واشرح بالتفصيل كيف تصنف القيم .

٣ ـ ماهي أسس تصنيف العادات الاجتماعية ؟

وماهي وظائفها .

٤ ـ وضع الاسلام قيما عليا . وضح بعض هذه القيم مع الاستدلال من القرآن الكريم .

التمرين الثالث

١ ـ ماهي المشكلة الاجتماعية من وجهة نظرك ؟ واذكر عددا من المشكلات الاجتماعية ؟

٢ ـ اذكر تعريف هورتون وليسل للمشكلات الاجتماعية مبينا عناصر هذا التعريف ؟

٣ ـ اذكر باختصار ماهو المقصود بكل من :ـ

المشكلة الاجتماعية تؤثر في عدد كبير من الناس .

المشكلة الاجتماعية تؤثر في عدد كبير من الناس بطريقة غير مرغوبة .

المشكلة الاجتماعية يمكن القيام بحل أو اجراء تجاهها .

تتطلب مواجهة المشكلات الاجتماعية من خلال فعل اجتماعي أو عمل اجتماعي جماعي .

٤ ـ كيف نحدد أن موقف اجتماعي معين قد أصبح مشكلة اجتماعية ؟

٥ ـ هناك بعض الاراء الرائجة حول طبيعة المشكلات الاجتماعية . اذكر هذه الاراء . . . ؟ ومارأيك في كل منها

٦ ـ ماهو الهدف من دراسة المشكلات الاجتماعية ؟

التمرين الرابع

١ ـ وضح أسباب الاهتمام بظاهرة الريفيه ؟

٢ ـ وضح باختصار أسباب قيام علم الاجتماع الريفي ؟

٣ ـ ماهي خصائص المجتمع المحلي وفقا لمحددات أندرسون ؟

٤ ـ هناك وجهات نظر مختلفه حول تعريف المجتمع المحلي ٠٠٠ اشرح هذه العباره بالتفصيل ؟

٥ ـ وضح بالرسم فكرة النموذج المثالي في دراسة المجتمع المحلي ؟

٦ ـ ماهي أهم الفروق بين المجتمع المحلي والمجتمع كما حددهاتونيزوبارسونز ؟

٧ ـ ساهم ردفلير في فكرة المتصل المتدرج لنظرية الثنائيات الاجتماعيه وضح ذلك بالرسم ؟

٨ ـ ماهي نظم الاقامه الريفيه ؟ وعيوب الاقامه في قرى ؟

٩ ـ ماهي مزايا الاقامه في مزارع متناثرة ؟

١٠ ـ اذكر التصنيف الريفي الحضري ؟

التمرين الخامس

١ ـ عرف ما يأتي :

الاتصال .

نشر المبتكرات .

المبتكر .

٢ ـ ماهي خصائص المبتكر ؟

٣ ـ ماالفرق بين المبتكر وتجويد المبتكر ؟

٤ ـ اشرح بالتفصيل خطوات اتخاذ القرار الابتكاري ؟

٥ ـ تناول بالشرح خصائص المتبني ؟

٦ ـ كيف يؤثر النظام الاجتماعي في عملية اتخاذ القرار الابتكاري ؟